ذكريات من

خلف الستار العقيدي

سياحة في شرق أوروبا، وحديث في أحوال المسلمين

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

حقـوق الطبـع محفوظـة

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

ⓒ محمد بن ناصر العبودي ، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد بن ناصر

خلف الستار العقيدي .- الرياض .

٢٤٨ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٣ - ٠١٥ - ٤١ - ٩٩٦٠

١ - المسلمون في المجر - تاريخ أ- العنوان

ديوي ٢١٠,٩١٤٣٩ ٢٢/٤٥٥١

رقم الايداع ٢٢/٤٥٥١

ردمك : ٣ - ٠١٥ - ٤١ - ٩٩٦٠

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - بيروت دار الثقافة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا -الرياض دار العلوم ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين - الرياض النادي الأدبي١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي - الرياض - المطابع الأهلية للأوفست ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان - الرياض - جمعية الثقافة والفنون ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م

(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - نشرته دار العلوم في الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين - نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي - مكة المكرمة - نادي مكة الثقافي ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية - طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست عام١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين - الرياض -المطابع الأهلية ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال، رحلة وحديث في شؤون المسلمين - الرياض - مطابع الفرزدق ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى - المطابع الأهلية للأوفست في الرياض ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي - الرياض ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل - نشره النادي الأدبي في أبها ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الأنديز - الرياض مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل - الرياض - مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر - طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨) بقية الحديث عن إفريقية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٢هـ.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي - مطابع الرياض الأهلية للأوفست عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٥) جمهورية أذربيجان - طبع مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية - نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بين الأرغواي والبارغواي - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان - طبع بيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال - طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) في جنوب الصين - طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) كنت في ألبانيا - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في إفريقية - محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكرى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر - مطابع الفرزدق بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير - مطابع الفرزدق عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية - مطابع الفرزدق عام ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القرم - نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجيريا (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان - نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية - نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غيانا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) إطلالة على أستراليا - طبع في مطابع التقنية للأوفست - الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند - من سلسلة الرحلات الهندية - نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور - مطابع النرجس التجارية بالرياض عام ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك من سلسلة الرحلات الهندية - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق الهند، من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) العودة إلى الصين، من سلسلة الرحلات الصينية - طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) في شرق البرازيل، من سلسة الرحلات البرازيلية - طبع في مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز)، مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦١) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي، من سلسلة الرحلات القوقازية - طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض، عام ١٤٢٠هـ.

(٦٢) بلاد التتار والبلغار، من سلسلة رحلات الشمال - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٦٣) بلاد الشركس: الإديغي - طبع مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٤) مواطن إسلامية ضائعة - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

(٦٥) تائه في تاهيتي - طبعته مطابع التقنية بالرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٦) نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة. مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفييتي. مطابع النرجس بالرياض عام ١٤٢٠هـ

(٦٨) نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي. طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

(٦٩) في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين. طبع في مطبعة النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٧٠) قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا، من سلسلة الرحلات الكاريبية، مطبعة العلا في الرياض ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٧١) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٢) مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٣) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة في الرياض ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٤) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية في الرياض ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٥) في جنوب البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٦) شمال شرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين، مطابع النرجس في الرياض ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

(٧٧) بلغاريا ومقدونيا، من سلسلة رحلات في بلاد البلقان، طبع في مطابع الجاسر في الرياض، عام ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٠١م.

(٧٨) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر في الرياض، عام ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(٧٩) بيليز والسلفادور - رحلات في جمهوريات الموز - طبع في مطابع العلا في الرياض ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

(٨٠) ((العودة إلى ما وراء النهر)) جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م..

(٨١) ((على سقف العالم)) رحلة إلى التبت، وحديث في شؤون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة عام ١٤٢٢هـ.

(٨٢) الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية، طبع في مطابع النرجس في الرياض ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٨٣) غايتي من السفر إلى هايتي.

(٨٤) خلف الستار العقيدي: سياحة في شرق أوروبا وحديث في أحوال المسلمين. وهو هذا الكتاب.

مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات

(٨٥) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات) - نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهليه للأوفست بالرياض عام ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(٨٦) أخبار أبي العيناء اليمامي - طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(٨٧) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبد العزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(٨٨) كتاب الثقلاء - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٨٩) نفحات من السكينة القرآنية - طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس - نشرته دار العلوم في الرياض عام ١٤٠٣هـ.

(٩٠) مأثورات شعبية - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٩١) سوانح أدبية - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٩٢) صور ثقيلة - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٩٣) العالم الإسلامي والرابطة - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها عام ١٤١٤هـ.

(٩٤) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء - مطابع التقنية في بالرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٩٥) المقامات الصحراوية - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٩٦) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة - بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية - نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي في الرياض ١٤١٩هـ.

(٩٧) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، ونشرته جامعة أم القرى في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

(٩٨) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة) - ونشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة.

(٩٩) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبد العزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(١٠٠) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(١٠١) الدعاة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم. نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

(١٠٢) واجب المسلم في بلاد الأقليات. نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

(١٠٣) " العالم الإسلامي: واقع وتوقعات " نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها

(١٠٤) الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة، مطابع الجاسر في الرياض، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

(١٠٥) ((حِكَمُ العوام))، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

(١٠٦) في لغتنا الدارجة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبد العزيز في الرياض (تحت الطبع) في أربعة أجزاء.

(١٠٧) حكايات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام ١٤٢١هـ.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا ورسولنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فإن هذا الكتاب هو مذكرات يومية كتبتها خلال رحلة في دول في شرق أوربا التي هي واقعة خلف ما كان يسمى بالستار الحديدي، حيث كان لا يسمح لعامة الناس بالدخول إلى تلك الدول، ولا بالخروج منها في أول سيطرة الشيوعيين عليها.

ومن هنا جعلت عنوانه: «خلف الستار العقيدي» ليطابق ذلك - من حيث اللفظ - كلمة الستار الحديدي، وإن كنت أبرؤ لغوياً من النسبة إلى العقيدة المنسوبة - في الأصل - إلى العقد، إذ الأفصح أن يقال: العقدي.

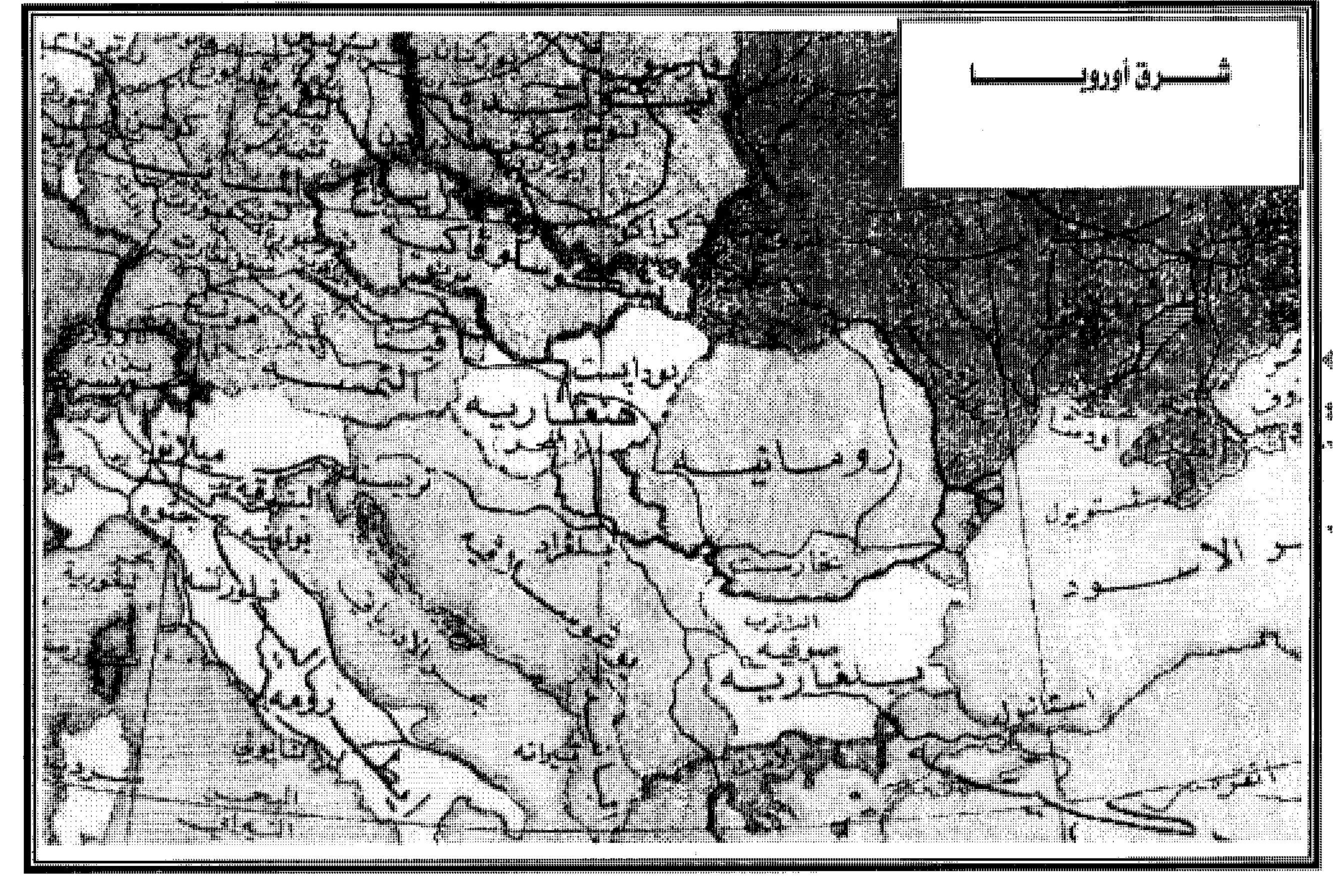
ولكن لئن لم يصح معنى الستار الحديدي في الوقت الحاضر، فإن معنى الستار العقيدي هو صحيح الصحة كلها.

فلقد تخرق الستار الحديدي، وزال أو كاد يزول، وذلك بسبب حاجة تلك الأقطار الشيوعية الواقعة خلفه إلى المال، وما يسببه الاتصال بين الشعوب من الأعمال التي تتدفق معها الأموال اللازمة لإصلاح الحال، في تلك البلاد المحتاجة، ولا سيما للحصول على العملات الصعبة التي هي أداة التبادل الاقتصادي الدولي.

وأقبل الناس من خارج الستار الحديدي من دول العالم الحر في القارات الست يترددون على تلك البلدان سياحاً ورجال أعمال في ميدان المال.

ثم أخذت قناة الشيوعيين تلين للصيد السمين الذي لا يطلب لقاء ما يبذله من عملات عالمية، إلا تسهيلاً في رؤية معالم البلاد، واطلاعاً على أحوال العباد.

حتى اختفت عبارة الستار الحديدي، ونسيت أو كادت، وأصبح الجيل الجديد من قراء الصحف وسامعي الأخبار لا يفقه لها معنى.



شرق أوروبا

سبب الرحلة:

من أهم الأعمال المنوطة برابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة توثيق عرى التعاون على البر والتقوى ما بين المسلمين في أنحاء العالم. وطبيعي أن الوصول إلى ذلك يحتاج أولاً إلى الحصول على معلومات ميدانية موثقة عن أحوال المسلمين من مصادرها الأصيلة، لأن من أهم أسباب التعاون المطلوب أن تكون هناك اتصالات مباشرة ما بين المسؤولين في رابطة العالم الإسلامي - وأنا أحدهم - وبين زعماء المسلمين والعاملين في الحقل الإسلامي في الدول المختلفة، فكانت لي رحلات كثيرة في تلك البلدان، بعضها كنت فيه منفرداً، وبعضها كنت مع جماعة من الإخوة والزملاء.

وكان من آخر ذلك رحلتي إلى الصين الشعبية على رأس وفد من رابطة العالم الإسلامي، وقد كتبت خلال الرحلة ثلاثة كتب، أحدها عنوانه: ((داخل أسوار الصين)). والثاني: ((في مهد الترك)) وهو يخص الحديث عن تركستان الشرقية والثالث: ((في جنوب الصين))، وقد طبع الأول والثالث، فكان لا بد من إتباع الرحلة إلى البلد الشيوعي الكبير وهو الصين، برحلة أخرى إلى بعض الأقطار الشيوعية في شرق أوربا، تليها بعد ذلك رحلة إلى الشيوعي الأكبر من حيث الأهمية وهو الاتحاد السوفيتي، حتى تكون لدينا صورة عن أحوال المسلمين في تلك البلاد الشيوعية، وعن الكيفية التي نستطيع بها مساعدتهم على أمور دينهم.

وكانت رحلتنا إلى ما ((خلف الستار العقيدي)) مؤلفة من وفد ضم عدة أشخاص هم:

محمد بن ناصر العبودي الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي (كاتب هذه السطور) رئيساً للوفد.

الشيخ عبد الرحمن بن سليمان الرويشد: عضواً.

الشيخ عبد الرحمن بن راشد بن عوين: عضواً.

الأستاذ محمد شاه: عضواً.

الأستاذ إبراهيم بن عبد الله الخزيم: عضواً.

الأستاذ رحمه الله بن عناية الله سكرتيراً للوفد.

وقد حملنا معنا مبلغاً من المال بالدولارات مساعدة للمساجد التي تحتاج إلى مساعدة عاجلة في تلك المنطقة، إذا سمحت حكوماتها بذلك.

وإنني أرجو أن أذكر القارئ الكريم في مبدأ هذا الكتاب بما حاولت أن أذكره به في كثير من كتبي في الرحلات، وهو أنه كتاب مشاهدات وملاحظات، وليس بكتاب دراسة عميقة، أو بحث مجمعي موثق بالإحصاءات والتفصيلات، فذلك له أماكن أخرى من كتب أخرى.

كما أن هذا الكتاب لا يضم إلا الحديث عن الرحلة في ثلاثة بلدان شيوعية هي: المجر، ورومانيا، وبلغاريا. أما يوغسلافيا فإن لها كتاباً خاصاً اسمه: ((ذكريات من يوغسلافيا))، وأما الاتحاد السوفيتي وبولندا فإن السفر إليهما لم يحن بعد.

وأما أشد الدول تمسكاً بالشيوعية وجموداً عليها وهي (ألبانيا) فإننا لم نستطع دخولها، رغم محاولاتنا الكثيرة لذلك، لأن حكومتها تخشى أن تعدي الحرية التي يتمتع بها زوار البلاد بعض المواطنين، فيفطنوا إلى أنهم كانوا ولا يزالون في بلادهم مستعبدين لأولئك الشيوعيين الجامدين المعاندين.

إن هذا الكتاب هو كسائر الكتب التي ألفتها، تعنى ببيان أحوال الإخوة المسلمين الحاضرة، وتسجيل ما يشاهده السائح عادة في البلدان التي يعيشون فيها على هيئة أقليات، فهو إذاً تسجيل معلومات ميدانية حية[١].

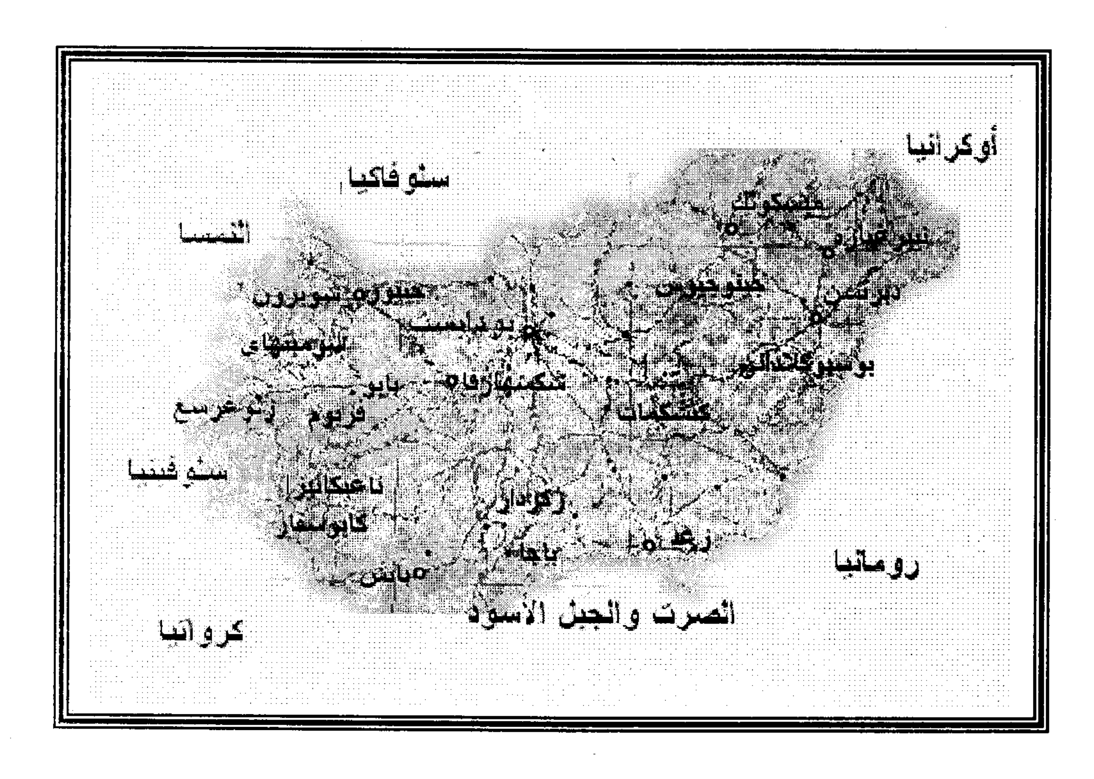
المؤلف

محمد ناصر العبودي

---

(١) كتبت هذه المقدمة مثل سائر الكتاب قبل سقوط الشيوعية وإعلان أهلها قبل غيرهم أنها قد أفلست، وأنه لا يرجى لها فلاح، وقد أبقيت اسمه على حاله لكونه يؤرخ لحالة كانت واقعاً وتغيرت.

بلاد المجر


أوكرانيا
سلوفاكيا
النمسا
بودابست
ناعيكانيزا
كابوسفار
باجا
رومانيا
الصرب والجبل الأسود
كرواتيا

بلاد المجر

قبل الوصول إلى المجر:

نود أن نذكر شيئاً من المعلومات المهمة عن المجر قبل الوصول إليها، والشروع في الحديث عن المشاهدات الميدانية فيها.

وذلك بنقل شيء عن ذكرها في المصادر العربية القديمة التي ذكرتها باسم (مجر)، و(ماجار)، و(وينقر) التي تطورت إلى (وينقاريا) حتى صارت (هنغاريا) في الوقت الحاضر.

ولما ذكرته من كون كتابي هذا هو كتاب رحلة واستطلاع، وليس كتاب بحث ودراسة، فإنني لن أتوسع في ذلك، تاركاً للقارئ الكريم الذي يريد التوسع أن يتخذ مما ذكرته وسيلة لتوسيع معلوماته عن البلدان المهمة.

المجر في المصادر العربية القديمة:

يكاد الباحثون يجمعون على أن أصول المجريين ترجع إلى أواسط آسيا أو شرقها، وإن كانوا يختلفون فيما إذا كانت تنتمي عنصرياً إلى المغول أو إلى الأتراك القدماء من سكان تركستان الشرقية.

وذلك لتجاور الشعبين المغولي والتركي في الموقع، وتقارب الصفات الجسدية فيما بين الأفراد فيهما. والدليل المشاهد الحاضر على ذلك في سكان قازاقستان من الشعب القازاقي الخالص، إذْ يرى المرء في ملامحه السمات التركية القديمة والملامح المغولية المشهورة، وقد أجمع المؤرخون على أن أوائل المجريين هاجرت من تلك المنطقة الآسيوية قبل مبعث الرسول ﷺ إلى الأصقاع الشمالية حول أسافل نهر الفولقا، ومن هناك اتجهت إلى شرق أوربا، وكانت منها قبائل الهون التي هاجمت أجزاء من أوربا في العصر القديم، ونعتها الأوربيون بالهمجية والوحشية، لكونها لم تكن على شيء من التعليم، وليست لها رسالة حضارية مدنية آنذاك.

وأكثر من رأيته نقل هذه المعلومات المكتوبة بالعربية هو الشيخ محمود.م. الرمزي في كتابه « تلفيق الأخبار » وهو كتاب ألفه بالعربية، وطبعه في مدينة

(أورنبورغ) في روسيا قبل سيطرة الشيوعيين في روسيا على الحكم، في مجلدين كبيرين، ولا يكاد يوجد شيء من نسخه في خزائن الكتب في البلدان العربية، فضلاً عن مكتبات البيع فيها، لذا رأيت أن أنقل هنا ما ذكر عن المجر وأرجو أن تكون فيه الكفاية.

الماجار: وربما يقال لهم في آثار المتقدمين: مجر، ومجفر، ومجفرد، وقد مر ذكر كونهم من بقايا قوم هون في آخر بيانهم، وهؤلاء مشهورون عند الإفرنج من أمة الأوغرة، قال رفاعة بك: وأمة الأوغرة التي تسمى أيضاً هنغرية، وأنغورة، وهنوغارة، وأبو غندورة، ولكن يسمون فيما بينهم (الماجار) باسم قبائلهم الأصلية. كانوا موجودين في القرن الخامس يعنى الميلادي جهة منابع نهر اتل بإقليم مكث إلى القرن الثالث عشر، يسمى هنغريا الكبرى (يعني أراضي باشقرد الحاضرة بما فيها بلدة بلغار)، ثم قربوا في القرن السابع والثامن والتاسع من شطوط نهري دون وأوزاق.

ومما يؤيد إقامتهم بهذه النواحي ما يوجد من آثار مدينة مسماة ما جار بالصحارى في الجنوب الغربي من حاجي طرخان، ثم انتهى أمرهم إلى أن تغلبوا إلى الأراضي الواسعة التي تسمى الآن باسمهم، (يعني الماجار، وهنغرية، ووينغيرية)، وكانت تخرج منهم قبائلهم السفاكة للدماء تارة لتحمل على ألمانيا، وتارة على إيطاليا، وقد التبسوا بالأوارة كما التبست الأوارة بالهون، ولكن كيف يتصور أن المجار أرباب القدود الرمحية، شم الأنوف، أن يكونوا من ذرية مغل أو الهون ذوي الخلقة الشوهاء، ولسان الماجار الذي له مناسبة بلسان الترك وغيره من الألسن الشرقية يشبه في حروفه الأصلية باللسان الفنية[١]، وهذا يدل على أن أصل ماجار إنما هو خليط ترك أو تتار مع الفنية[٢].

---

(١) أي لغة فنلندا.

(٢) هم الفنلنديون.

وعلى قول كاريين روبرقس[١]: إن البشكير سلف الماجار أو من جنسهم، ولغتهم كلغتهم أهـ.

وهذا القول يناقض قوله السابق، أعني قوله: ولكن كيف يتصور أن الماجار إلخ.

وحيث سلمنا خروجهم من منابع نهر أتل (الفولقا) وأراضي باشقرد لا بد من تسليم كون أصلهم وجنسهم هو الباشقرد بالضرورة، فإن في كلامه أيضاً تصريحاً بتسمية أراضي باشقرد هنغرية كبرى إلى القرن الثالث عشر، يعنى إلى خروج التتار، ومراده بمنابع نهر أتل منابع آق ابدل وما يصب إليه من سائر الأنهر، وقد بين كارامزين هذا بياناً صريحاً ظاهراً حيث قال: وبينا الكيناز أوليغ[٢] مقيم في أطراف نهري دينستر وبوغاً مضطراً (يعني في أواخر القرن التاسع الميلادي) جاء الأوغر مع خيامهم وحاصروا بلدة كييف[٣]، وهؤلاء الأوغر هم الماجار، والقوم المسمى الآن وينغرية، وهؤلاء الماجار أو الأوغر كانوا يسكنون سابقاً بقرب جبال أورال، ثم سكنوا في القرن التاسع بنواحي ليبيدى في شرقي كييف، وقلعة ليبدن الكائنة بولاية خارقف[٤] تخطرنا هذا الاسم وتذكرناه، ولما ضيق بجبنيغ على هؤلاء الأوغر عبر نهر دون وذهب إلى حدود مملكة فارس، يعني صحراء حاجي طرخان، وتوجه بعضهم إلى جهة الغرب، والموضع الذي أقاموا فيه بقرب كييف قد سمي في عصر نيسطور كان يسمى

(١) قلت وسيجيء في المقصد الثاني ذكر كاريين روبرقس هذا، وأنه من مراسيل بابا إلى خوانين التتار لدعوتهم إلى النصرانية، وذهب كارامزين بعد ذكره هذا وذكر تسميته الأراضي الكائنة بين نهر وولقا وجبال وأراضي باشقرد إلى أن باشقرد تركوا لغتهم الأصلية وأخذوا لغة التتار بعد استيلائهم على ديارهم. وعندي أن العكس أولى، أعني الذهاب إلى ترك ماجار لغتهم الأصلية وأخذهم لغتهم، لدلالة قرائن كثيرة عليه، أعني على كون لغة الماجار تركية. منه عفي عنه.

(٢) الكيناز: الحاكم الكبير في بلاد الروس في العصور القديمة.

(٣) كييف: عاصمة جمهورية أوكرانيا في الوقت الحاضر.

(٤) هي مدينة خاركوف في أوكرانيا،زرتها وتكلمت عليها بالتفصيل في كتاب:((خلال أوكرانيا بحثاً عن المسلمين)).

في عصر نيسطور أوغرسكا، ولا أدري هل أجازهم أوليغ بحسن اختياره، أو جازوا وتعدوا بالمحاربة والقوة والغلبة، وعلى كل حال إنهم عبروا نهر دينيبر واستكملوا مملكة مولداوريا وبيسرابيا ولوشينسكى اهـ. ولا تنسى ما ذكرنا في حقهم في آخر قصة هون نقلاً عن كارامزين، ولا تحوجني إلى التكرار وراجع هناك.

قال بعض فضلاء العصر إن الأوغر هم الماجار، وذهب بعض المؤرخين إلى كونهم من أويغور مستدلاً بتسميتهم بأونغر وأونغاريا اللذين هما مأخوذان من أون أو يغور، إلا أن الماجار ينكرون كونهم من أويغور، ويحاولون في هذه الأزمنة الأخيرة إثبات كونهم من جنس بلغاريا. اهـ.

والحاصل أن المؤرخين متحدون في القول بكون أصل الماجار والبلغار والأوار والخزر والباشقرد وجنسهم متحداً[(١)]؛ ولذلك يطلق لفظ أوغر عند الإفرنج على بلغار طونه، كما يطلق على الماجار، ويحتمل أن يكون إطلاق هذا اللفظ عليهم لأمر عارض، لا من جهة أنتوغرافيا، وذلك الأمر خروجهم من أصل وطنهم السابق الذكر للسرقة وقطع الطريق، فإن لفظ أوغري[(٢)] عند غير العثامنة من الأقوام التركية يطلق على اللصوص والسراق وقطاع الطريق، وهذه الأوصاف كانت موجودة في الماجار سابقاً كما مر، وباقية إلى الآن بكمالها في بلغاريا طونة. والله سبحانه أعلم.

وذكر ابن بطوطة في رحلته المشهورة المسماة بـ « تحفة النظار » دخوله مدينة ماجار التي سبق ذكرها عن رفاعة بك في عصر سلطنة السلطان محمد

---

(١) قد مر ذلك نقلاً عن كارامزين عند ذكر البجاناك، وقال رفاعة بك بعد بيان ماجار وأوار وبلغار وأوغر: وإذا تأملنا في أوصاف هؤلاء الأقوام ومنازلهم وأزمنة خروجهم، يمكننا أن نحكم بكونهم من جنس واحد، وإن لم نحكم بكونهم ملة واحدة من جميع الوجوه ا.هـ. وهو كلام صدق لا غبار عليه. منه عفي عنه.

(٢) ويحتمل أن يكون محرفاً من لفظ يو غارى (يوقارى) بمعنى الفوق والأعلى، يسمون أولاً بذلك لخروجهم من أعالي نهر أيدل، أعني أراضي باشقرد وبلغار، ثم يحرف إلى يوغر وأوغر ونظائرهما. والله سبحانه أعلم. منه عفي عنه.

أوزبك خان عليه الرحمة والغفران، أعني في أواسط القرن الثامن الهجري حيث قال: ((وسافرت إلى مدينة الماجر وهي - بفتح الميم وألف وجيم مفتوح معقود وراء - مدينة كبيرة من أحسن مدن الترك، على نهر كبير، وبها البساتين والفواكه الكثيرة، نزلنا منها بزاوية الشيخ الصالح العابد المعمر محمد البطائحى من بطائح العراق، وكان خليفة أحمد الرفاعي ﷺ. وصلينا بها صلاة الجمعة)). إلى آخر ما ذكره في رحلته المذكورة ص ٢٠٠ ج ١ طبع مصر.

وكان دخوله إليها بعد ارتجاله من مدينة أوزاق، وقبل وصوله إلى بش داغ (بيتى غوريا) حين سفره من قريم[١] إلى سرى، وقال الجنابي عند ذكره محاربة تيمرلنك وتوقتامش خان في سنة ٧٩٨هـ: ((لما بلغ تيمر رجوع توقتامش خان، سار إليه ونازله إلى أن غلبه على ملكه، ففر إلى بلغار وتغلغل حتى وصل إلى روس وجركس و(ماجار)، فمن ذلك العصر انتقل جيل (ماجار) من طرف الشرق إلى طرف الغرب، واستوطنوا في نواحي طونة)) ا.هـ .

فعلم من هذا أن بلدة ماجار المذكورة خربت في التاريخ المذكور مع سائر البلاد التي خربها تيمرلنك فيه، وهاجر أهلها إلى وينغرية وبلاد ماجار عند إخوانهم الذين كانوا يسكنون فيها من القديم.

والحاصل أن الذي يفهم من الأقوال السابقة واللاحقة أن (الماجار) بقوا هناك من دولة هون، ثم لحقهم بواقيهم من أطراف جبال أورال وسواحل وولقا[٢] تدريجاً بمرور الزمان، وإلا لا يمكن التطبيق بين تلك الأقوال كما لا يخفى. والله سبحانه أعلم.

وقال بعض فضلاء عصرنا: إن (الماجار) جاءت إلى أطراف نهري طونة وتيس تحت قيادة قائدهم آرباد بدعوة قرال ألمانيا آرنواف اياهم، وبعد محو دولة

---

(١) ولذلك قال في القاموس: ((ماجر على وزن هاجر: بلدة بين صراية وأوزاق)) ا.هـ. لكن حرّفه النساخ بزيادة نقطة فوق الصاد، فوقع مترجمه في الغلط فاعرفه. منه عفي عنه.

(٢) يقصد نهر الفولقا.

موراويا سكنوا بصحراء تيس، وحيث كانوا وقت مجيئهم من آسيا على حالة البداوة من الرحلة والنزول والنهب والغارة، بقوا على تلك الحالة في وطنهم الجديد أيضاً مدة مديدة، وأزعجوا بذلك الأوروبا الغربية إزعاجاً شديداً إلخ.

ولننقل الآن كلام بعض سواحي المسلمين وجغرافيهم في حقهم، قال أبو علي أحمد بن داسة في الأعلاق النفيسة، الفصل الرابع: ذكر المجغرية وبين بلاد البجاناكية وبين بلاد إسكل من البلكارية، أول حد من حدود المجغرية جنس من الترك، ويركب رئيسهم في مقدار عشرين ألف فارس، ويسمى الرئيس كنده[1]، وهذا الاسم شعار ملكهم، يعنى عنوانه ولقبه، لأن اسم الرجل المتملك عليهم جله، وكل المجغرية يصغون إلى ما يأمرهم به رئيسهم المسمى جله من محاربة وممانعة وغيرهما، ولهم قباب يسيرون مع الكلأ والخصب، وبلادهم واسعة، وحد منها يتصل ببحر الروم ينصب إلى ذلك البحر نهران، أحدهما أكبر من جيحون، ومساكنهم بين هذين النهرين، فإذا كان أيام الشتاء قصد كل من كان أقرب منهم من أحد النهرين ذلك النهر، وأقام هنالك تلك الشتوة، يصطادون منه السمك، ومقامهم في الشتاء هناك أوفق لهم، وبلاد المجغرية ذات شجر ومياه، وأرضهم ندية، ولهم مزارع كثيرة، ولهم الغلبة على جميع من يليهم من الصقالبة، ويلزمونهم المؤن الغليظة، وهم في أيديهم مثل الأسرى، والمجغرية عبدة النيران، يغيرون على الصقالبة فيسيرون بالسبايا مع الساحل حتى يأتوا بهم مرقى بلاد الروم، ويقال له كرخ، ويقال إن الخزر فيما تقدم كانت قد خندقت على نفسها اتقاء المجغرية وغيرهم من الأمم المتاخمة لبلادهم، فإذا سارت المجغرية بالسبايا إلى كرخ خرجت إليها الروم، فتسوقوا هناك ودفعوا إليهم المماليك، وأخذوا الديباج الرومي والزليات وسائر متاع الروم. انتهى كلام الشيخ رمزي[2].

---

(١) ولعله بضم الكاف، ولعله أصل لفظ القونت. منه عفي عنه.

(٢) ((تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار، في وقائع قازان والبلغار وملوك التتار)) ١/ ٢٢٦-٢٣٠. طبع المطبعة الكريمية والحسينية في أورنبورغ - جنوب روسيا، عام ١٩٠٨م.

دخول الإسلام إلى المجر:

يعود تاريخ التأثير الإسلامي المبكر في المجر (هنغاريا) إلى الفترة ما بين القرنين ٨ و ١٣ الميلاديين من خلال الاتصال المباشر مع القبائل التركية التي كانت تجاور قبائل المجر في منطقة الفولقا السفلى، ثم هاجرت تلك القبائل التركية مع قبائل المجر التي تمتّ بصلة القربى لها إلى حوض نهر الدانوب في القرن التاسع الميلادي. كما يرجع ذلك إلى هجرة الجماعات الإسلامية إلى هنغاريا التي كانت تتراجع مع الزحف المغولي، وقد ذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان حديثه مع أحد الطلاب المجريين في حلب سنة ١٢٢٨م، الذي قال له: بأنه من بلاد الهنكر (هنغاريا)، وأن هناك ثلاثين قرية مسلمة، وأنهم مسلمون على مذهب الإمام أبي حنيفة ﷺ. وقد هاجر إلى بلاد المجر بعض الأئمة من الأندلس، منهم أبو حامد الغرناطي الذي ذكر الكثير من أخبار المسلمين في المجر في كتابه ((تحفة الألباب ونخبة الآداب)).

وبعد أن فتح العثمانيون مدينة بودابست عام ١٥٢٦م أصبحت معظم بلاد المجر ضمن الدولة العثمانية التي لم يدم حكمها أكثر من ١٧٣ عاماً، إذ اضطرت إلى الخروج منها في عام ١٦٩٩م.

وقد تكاثر المسلمون أيام الحكم العثماني، خاصة في الجنوب، وكان لهم في العاصمة بودابست وحدها ٨٣ مسجداً وجامعاً وعشر مدارس إسلامية، منها مدرسة مصطفى سقلا باشا، وعدد كبير من المكتبات والزوايا، ولم يبق من الآثار الإسلامية في بودابست اليوم إلا مقبرة الشيخ كل بابا الذي استُشهد عند فتح السلطان سليمان القانوني لمدينة بودابست، ويرجع تاريخ بنائها إلى عام ١٥٤٨م.

وفي جنوب المجر حيث مدينة بيج PEG يوجد مسجدان، أحدهما حوّل إلى كنيسة كاثوليكية، والآخر مغلق، وفي شارع نيار يوجد ضريح الشيخ إدريس بابا، كما أن هناك بعض الآثار الإسلامية في مدينتي كنتسه وايغر Eger ، وفي قرية حمزة بك وسيلكوس وسزغيد.

خلال الحكم العثماني كان عدد المسلمين يبلغ مائة ألف مسلم، ولكن الوجود الإسلامي تعرض لسياسة التنصير والامتصاص مرتين، أولهما قبل الحكم العثماني على يد الملك كارل روبرت (١٣٠٨-١٣٤٢) الذي أجبر المسلمين على التنصر، وثانيهما على يد أمراء آل هابسبورغ وحلفائهم من ملوك النمسا الذين آل إليهم حكم المجر بعد خروج العثمانيين منها، وأدى إلى هجرة الكثير من المسلمين عنها بسبب التعصب المسيحي وفرض التنصير على المسلمين، ونعتقد أنه كان يوجد مسلمون مجريون في ذلك العهد، ولكنهم مختفون خشية من البطش والتنكيل.

تاريخ المجر الحديث:

بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها بهزيمة دول المحور، تنازلت النمسا التي كانت تحكم المجر عن سيادتها فيها. وأصبحت المجر جمهورية مستقلة، تولى السلطة فيها سياسي وطني اشتراكي ديمقراطي هو (جرافت كارولي GRAFT KAROLY) الذي كان يحمل في خياله السياسي أحلاماً كبيرة باستعادة مجد الأمة المجرية الضائع، باسترداد الأقاليم المجرية الكثيرة التي اقتطعتها رومانيا، وكونت بها دولة كبيرة في شرق أوربا، ولكن الحلفاء المنتصرين في الحرب الأولى، لم يتركوا كارولي يحقق أحلامه، وآمال شعبه، لقد تدخلوا في البلاد، وأقالوه في مارس عام ١٩١٩م، وحددوا حركة الجيش الهنغاري، واقتطعوا جزءاً من أراضي المجر وضموها لتشيكوسلوفاكيا، ثم جاءت بمباركتهم حكومة بلاكن BELLKUN الذي كان اشتراكياً أيضاً، وقد احتفظ لنفسه في ذلك التشكيل الوزاري بحقيبة وزارة الخارجية.

ورغم ما أعلنه (كن) من شعارات ووعود، :إلا أنه فشل في تحقيق أي إنجاز يذكر للمزارعين والفلاحين، ولذلك لم تستمر فترة حكمه أكثر من أربعة أشهر، إذ أطاح به انقلاب عسكري.

وفي أول أغسطس ١٩١٩م فر (بلاكن) وأسرته إلى الاتحاد السوفيتي حيث أكرمته السلطات ومنحته سكناً ومزرعة، وظل في الاتحاد السوفيتي إلى أن توفي.

وفي عام ١٩٦٢ طالب مؤتمر نقابة الصحفيين الهنغاريين الذي انعقد في ذلك الوقت، برد الاعتبار لـ (بلاكن)، واعتبار أن فترة حكمه كانت قصيرة، ويجب أن تشفع له في فشله وتقصيره عن تحقيق شعاراته. واستجاب السكرتير العام للحزب الشيوعي المجري (يانوش كادار) وقتئذ لطلبهم. حيث طلب من أرملته وابنه العودة إلى بودابست للإقامة تحت رعاية الدولة.

كان قائد الانقلاب الذي أطاح بحكومة (كن) هو الأدميرال نيكولاس هورتى NICHOLAS HORTHY وقد نجح في انقلابه بمساعدة الرومان، الذين يهمهم إضعاف المجر، حتى لا تطالب بأراضيها التي اغتصبتها رومانيا، وضمتها لها. أسس (هورتى) أول نظام فاشي في أوربا، قبل هتلر وموسوليني وسالازار. ونفذ إعدامات واغتيالات سياسية للشيوعيين والاشتراكيين، ولكن رغم ذلك لم يؤثر على علاقاته بالرومان الذين كان النفوذ الشيوعي وسطهم هائلاً، أدى إلى أن تكون رومانيا أول دولة شيوعية في أوربا الشرقية بعد استيلاء الجيش الأحمر عليها. وكذلك لم يبد بلاشفة الكرملين قلقاً شديداً حيال حكم (هورتى) الدموي، لأنهم كانوا يخوضون معارك داخلية، وكانت أقدامهم تهتز تحت الثلوج المتحركة في روسيا، وعلى أي حال لا تزال بعض جوانب ذلك الموقف خفية عن الباحثين في التاريخ المجري الحديث.

ورغم فاشية (هورتى)، فقد كانت له هيبة احترمتها أوربا، وحقق بعض الإصلاحات الاقتصادية. وانتعشت الصناعة المجرية في عهده، مما قلل من العطالة في المدن، ومد خطوط المواصلات الداخلية. ويصف بعض المؤرخين نظامه بـ « الفاشية الأرستقراطية » التي لا تهدف إلى تدمير طبقة على حساب أخرى، بل تسعى لضمان نمو الطبقات المتوازن، واحترام هيبة وسيادة الدولة.

وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية، وجد (هورتي) نفسه قريبا من هتلر ونازيته، لذلك انحاز إلى جانبه، وسمح للجيش الألماني بالتواجد على الأراضي المجرية، وتنفيذ السياسة النازية ضد اليهود المجريين، حيث تم تجميع نحو ٤٠٠.٠٠٠ منهم في معسكرات التجميع النازية

وكان (هورتي) يعتقد أن هتلر لن يغامر بمهاجمة الاتحاد السوفيتي، فيضع المجر ويوغسلافيا هدفاً لهجمات الجيش الأحمر، الذي لا يرغب في مواجهته.

ولكن خابت توقعاته، وحدث ما خاف منه، فقد رجح التوازن الحربي لصالح الحلفاء، واغتنم (ستالين) تلك الفرصة السانحة فسير فرقاً من الجيش الأحمر أطاحت بحكومة (هورتي). وهنا لم يفقد الفلاحون والعمال المجريون الأمل نهائياً في تحسن أحوالهم الاقتصادية تحت نظام اشتراكي، يعتقدون أنه يراعي العدالة في الأراضي الزراعية والمصانع الإنتاجية.

وفي ديسمبر ١٩٤٤م سارع (ستالين) بإصدار أوامره بتشكيل حكومة شيوعية في المجر التي أصبحت معظم أراضيها في قبضة الجيش الأحمر، ففي بيان إذاعي من إذاعة مدينة دبرتسن DEBRECIN التي تقع بالقرب من الحدود مع رومانيا تم إعلان تعيين الجنرال بلاميكلوش دى دولنوك BELAMIKLOS DE DOLNOK.

كان الجنرال (ميكلوش) قائداً عاماً سابقاً للجيش المجري، وكان وثيق الصلة بالمخابرات الروسية، مما جعل (ستالين) يطمئن إليه.

شكل (ميكلوش) حكومة انتقالية، كان أبرز نجومها الجنرال يانوش فورس YANOS VOROS الذي نال حقيبة الدفاع إذ كان مقرباً من الزعيم الجديد حيث شغل منصب القائد العام للجيش قبل أن يخلفه (ميكلوش). ودخل مجلس الوزراء الانتقالي أيضاً الجنرال فراجو FARAGO، الذي كان أيضاً من الأصدقاء المخلصين لرئيس الوزراء الجديد، لكن أبرز نجوم الحكومة الذي ترك بصماته على تاريخ المجر الحديث هو (إمري ناجي) IMRI NAGY وزير الزراعة، إذ كان الدينمو المحرك لسياسات الإصلاح الزراعي، وبقية أعضاء الحكومة كانوا من قيادات الحزب الشيوعي المجري والحزب الاشتراكي

الديمقراطي وحزب المزارعين الصغير.

والنسيج الذي ربط بين أشلاء تلك الوزراء المتنافرة هو عصا (ستالين) الآمرة، وديناميكية شخصية (ناجي)، ومقبولية أفكاره في الإصلاح الزراعي لدى جماهير المزارعين.

كان (ناجي) يحاور أعضاء الوزارة الشيوعيين، بأن الإدارة الجماعية لها أصولها في أفكار (لينين)، (تروتسكي)، (سنوفيق)، (بخارين) والمفكر الماركسي المجري (ألكسندرا كولونتاي ALEXANDRA KOLLONTAI فنال (ناجي) تأييداً كاسحاً من النقابات العمالية. وحاز كذلك مساندة بعض قواعد الحزب الشيوعي، التي وجدت أفكاره متطابقة مع تطلعاتها وآمالها في التغيير الاقتصادي، ولكن تلك الأفكار بقيت على الذاكرة فقط، إذ تردد رئيس الحكومة في تنفيذها، لعدم تيقنه من موقف الكرملين، إذ كان (ستالين) في ذلك الوقت مشغولاً بتسويات ما بعد الحرب العالمية الثانية، لزيادة حصته من الغنائم ليكمل بناء إمبراطوريته الواسعة في شرق أوربا. وحدث أمر غريب، فقد بدأت عمليات تطهير واسعة لصفوف الأحزاب الشيوعية في بلغاريا، وتشيكوسلوفاكيا، والمجر، من العمال، لأن نفوذهم بدأ في التصاعد، وكثرت شكاواهم من استئثار المثقفين والتكنوقراط بالسلطة، لذلك لو تركوهم للمشاركة في انتخابات المركزيات القادمة لأسقطوا القيادات كافة.

ولذلك طرد الحزب الشيوعي المجري عشرات الألوف من أعضائه العمال، ويقال: إن الرقم تجاوز مائتي ألف عضو.

وما أن أعلن الكرملين فجأة وفاة (جوزيف ستالين) يوم ٦ مارس ١٩٥٣م، حتى تنفس المجريون الصعداء، وظنوا أن القبضة الحديدية ستخف عليهم، كما انتعشت آمال (تيتو) في قيام نظام شيوعي في المجر موال له.

وحدث تغيير في رأس السلطة، استقال أو أقيل (ميلكوش)، وقفز (ناجي) وزير الزراعة عام ١٩٤٤م، ثم الداخلية عام ١٩٤٦م، إلى رأس السلطة. وفي أول

خطبة له ركز على الإصلاحات الاقتصادية لمصلحة جماهير العمال، وانتقد الخطة الخمسية التي بدئ في تنفيذها منذ عام ١٩٥١م.

بدأت حكومة (ناجي) في تبني إصلاحات ناجزة، كان لها مردودها على الشعب، فقد أخرج آلاف المعتقلين السياسيين من السجون، وحسن أحوال العمال، ورفع أجورهم، وانتعش الاقتصاد نسبياً، وظهرت الصحف المعارضة، تشهر صوت النقد ضد الحكومة، وتعلن الفساد في الحزب، وتنفس المجريون هواء الحرية، وظنوا أن الضوء ينتظر مسيرتهم في نهاية نفق مظلم، خاصة بعد سماعهم نبأ استقالة (مالنكوف) الرجل الثاني في الكرملين عند وفاة (ستالين)، وتولى (نيكيتا خرتشوف) ذي الميول الإصلاحية السلطة هناك، كما اعتقدوا.

فقد طربوا لذلك كثيراً، واعتقدوا أن زعيم الاتحاد السوفيتي الجديد لن يعارض مسيرة الإصلاح في بلادهم، لكن وقعت مفاجأة أخرى في يوم ١٨ أبريل ١٩٥٥م: انعقدت الجمعية الوطنية (البرلمان) وأصدرت قراراً بالإجماع بتجريد (ناجي) من كافة مناصبه في الحزب والدولة، وتعيين (راكوزى) RAKOSI مكانه، وتم فيما بعد فصل (ناجي) من عضوية الحزب، وادعوا أنه لم يكن عضواً أصلاً، ونعتوه بالفاشية، والميول الرأسمالية. وكان واضحاً أن تلك الخطوة تمت تحت إملاء القيادة الجديدة في الكرملين، مما شكل خيبة أمل كبيرة للشعب، خاصة فئات الفلاحين والعمال.

كان متوقعاً أن يحظى إقصاء (ناجي) من الحزب ورئاسة الوزراء، بمعارضة جماهير العمال والفلاحين التي استهدفت الإصلاحات تطوير مستوى حياتها، وتلا ذلك تصفيات سياسية في هياكل الحزب العليا من القيادات العمالية في الهرم الحزبي، للظن في ولائها (لناجي) وخططه، ومن جديد عادت فلول المثقفين النظريين والتكنوقراط تمارس عربدتها اللفظية في أروقة الحزب.

بدأت النقابات تنظم صفوفها، للضغط على بودابست لإعادة تعيين (ناجي) الذي ظل متمتعاً بالحرية والحرمة داخل مدينة بودابست، وطالب العمال بفتح

الحزب للجماهير البروليتارية لتمارس دورها فيه.

كان (خروتشوف) يراقب الأمر بحذر وقلق شديدين، فهو لا يريد تكرار تجربة قمع ثورة عمال برلين الشرقية في يوليو ١٩٥٣م، لكنه في ذات الوقت خشي من أن ينتهز (تيتو) الفرصة ويساعد العمال المجريين في تأسيس نظام اشتراكي مستقل عن الكرملين، وأعطى الخيار الأول لحكومة بودابست لتخمد الانتفاضة، وبعد أسبوعين من الاضطرابات وفشل الحكومة وانقسامها حول سبل تهدئة الأوضاع، استيقظت بودابست عند الساعة الرابعة من فجر يوم ٤ نوفمبر ١٩٥٦م على دوي نيران مدافع الجيش الأحمر.

لقد دفع (خروتشوف) عبر شريط الحدود الروسية المجرية الضيق، وعبر حدودها مع رومانيا بـ ١٥ لواء مدرع، و٦٠٠٠ دبابة، تمركزت في كل شوارع بودابست، واحتلت الأماكن المهمة مثل: البرلمان، دار الحزب، مجلس الوزراء، الإذاعة، المطار، ومحطات السكك الحديدية، كما حدث احتلال كامل لكافة المدن المجرية المهمة.

لم يصدق العالم أن يتدخل خروتشوف) الذي شن الحرب على الستالينية، لقمع ثورة شعبية، حطمت تمثال (ستالين) في بودابست، ورفعت شعارات ثورة أكتوبر، ولم تعلن محطة الإذاعة المجرية النبأ، وانتقلت الأخبار إلى العالم الخارجي عبر ما كتبته البرافدا يوم ١٩٥٦/١١/٤، أي صباح الغزو، كتبت تعليقاً (مموهاً) عن تلك العملية، جاء فيه: ((اليوم تستأنف الشقيقة المجر الشعبية رحلة الأوبة إلى الاشتراكية، بعدما حاولت الفئات الرجعية من موظفين وغيرهم، تعطيل تلك المسيرة بالأحداث الأخيرة)).

وفي يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦م كتبت صحيفة DAILY WORKER الناطقة بالإنكليزية في بودابست، والتي تتبع للحزب ما يلي: ((لقد طلبت حكومتنا المساعدة العاجلة من الحكومة السوفيتية الشقيقة، تفويتاً للفرصة على العناصر الفاشية التي تريد الإضرار بأمن بلادنا)).

ونفذت القوات مذابح دموية في قادة الثوار ورموزهم، وكل من أبدى معارضة سواء كان عسكرياً أو مدنياً، ويقول الكاتب المجري (أندى أندرسون ANDY ANDERSON) : إن رقم القتلى حتى الآن غير معروف، بينما ترجح مصادر أخرى فرعية من منظمي الثورة الذين لا زالوا على قيد الحياة أن عدد القتلى بلغ حوالي ٤٠٠,٠٠٠ مواطن مجري، ولجأ إلى النمسا ٢٥٠,٠٠٠ شخص، تم استيعاب معظمهم في معسكر (ترايسكيرخن) قرب فيينا، ولكن في وقت لاحق قام الجيش الأحمر بإغلاق الحدود المجرية النمساوية، وبالتالي ضاعت الفرصة على الراغبين في الفرار، وازداد عدد القتلى.

أما مصير (ناجي) فقد كان مأساوياً، ويبدو أنه علم بالغزو من خلال اتصالاته، أو بحسه السياسي، ولذلك جمع أبرز رجاله حوله من أعضاء مجلس وزارته وعددهم ١٥ شخصاً، وبينما كانت طلائع الجيش الأحمر تمشط شوارع بودابست، عند الساعة الرابعة من صباح٤/١١/١٩٥٦م، وصل (ناجي) ورفاقه إلى مبنى السفارة اليوغسلافية والتجأ إليها، وأجرى اتصالات مع (تيتو) لتأمين دخوله إلى يوغسلافيا، ولم تشأ القوات الروسية اقتحام السفارة والقبض عليه، لخوفها من غضبة (تيتو)، الذي تحسنت علاقته مع (خروتشوف) كثيراً بعد وفاة (ستالين).

وحتى يوم ١٦/ ١١/ ١٩٥٦م، لم تشكل هناك أية حكومة، إذ كان الجيش الأحمر منهمكاً في قتال المدنيين في الشوارع بكل الأسلحة، حتى قنابل الملتوف كوكتيل، ولما تبين أن الوضع حسم لصالحهم، تم إصدار التعليمات للعميل المخلص (يانوش كادار YANOS KADAR) وزير الداخلية، الذي لقب أثناء الثورة بجزار بودابست، أذاع بياناً من مدينة زولونوك SZOLONOK أعلن فيه أن اللجنة المركزية للحزب قد أوصت بتعيينه سكرتيراً عاماً، ورئيساً للوزراء، وأنه بتلك الصفة يطلب العون السريع من الحكومة السوفيتية لإقرار النظام والسلام بالبلاد، وأنه سيشكل حكومة العمال والمزارعين.

وبتعيين (كادار) في مركز السلطة الرئيسية، أحكم الروس قبضتهم على البلاد، وقمعوا الثورة التي كادت أن تسلخ المجر عن معسكرهم، لكنها

نجحت فعلاً في إضعاف النظام الشيوعي، الذي ظل قائماً تحت إرهاب الجيش الأحمر المتواجد على طول البلاد المجرية منذ ١٩٥٦م.

بقي للروس بعد الآن أن يحسموا أمر (ناجي) الذي لا زال تحت حماية السفارة اليوغسلافية، ومما أجبرهم على الإسراع بحسم قضيته، هو إعلان اتحاد عمال بودابست في يوم ٢١ نوفمبر عزمه على تنظيم مسيرة احتجاج سلمية ترفض الاعتراف بالحكومة الجديدة، وتطالب بعودة (ناجي)، لكن وزير الداخلية الجديد (لازلو بيروش LASZLO PIROS) حذرهم ونشر قوات الشرطة، ولما لم يكترثوا لتلك التهديدات سد الجيش الأحمر طرقات بودابست المؤدية إلى نقطة التجمع في الإستاد الرياضي، واعتقل قادة اتحاد العمال، وهكذا انتهى آخر يوم في ثورة ١٩٥٦م.

اتصل (كادار) تليفونياً بـ (ناجي) وطمأنه أنه لا يريد اعتقاله، وسيسمح له بمغادرة البلاد إلى رومانيا، ثم بعد ذلك إلى أي جهة يريدها، لكن (ناجي) أكد أنه يرغب في الذهاب إلى يوغسلافيا، ورد (كادار) بأن ذلك غير ممكن، لحساسية العلاقات مع (تيتو)، وتشاور (ناجي) مع رجاله الخمسة عشر، وأقنعوه بالخروج، ولكن تحت حماية الدبلوماسيين اليوغسلاف، أحضر الرومان عند الساعة ٦,٣٠ يوم ١٩٥٦/١١/٢٣م حافلة تمركزت عند بوابة السفارة الخارجية وتحت حماية السفير اليوغسلافي، ثم بدأ (ناجي) ومجموعته في الخروج، وما أن اكتمل صعودهم على متنها وبدأت في التحرك، حتى هاجمتها فرقة كوماندوز للجيش السوفيتي، ومنعوا الدبلوماسيين اليوغسلاف من الوصول إلى (ناجي). وطبيعي أن يغضب (تيتو) ويطالب بإخلاء سراح (ناجي)، وترك الباب مفتوحاً له ليسافر إلى أي « ديمقراطية شعبية » يختارها، لكن (كادار) أبلغه في حياء أنه لا يعرف شيئاً عن عملية الاختطاف تلك.

وتصرف الروس بسرعة حيال (ناجي)، لقد شنقوه مع رجاله، وعلقوا جثته في الهواء لمدة ساعات، وبهذه الطريقة المأسوية تم طي صفحة (ناجي)، الذي لا زال حياً في ضمير شعبه. ويرى بعض الباحثين أن (أمري ناجي) من أصل مسلم،

وأن أمري أصلها (عمر) أو (عمري) بلفظ النسبة لعمر، إذْ إن (أمري ناجي) اسم تركي إسلامي، كما أن ملامح (أمري ناجي) وقسمات وجهه تدل على أصوله الشرقية، لأنه كان طويل القامة، أسود الشعر، وهذه ملامح نادرة في الشعب المجري، وكانت بشرته صفراء، ولذلك ترجح كثير من المصادر صحة أصله الإسلامي، إذ اضطرت كثير من الأسر المجرية بعد فترة الحكم العثماني، أن تعتنق المسيحية، لكنها احتفظت بأسمائها الإسلامية عبر عشرة أجيال.

بعد أن قضى (كادار) بمساعدة الجيش الأحمر على الثورة، وسمح للروس ببناء القواعد العسكرية للتواجد بصورة دائمة، وخاصة قرب الحدود المجرية النمساوية، وأصبح الشعب المجري يعيش وضعاً اجتماعياً معقداً، بسبب آثار الثورة التي خلفت آلافاً من اللاجئين الذين تمكنوا من الفرار، كما تشرد آخرون في كل من رومانيا ويوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا، شكلوا مشكلة مستمرة لدول حلف وارسو، إذ لم تمنح المواطنة الكاملة لهم، رغم بقائهم هناك حوالي (٤) عقود من الزمان، ولم يتخلوا كذلك عن ثقافتهم ولغتهم المجرية.

وصمت (كادار) عن معالجة وضعهم بسبب ارتباط بلادهم، مع تلك الدول، باستثناء يوغسلافيا، في معاهدة حلف (وارسو)، اتجه إلى تبني السبل الكفيلة بمنع اندلاع ثورة أخرى، فأجرى إصلاحات اقتصادية محدودة، لكنها كانت ذات مردود اقتصادي جيد، فقد انتعش القطاعان الزراعي والصناعي، وزادت كفاءتهما، وبدأ سياسة اقتصادية منفتحة نحو الغرب والدول المحايدة، خاصة النمسا وسويسرا، وكذلك ألمانيا الغربية تنشيطاً للسياحة، والتجارة معاً. وأصبحت المجر منتجعاً سياسياً يحظى برغبة المصطافين، كما نفذ في عهده بناء مترو أنفاق (بودابست)، وهو الثاني من نوعه في عواصم شرق أوربا بعد موسكو، إذ لا زال حلماً لأغلب تلك العواصم أن تتمكن من بناء شبكة مواصلات تحت الأرض.

وما زال في السلطة حتى وصولنا إلى المجر.


اليوميات

يوم الأحد ٤/١١/١٤٠٥هـ -٢١/٧/١٩٧٥م.

على حدود المجر:

وصلنا حدود المجر من بلغراد عاصمة يوغسلافيا في مرحلة قصصت خبرها في كتاب ((ذكريات من يوغسلافيا)).

وكان ذلك على سيارتي أجرة استأجرناهما من بلغراد لعدم وجود رحلة جوية مناسبة لنا في ذلك اليوم، ولأن المسافة بين (بلغراد) والحدود ما بين المجر ويوغسلافيا ليست طويلة.

لم نتخوف من أمر الدخول إلى المجر كما كنا قد تخوفنا من ذلك عند الحدود البرية ما بين يوغسلافيا و(رومانيا)، لأننا نحمل سمات دخول من السفارة المجرية في أثينا، وكدت أقول - كما هو المعتاد- إننا نحمل على جوازاتنا تلك السمات لولا أنني تذكرت أن سمات الدخول التي معنا ليست على جوازاتنا، وإنما وضعتها السفارة المجرية في أوراق منفصلة من دون أن نطلب ذلك منها، وربما كان ذلك من باب الاعتياد على بعض السياح الذين يطلبون من السفارة أن تكون جوازاتهم خالية من أختام أية دولة شيوعية، على اعتبار أن بلادهم لا تحبذ السفر إلى البلدان الشيوعية التي لا تتبادل التمثيل السياسي معها.

أما نحن فإننا لا نريد أن نفعل شيئاً مخالفاً للنظام التي تسير عليه حكومتنا في السياسة والتعامل مع الدول، ولكن سفرنا هو بعلم من حكومتنا، بل وموافقتها، وقد فعلت ذلك بهدف نبيل، ألا وهو النظر في أمور الإخوة المسلمين الذين يعيشون داخل البلدان الشيوعية.

كان وصولنا إلى الحدود المجرية في الساعة السابعة عصراً، وقد بقيت في عمر النهار بقية إذ الشمس لا تغرب إلا في الثامنة والنصف في هذا الفصل الصيفي لشمال الأرض، وكان ذلك بعد استراحة في مدينة يوغسلافية على الحدود اسمها (سوبوتيا) تناولنا أثناءها الغداء.

وقبل الدخول إلى منطقة الجوازات المجرية التي تلت الخروج من مركز المغادرة على الحدود اليوغسلافية كان الطريق مغلقاً بخشبة معترضة، ما لبثت أن ارتفعت مفسحة الطريق لسياراتنا من دون أن نرى أحداً عندها، وقد عرفنا بعد ذلك أن شخصاً موجوداً على برج مرتفع كان يراقب القادمين، فإذا ما أقبلت سيارة معتادة ضغط من عنده على زر كهربائي فارتفع أحد طرفي الخشبة المعترضة مفسحة الطريق للسيارة، ثم عادت إلى إغلاقه بعد مرور السيارة منه.

وقفنا عند الجوازات في أول مبنى مجري وصلناه، ووجدنا قبلنا سيارات قادمة كان فيها قوم من أهل أوربا الشرقية، فرأيت عجباً من سلوكهم معهم.

وذلك فيما عليه ضباط الجوازات، وهو أن كل واحد منهم قد علق في صدره صندوقاً صغيراً له حبل فوق عنقه، وفي هذا الصندوق أختام الدخول وما يحتاج إليه الختم من حبر ونحوه، فإذا أراد الضابط الختم على أحد الجوازات رفع غطاء الصندوق فصار مسطحاً على هيئة المكتب الصغير، فيضع عليه الجواز ويختم عليه من فوق هذا المكتب الصغير المعلق في صدره، وإذا فرغ من ذلك أعاد غطاء الصندوق أو المكتب الصغير في موضعه من صدره.

وهذا ما لم أر مثيلاً له في مكان آخر من العالم، على كثرة ما زرت من البلدان الأجنبية.

تقدم أحد السائقين اللذين معنا بجوازاتنا، غير أن الضابط عندما رآها أمر السائقين بإيقاف السيارتين في ناحية الطريق بإشارة إلى الحاجة إلى المزيد من الوقت، ثم أفسح الطريق لسيارات أخرى، ودخل الضابط بجوازاتنا إلى داخل المبنى الذي كتب عليه بعبارة مشددة مغلظة أنه يمنع دخوله مطلقاً.

فبقيت الجوازات عندهم فترة لا ندري ماذا كان يفعلون بها خلالها، ولم يسألنا أحد عن شيء، وإنما شعرنا بأننا مثل غيرنا موضع مراقبة شديدة من الموظفين.

وأذكر أن أحدنا احتاج إلى دخول الحمام، فارتد قليلاً يريد البحث عنه،

فسارع أحد الضباط بعصبية يمنعه أن يتحرك إلى الوراء أو أن ينظر فيما وراء ذلك البناء، فلما أخبره بحاجته أدخله إلى حمام قريب لم نشعر به، مخصص للمسافرين المنتظرين.

وفيما عدا هذا فإن القوم قابلونا مقابلة جيدة، ليس فيها ترحيب من القلوب، ولكن فيها مجاملة افتقدناها عند الحدود الرومانية مع يوغسلافيا.

بل إن الغلظة التي قابلنا بها الرومانيون عند مركز الحدود البرية، والجفاء الذي ساد تصرفاتهم معنا، لم تكن موجودة هنا أصلاً.

عند ضابط التفتيش:

بعد انتظار مملّ لم يتخلله أي سؤال منهم أو جواب منا، ولم نعرف حتى سببه، جاؤوا بالجوازات وقد ختموا الورقة المنفصلة التي تحمل الإذن بالدخول، ولم يختموا على الجوازات نفسها بشيء.

فتحركت السيارتان إلى حيث التفتيش الجمركي، وكنت خائفاً من ذلك التفتيش، لأنني أحمل مبالغ مالية كبيرة على هيئة (شيكات) سياحية، أخذناها من أجل أن ندفع منها مساعدة للمساجد التي نرى أنها محتاجة، وتسمح حكوماتها الشيوعية بمساعدتها.

إضافة إلى أن كل واحد منا يحمل نقوداً أجنبية خاصة به، تعتبر كثيرة بالنسبة إلى ما يملكه أهل هذه البلدان الشيوعية التي يعم الفقر جميع سكانها من النقود.

ولكن جاءنا ضابط مهذب أمر بفتح حقيبة واحدة من الحقائب اختارها، ثم أمر صاحبها أن يقلب ما فيها، أي أن يدخل بيده أسفلها، ولم يمسها الضابط نفسه.

ثم قال: يمكنكم أن تنصرفوا. قال ذلك وهو ينظر إلى قلم (باركر) ناشف ثمين في جيب زميلنا الأستاذ محمد شاه، ويمد يده ليأخذه كالمتفرج

عليه، غير أنه عندما تأمله قال: أتسمح لي به؟

فأجاب زميلنا: نعم. فأخذه.

وقال: إنكم الآن قد انتهيتم من التفتيش، غير أنه لا بد للسائحين من أن يصرفوا مبلغاً من المال بالدولار قبل أن يسمح لهم بالدخول، فذهب أحد الرفقاء وصرف عن الجميع مائتين وثلاثين دولاراً بالسعر الرسمي من عملتهم الوطنية.

مدينة خورقس:

لم تنته إجراءات الدخول إلا بعد أن غربت الشمس بقليل، وتحرك الموكب، وقد بقي على الوصول إلى مدينة بودابست عاصمة المجر مائة وسبعة وستون كيلومتراً.

فاخترق الطريق الشارع الرئيسي من المدينة المجرية الواقعة على الحدود واسمها: (خورقس)، فرأيناها ممتازة الشوارع واسعة، تحفل كل شوارعها بإشارات المرور الضوئية واللافتات التي ترشد إلى الاتجاهات، كما تعم الخطوط البيض من الأرض كل الشوارع والاتجاهات، وهناك عدد من السيارات فيها، ولكنه ليس بالكثير. قال لنا السائق: ربما كان هذا بسبب كون اليوم هو الأحد العطلة الأسبوعية.

ثم غادرنا هذه المدينة التي لم نكن نعرف بوجودها من قبل على هذه الصفة، وإلا لكنا وضعنا في برنامجنا أن نبقى فيها بعض الوقت للراحة، لأننا كنا قد غادرنا مدينة بلغراد في الثامنة من هذا الصباح، وبقينا فترة في الحدود الرومانية، ثم عدنا منها إلى الحدود اليوغسلافية، وبعد ذلك واصلنا السير إلى هذه الحدود المجرية، ولم نتوقف إلا لشرب الشاي عند الحدود اليوغسلافية، وللغداء الذي صار عشاءً لأنه في مطعم واقع في أرض يوغسلافيا قبيل الحدود مع المجر بقليل.

ثم غادرنا هذه البلدة غير الكبيرة، قاصدين (بودابست) مع خط إسفلتي أفضل من الخط الإسفلتي في داخل يوغسلافيا.

وهو حافل أيضاً بالإشارات الضوئية ولوحات الإرشاد والأسهم التي خطت في صفحة الطريق، ترشد إلى الاتجاهات والمنعطفات بشكل لم أر له مثيلاً إلا في بلدان أوربا الغربية المتقدمة.

ويخترق الطريق ريفاً أخضر أكثره مزروع بالحقول، ومغروس ببعض الأشجار المثمرة، كما رأينا أشجاراً من أشجار الزيتون، لا أدري أهي مغروسة أم وحشية، لأن المنطقة تكون أبرد في الشتاء من أن يتحملها الزيتون.

ثم مررنا بعدة قرى، أو منازل على الطريق، وتبين كلها من ظلام الليل غير الحالك، جيدة التخطيط، حسنة المظهر، جميع شوارعها مزفتة.

الشفق الطويل:

استمر الطريق في سعته، وفي بروز العناية الفائقة باللوحات الإرشادية عليه، واستمر معه الشفق لفترة أطول مما قدرنا، بل استمر أكثر مما يكون عندنا بكثير، فلم يلفّه الظلام الدامس بعد، رغم مرور أكثر من ساعتين على غروب الشمس.

وهذا أمر ظاهر السبب، وهو أننا الآن في شمال الأرض، وشمال الأرض يطول نهاره في الصيف، ويطول لذلك شفقه، كما تطول الفترة الواقعة ما بين أول ظهور الفجر وطلوع الشمس، حتى إن صديقنا الشيخ (حمدي سباهبتش) مفتي بلغراد عندما سألناه عن دخول الفجر في بلغراد أجاب: بأن وقت الفجر يمتد من الساعة الثانية والنصف إلى الخامسة.

وذلك أن الأرض وهي ذات شكل كروي يميل إلى البيضاوي، يكون طرفها الشمالي قليل الكثافة بالنسبة إلى وسطها في خط الاستواء وما حوله، لذلك يبقى نور الشمس فترة في هذه الأماكن قبل أن يحجبه ظل الأرض غير العريض هنا.

كما أنه في الأماكن القطبية والقريبة من القطب الشمالي لا تغيب عنها الشمس في أيام من أيام الصيف، وفي بعض الأحيان لا تغيب عنها إلا لفترات

قصيرة.

غير أن أطول أيام الصيف في شمال الأرض يكون في اليوم الواحد والعشرين من حزيران (يونيو) ونحن الآن في شهر تموز (يوليو)، وقد بدأت الشمس بالانصراف جهة الجنوب.

ولاحظنا من خلال الأنوار التي كانت ساطعة في القرى أو البلدان التي على الطريق أن الأبنية القديمة فيها هي فاخرة، وذلك ما يظهر أنه بني في وقت سابق على حلول الشيوعية في هذه البلاد المجرية، وذلك إلى جانب الأبنية المتعددة الطوابق (العمارات) التي تقيمها الدول الشيوعية في العادة لموظفيها وعمالها، أو لمن يستطيعون من أفراد الشعب أن يدفعوا قيمتها شراءً مقسطاً، أو أجرتها إذا استطاعوا أن يجدوا واسطة لدى الجهات المسؤولة وقليل ما هم!.

واستمر السير مع هذا الطريق البري الجيد الذي كثيراً ما تتفرع منه طرق كتبت عليها الإشارات التي توضح اتجاهها، والقرى أو المدن التي ستذهب إليها. واستمرت ملاحظتنا لطول الشفق في هذه البلاد الشمالية، ولاحظنا إلى جانب ذلك أيضاً أن القمر الذي لا يزال هلالاً لأنه ابن ثلاث قد اتجه قرناه هنا جهة الجنوب، وليست جهة السماء التي هي جهة الشرق من موقعه، كما يكون في بلادنا وبخاصة في فصل الشتاء، وذلك بلا شك سببه أن الشمس واقعة الآن جهة الشمال الغربي عنه - إن صح التعبير - لأن الشروق والغروب، بل الجهات الست كلها نسبية، وليست حقيقية بالنسبة إلى جميع الناس في العالم في آن واحد، بل هي تختلف في جهات عنها في جهات أخرى.

ولذلك لا ينبغي أن يستغرب إذا قلت: إن الشمس عندهم في هذا الفصل من السنة لا تغرب في جهة الغرب التي نعرفها في بلادنا، وإنما تغرب جهة الشمال الغربي، أي جهة الشمال من موقع غروبها في بلادنا.

وذلك كله بالنسبة إلى بلادهم، وربما لا يصح أن يقال هذا الكلام إذا اعتبرنا أن المغرب هو الجهة التي تغرب منها الشمس، ولكن لا نفعل ذلك في كثير

من الأحيان، وإنما نقيس الأمور بالجهات التي نعرفها.

وقد يفسر ذلك لمن لا يتصوره أن نخبره أن الشمس تغرب عندهم الآن في الثامنة والنصف، وكانت قبل شهر لا تغرب إلا في التاسعة والربع، على حين أنها تغرب عندنا في السابعة.

ومرد ذلك إلى موقع بلادهم الموغل في جهة الشمال.

في مدينة بودابست:

دخلنا مدينة (بودابست) عاصمة المجر في الساعة الحادية عشر ليلاً، فإذا بها واسعة الشوارع، جميلة الحدائق، وذات جسور لمرور السيارات متعددة، وللمشاة كذلك.

ولم يكن الوقت يسمح بالتريث - فضلاً عن التوقف - وإنما كنا نقصد فندق (هولدي إن) فوقعنا مصادفة على فندق في شارع رئيسي توقفنا عنده نستجلي خبره، ونتعرف أثره، فأجابنا بأن لديه الغرف التي نطلبها، وهي ست، وأن أجرة الغرفة الواحدة ثلاثة وثلاثون دولاراً، تكون شاملة قيمة الفطور في مطعم الفندق.

واسم الفندق: (قراند هوتيل رويال) أي الفندق الملكي الكبير، ولك أن تعجب من قوم من الشيوعيين يسمون فندقاً سياحياً كبيراً باسم ملكي، والملكية بزعمهم تمثل الرجعية، مع أن الحقيقة أننا إذا قسنا الحالة في البلدان الشيوعية كلها ببعض البلدان الملكية مثل السويد والدانمارك وهولندا وبريطانيا، فإننا نرثي لحالة هؤلاء الشيوعيين الذين وصلوا إلى هذه الدرجة من الكذب والبهتان في إطلاق اسم التقدمية على بلدانهم، والرجعية على البلدان الملكية.

وعلى أية حال فنحن لم نلاحظ عند دخولنا لهذا الفندق ومعاملة أهله لنا شيئاً من الرجعية، بل كانت معاملة الموظفين جيدة، ولم يسألونا عن النقود أو طريقة الدفع، بل سارعوا إلى إرشادنا للغرف التي وجدناها جيدة بالنسبة إلى

مستوى الفندق الذي كتبوا عليه بأنه ذو أربع نجوم، وهو أحسن من فندق (بالاس) الذي سكنا فيه في مدينة زغرب في يوغسلافيا، ومكتوب عليه أنه ذو خمس نجوم، ولو لم يكن فيه إلا الهاتف الذي كتب عليه في كل غرفة أنه يمكنك الاتصال منه إلى أي مكان في العالم دون الحاجة إلى الاتصال بالبدالة (السنترال).



وفد الرابطة في الفندق عند الوصول إلى بودابست

والفندق كثير الغرف في ممرات متعددة، مما يقطع بأنه كان موجوداً قبيل الحكم الشيوعي في هذه البلاد.

وفي الحانة الصغيرة، كما يسمونها بالإنكليزية: (ميني بار) أو ثلاجة الغرفة، أشربة متنوعة، كان أكثر ما أعجبني منها شراب الخوخ الذي ينتج محلياً، بل تبين لنا بعد ذلك أنه كثير عندهم، وربما صح القول بأنه الفاكهة الأكثر إنتاجاً في بلادهم من الفواكه الأخرى، فأسرعت أشرب منه شراباً طازجاً، لأن هذا الوقت هو موسم نضج الخوخ في بلادهم الباردة.

يوم الإثنين ٥/١١/١٤٠٥هـ - ٢٢/٧/١٩٨٥م.

كان الإفطار في الفندق جيداً، أجود ما فيه العسل واللبن الرائب الطبيعي الطازج، إلى جانب ما شئت أن تأخذه من الموائد من اللحوم التي فيها الطيب والخبيث الذي هو لحم الخنزير، ولكن فيها حلال بلال مع البيض والجبن المنوع والفاكهة.

وهو أحسن من طعام يوغسلافيا، مثلما أن الفندق نفسه أحسن من الفندق الذي نزلنا فيه في يوغسلافيا وهو (فندق يوغسلافيا) أي: (يوغسلافيا هوتيل) في بلغراد، حتى الغرفة هنا أحسن من غرف الفندق اليوغسلافي، وهذا يعطي مثلاً صالحاً للمقارنة بين أسعار الأماكن السياحية في البلدين، مع أن يوغسلافيا تعتبر بلداً جيدة للسائحين، وهي رخيصة بالنسبة إلى الأقطار الغربية من أوربا، وهي إلى ذلك أحسن البلدان الشيوعية إن أخذنا بالمثل العربي القديم: ((إن في الشر خياراً))، أو لنقل: إنها أقل البلدان الشيوعية سوءاً إن لم نأخذ به.

لا سيما فيما يتعلق بمعاملة المسلمين وإعطائهم الحرية في بناء المساجد الجديدة وعمارتها بالعبادة، وحرية الدخول والخروج للعمل في البلاد، وقد ذكرت ذلك كله في الحديث عن الجزء الأول من هذه الرحلة إلى أقطار شرق أوربا بعنوان: ((ذكريات من يوغسلافيا)).

سمات الدخول:

لا نزال في هم من الحصول على سمات الدخول (التأشيرات) لبعض البلدان الشيوعية التي عجزنا حتى الآن عن الحصول عليها، وهي بولندا ورومانيا، فأرسلنا بعض الإخوة إلى سفارة البلدين المذكورين في بودابست.

وبعد الظهر عادوا إلينا قائلين إن سفارة رومانيا قالت لنا ما قالته سفارتاها في أثينا وبلغراد من أننا علينا الحصول على ذلك من الحدود أو المطار، مع أننا جربنا الحصول عليها من الحدود البرية الرومانية مع يوغسلافيا، **فلم نستطع**، ورجعنا بخفي حنين، وهما: الخيبة وضياع الوقت.

وأما بولندا فأخبرونا أيضاً بما أخبرتنا به سفارتهم في بلغراد، من أنه لا بد من إذن من حكومة بولندا لرعايا البلدان التي لا تتبادل معها (بولندا) التمثيل السياسي، مثل المملكة، إلا أنهم هنا قالوا إنهم يمكنهم الإبراق اليوم إلى وارسو، ويمكن أن تأتي الإجابة خلال ثلاثة أيام أو أربعة، وذلك بخلاف ما ذكرته سفارتهم في بلغراد، من أن ذلك يحتاج إلى أسبوعين.

قال الإخوة الذين ذهبوا وقد وجدنا أناساً من البلدان العربية، وبخاصة من الشبان، وهم صفوف أمام شباك المراجعة في السفارة البولوندية يريدون سمات دخول سياحية، وبعضهم أبدى غرضه من ذلك لهم وقال: إنه التمتع في بولندا - على حد تعبيرهم - بأشياء لا توجد في البلدان العربية.

وهذا غير مهم، وإنما المهم أنهم قالوا لأصحابنا: إنه لا بد لكي تنجحوا أن تعطوا المسؤول شيئاً فهذه هي العادة الآن في البلدان الشيوعية، ومن لم يقدم بين يدي نجواه شيئاً فإنه لن يحصد شيئاً.

وهكذا كان، مما جعل الموظف المسؤول في السفارة يؤكد لهم أنهم سيتسلمون السمات، لأنه هو نفسه سيعتني بأمرها.

البحث عن المسلمين:

لا توجد جمعية إسلامية في بودابست، ولا يوجد مسجد أو مكان تجمع للمسلمين من الممكن أن نجدهم فيه، ولذلك لا بد من البحث الدقيق عنهم، مع التذكر بأن هذه البلاد حكمها المسلمون الأتراك مائة وخمساً وأربعين سنة، وخلفوا فيها مساجد وآثاراً إسلامية كثيرة، ولكنها هدمت وأزيلت في زمن قديم.

كان أحد الإخوة الباكستانيين، ويدعى الدكتور عبد المنعم خان قد كتب إلينا في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة يذكر حالة المسلمين في المجر، وأنه لا توجد لهم رابطة، ولا يوجد مكان يتجمع فيه المسلمون الذين ذكر أن عددهم - من غير المجريين - كثير ما بين طلاب، وأعضاء بعثات سياسية، وتجار، ويطلب أن تستأجر لهم الرابطة مكاناً يتجمع فيه المسلمون، ويؤدون فيه

صلاتهم، ومن ثم يتعارفون ويتعاونون.

وهذه فكرة جيدة، إلا أن المعتاد أن الرابطة تساعد العاملين في الحقل الإسلامي، ولا تقوم هي بالنيابة عنهم بإنشاء المكاتب، أو حتى بناء المساجد، لأنهم إذا كانوا أضعف عن أن يتقدموا للقيام بالخطوة الأولى، وهي العمل على إنشاء الجمعية الإسلامية، أو استئجار مصلى للمسلمين، فإنهم سيكونون أضعف أكثر من أن يتعهدوا ذلك بالعمارة، فضلاً عن الصيانة والتنمية للمشروع.

وعندما ذهب بعض الإخوة في السعي للحصول على سمات الدخول طلبنا منهم أن يتصلوا بسفارات بعض البلدان الإسلامية في بودابست ليستعينوا بها في الحصول على التأشيرات، ولكي يسألوها عن وجود المسلمين، وكيفية مساعدتهم في نظر السفارة التي يفترض أنها تعرف ذلك بحكم عملها.

وفي الوقت نفسه أرسلنا أحد الإخوة إلى عنوان الدكتور الباكستاني عبد المنعم خان، وهو طبيب يتمرن في أحد مستشفيات بودابست، فجاء الرد ظهراً من الاثنين:

اتصل الإخوة بسفارة عربية مسلمة، وسألوها عن المسلمين، فأجابت بأنه لا يوجد مسلمون من أهل المجر، وأنه لا يوجد مسجد، ولا حتى مصلى في مدينة بودابست كلها.

فسألوهم عن صلاة الجمعة: أين يصلونها، وهي فرض عين، فأجاب المسؤولون في السفارة بأنهم يصلونها في السفارة.

واقتنع الإخوة بأن هذا الجواب هو من باب دفع الإحراج، وإلا فإنهم لا يفعلون ذلك، وقد وجدوا منهم تضايقاً من بحث هذا الموضوع.

أما الدكتور الباكستاني وهو طبيب، فقد ذهب أحد الإخوة إلى المستشفى الذي يعمل فيه، فوجدوه في غرفة العمليات مشغولاً، فأعطى هاتف فندقنا أحد العاملين في المستشفى ليخبره إذا فرغ أن يتكلم معنا.

ثم جاء الدكتور بعد الظهر، فعرف نفسه بأنه جاء هنا ليتمرن على علاج بعض الأمراض، وذلك لفترة معينة لا تزيد على سنتين، أو قال: ثلاث، وأنه يتخصص في مستشفى راقٍ تبين أنه تابع لليهود. وأنه أفزعه حالة المسلمين، بحيث إنه يوجد الآن أعداد من الطلاب من أبناء المسلمين في بودابست، إضافة إلى العاملين في السفارات والبيوتات، وأنه لا يوجد مصلى أو حتى مكان يجتمع فيه المسلمون من أجل نصيحة هؤلاء الشبان من أبناء المسلمين الذين يضيعون.

وقال لمناسبة ما ذكر من أن المستشفى الذي يعمل فيه تابع للطائفة اليهودية: إن اليهود لهم نفوذ كبير في البلاد، لأنهم يشغلون وظائف مهمة، والحكومة تعطيهم حرية الديانة، وكذلك النصارى.

قال: وأما المسلمون، فإنه لا يوجد مسلمون يعملون، على أن تعطيهم الحكومة من حرية الديانة ما تعطي اليهود والنصارى.

وقال: أنا زرت زوجة المستشرق المجري المشهور عبد الكريم جرمانوس، وهي عجوز مسلمة تصلي، ولكنها لا تتظاهر بذلك، وقال: إنها أخبرته أنه يوجد بعض المسلمين المجريين، ولكنهم يكتمون إسلامهم، وبعضهم لا تعرفهم هي.

وقد بحث معها موضوع إنشاء جمعية إسلامية فحبذت ذلك، وقالت: إنه يمكن أخذ الترخيص اللازم من وزارة الثقافة.

وقال الأخ الدكتور عبد المنعم: إنني أريد أن أستأجر شقة تكون بمثابة المصلى أو مكان الاجتماع ببعض الشبان من أبناء المسلمين - وهو نفسه شاب المظهر والمخبر - عسى أن ننقذهم مما هم فيه، لأن كثيراً من هؤلاء، وبخاصة من الطلاب، يصادقون فتيات من النصارى أو اليهود فيضيعون، ويجب أن نعمل على إنقاذهم.

وقد شجعناه على ذلك، وأخبرناه أن الرابطة مستعدة لمساعدته على دفع إيجار الشقة أو المكان الذي سيتخذ مصلى، كما أننا مستعدون في وقت لاحق لإرسال إمام للمسجد أو المصلى، يكون في الوقت ذاته مرشداً للمسلمين،

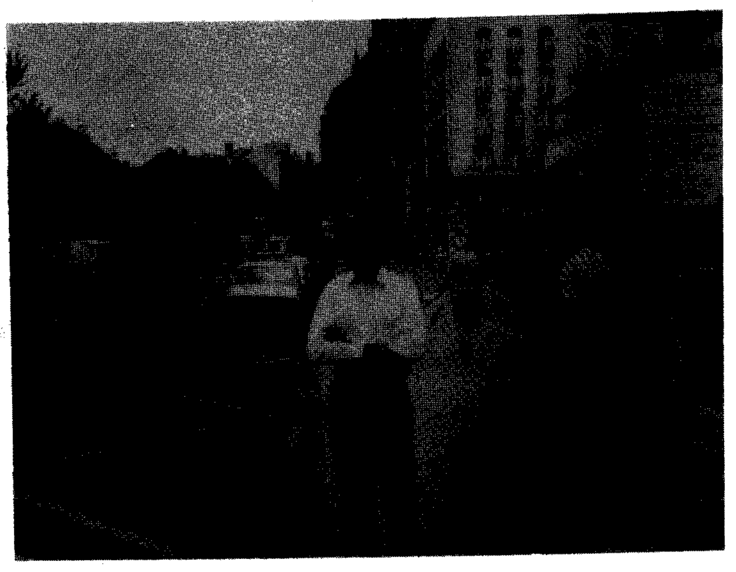
ومبصراً لهم بأمور دينهم.

والمهم أن يبدأ هو، وحبذا لو وجد من يتعاون معه من العاملين في السفارات الإسلامية أو غيرهم، لكي يسجلوا الجمعية رسمياً، ويحصلوا على الترخيص بالعمل، ومن ثم يعلنون عن أنفسهم، وسوف يكون هذا حافزاً لمن يكون عنده استعداد للعمل، أو يكون في نفسه صلاح، ولكنه لا يوجد وسيلة لإظهاره أن ينضم إليهم.

ثم طلبنا أن يحضر إلينا بعد غد مع من يستطيع أن يتعاون معه من المسلمين الذين هم من غير الجنسية المجرية، لأنه قال: إنه لا يعرف مسلمين خُلَّصاً من المجريين.

تمشية في بودابست:

بينما كان الرفاق يسعون هذا الصباح فيما ذكرته، خرجت أتمشى في الشوارع القريبة من الفندق، أستجلي وجوه الناس، وأرى معالم المدينة، وأتفحص متاجرها.



المؤلف في قلب مدينة بودابست

وتلك - في نظري - متعة عظيمة، لا أكاد أحس بما يعادلها متعة، فرؤية مدينة أول مرة هو متعة عظيمة، وإذا أضيف إلى ذلك شيء تختص به هذه المدينة، أو تتميز به، أو تتطبع بطابعه، فإن متعة التجول فيها تتضاعف.

فهذه المدينة هي جديدة على نظري وفكري، وهي عاصمة دولة شيوعية، ولقد رأيت بعض عواصم الدول الشيوعية مثل الصين ويوغسلافيا فرأيت الشيوعية قد أخرتها، ورأيت عواصمها تقل كثيراً، بل تنحدر في المنزلة انحداراً سحيقاً إذا ما قورنت بعواصم البلدان المجاورة لها غير الشيوعية.

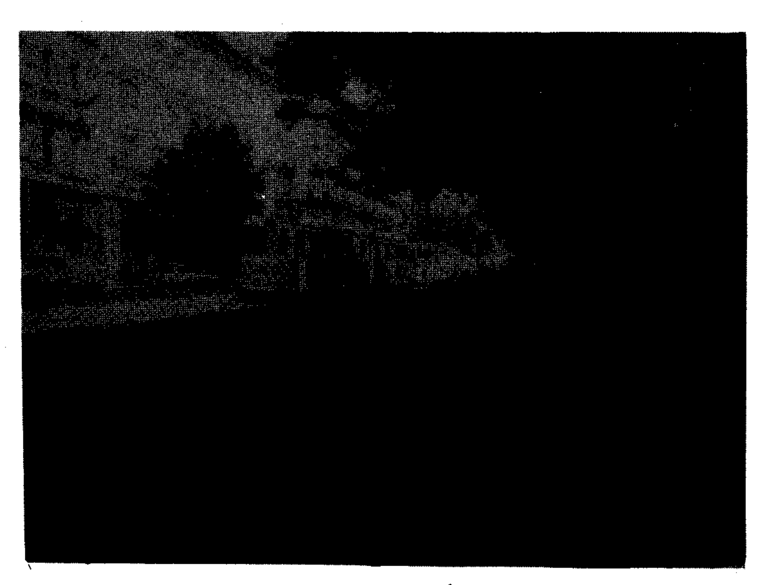
وأما بودابست خاصة، فإن لها أخباراً ميزتها عن العواصم الشيوعية الأخرى، ألا وهي أنها أول عاصمة انتفضت في قبضة الشيوعية، وكادت تفلت منها، لولا أن الاتحاد السوفيتي - وهو الشقيق الشيوعي الأكبر - بادر إلى إهدائها أربعة آلاف دبابة روسية ضخمة احتلت عاصمتها، وجابت خلال شوارعها حتى استقرت في ميدانها، تلك الدبابات المعززة بالآلاف المؤلفة من الجنود الهدف منها هو المحافظة على الحرية المزعومة للشعب المجري التي اكتسبها من خلال الحكم الشيوعي (التحرري)، فكانت أغرب هدية للحفاظ على الحرية.

بل هي أقسى هدية، ولذلك سكت الشعب على تلك الحرية المكتسبة بقوة الدبابات، ولم يعاود التململ مرة أخرى.

أعجبني في هذه المدينة شوارعها الواسعة، وأرصفتها العريضة، والأشجار الباسقة التي تحلي هذه الشوارع.

الترام والمترو:

وأعجبني فيها شيئان للنقل العام: أحدهما عربات (الترمواي) التي عرفناها أول ما عرفناها نحن العرب في مدينة القاهرة التي تخلت عن أكثرها حباً بالظهور بالمظهر العصري الذي ينبذ مثل (الترمايات) القديمة رغم الضرورة الملحة في القاهرة لوجود أداة عامة رخيصة للنقل العام في شوارعها.



الترام في أحد شوارع بودابست

والثاني: مداخل القطارات التي تجري تحت الأرض، بحيث تجد درجاتها واضحة جداً في الأرصفة العريضة، وبالنظر إلى أنه قد توجد مداخل لدرجها تشبه مداخلها، مثل مداخل الحمامات العامة مثلاً، فإنهم ميزوها بكتابة حرف الميم باللاتينية عليها، ليدل على أنها درجات لمداخل المترو.

وقد عرفت أن الشيئين المميزين كليهما هما قديمان، مثل سائر الأرصفة العريضة، والشوارع الواسعة، والأشجار الباسقة التي إذا نظر المرء إليها عرف أن عمر أكثرها لا يقل عن ثمانين عاماً.

والعجيب أن هاتين الوسيلتين للنقل اللتين تسيران بالكهرباء، لم تغن القوم عن وجود الحافلات الكبيرة الكثيرة، وهي وسيلة للنقل كثيرة الوجود في العواصم الشيوعية، وبخاصة في بكين عاصمة الصين، لأن عامة الشعب لا تملك سيارات خاصة كما هو معروف، وقد ذكرت ذلك في كتاب: ((داخل أسوار الصين)).

غير أن المجال هنا ليس مجال المقارنة ما بين عاصمة الصين وعاصمة المجر،

لأن أوجه الاختلاف بين العاصمتين أكثر من أوجه الشبه، رغم الرحم الشيوعية التي تصل بين العاصمتين.

ومن الفروق الظاهرة للسائح الغريب أن المدن الكبرى في الصين لا توجد فيها سيارات أجرة (تاكسي) ما عدا مدينة (كانتون) المجاورة لهونج كونج التي هي مدينة مفتوحة، جعلها الصينيون كذلك لأنهم أقاموا فيها معارض دائمة لصناعاتهم، حتى أصبحت مركزاً تجارياً مهماً في جنوب البلاد، وهم يعرفون أنهم لا يستطيعون أن يجبروا السائح أو التاجر الأجنبي على الاستغناء عن سيارات الأجرة (التاكسي) كما يستطيعون أن يحكموا بذلك على أفراد شعبهم.

أما في (بودابست) فإن سيارات الأجرة متوفرة، بل كثيرة ويسهل الحصول عليها لأي فرد، تماماً مثلما يستطيع الحصول عليها في أي بلد غربي، وهي إلى ذلك رخيصة، وليس كما هي عليه الحال في فرنسا أو الولايات المتحدة، حيث الأجرة غالية هناك جداً، بسبب غلاء أجور العمال، وارتفاع مستوى الرواتب على وجه الإجمال.

الأطعمة الرخيصة:

ومثلما أن سيارات الأجرة رخيصة هنا، وأن الحافلات العامة أرخص منها، فإن الأطعمة التي تنتجها البلاد رخيصة أيضاً، وكل المعروض الآن منها هو من إنتاج البلاد.

ومن ذلك الفواكه التي هي ذات موسم قصير العمر هو موسم الصيف، لأن الشتاء قارس البرد، ولأن الفصلين الآخرين وهما الربيع والخريف هما أقسى من الشتاء في البلدان العربية المتوسطة.

ولقد وقفت على بائع فاكهة في محراب (كشك) لبيع الفواكه، وهي موجودة ومنتشرة في المدينة، وهو يبيع خوخاً قطف لتوه من شجره، وربما كان قد جني من سَحَره، وهو من الخوخ الكبير المسمى بالدراق، يبيعون الكيلو منه بما يعادل نصف دولار أمريكي.

وقل مثل ذلك في الشمام الذي هو أرخص منه، وكذلك التفاح، ويعتبر رديئاً بالنسبة إلى التفاح اللبناني مثلاً، وعندهم المشمش الرخيص الفاخر، فالكيلو منه بستة وعشرين من عملتهم.

وقد صرفنا الدولار الواحد بثمانية وأربعين وربع من عملتهم، وهذا هو الرسمي، وقيل لنا: إنه أعلى من ذلك بقليل في السوق الحرة.

ودخلت محلاً لتحميض الأفلام الملونة، فوجدت فيه عاملين أحدهما كان فتاة، أخذت مني الشريط الذي معي، وكنت أحمل مصورتي لا أخشى معترضاً، ولا أخاف سارقاً أو منتهباً، وقالت: إنه سينتهي بعد غدٍ، ولم تأخذ مني شيئاً على سبيل التأمين، كما تفعل أكثر المحلات التي تكون مثل هذا المحل في كثير من البلدان.

واشتريت من المحل شريطاً ملوناً مصنوعاً في ألمانيا الغربية بسعر مناسب، ولم أجد الشرائط الأميركية التي أستعملها من نوع (كوداك)، ولكن الفرق بينهم وبين يوغسلافيا ظاهر، فهم أحسن منها في المعاملة في هذه الأمور الاقتصادية، رغم كون يوغسلافيا أحسن البلدان الشيوعية، أو إن شئت قلت: أقل البلدان الشيوعية سوءاً.

ولكن حسن المعاملة، ولين الجانب للأجانب موجود هنا في المحلات العامة التي عرفناها، ومنها على سبيل المثال: الفندق الذي نسكن فيه، وهو (قراند هوتيل رويال) فالموظفون فيه غير منقبضين، وليسوا كالصينيين الذين يشبه الموظفون منهم في المحلات العامة، وبخاصة التي تتعامل مع الأجانب الآلات المتحركة الخالية من العواطف، وذلك لكون معاملتهم تخلو - بالنسبة إليهم - من العواطف، فهم لا يطمحون إلى كسب منها، ولو على سبيل الحلوان (البخشيش) لأن عقوبة من يعرف عنهم ذلك شديدة، وفي الوقت نفسه لا يستطيعون أن يتخلوا عن القيام بواجباتهم، لأن معنى ذلك غضب السلطات الحكومية عليهم، وكل شيء في البلدان الشيوعية في يد السلطات الحكومية.

وربما كان سبب ما وجدناه هنا من حسن المعاملة أن الفندق يتعامل مع الأجانب، فكل الذين تعرفنا عليهم فيه هم من الأجانب، ومنهم طائفة من السياح العرب من دولة الإمارات العربية والكويت وغيرهم، وكلهم قال: إن أهل هذه البلاد مؤدبون وحسنو المعاملة، وهم ليسوا كالرومانيين الذين قالوا عنهم إنهم سيئو المعاملة، وإنهم أقل أمانة من هؤلاء، وبعضهم قال: إن بلادهم أقل أمناً بسبب سوء الحالة الاقتصادية، ومن الأدلة على رخص الطعام هنا أنه في هذا الفندق السياحي الذي نزلاؤه أكثرهم أو كلهم من الأجانب، لم تزد وجبة الغداء هذا اليوم على ستة دولارات إلا ربعاً، مع أن الوجبة كاملة ضمت سمكاً ممتازاً وشربة وخضرات مطبوخة باللحم وسلطة خضراء، وهي هنا الخس وحده، إذا أطلقوا كلمة (سلطة خضراء) لم ينصرف إلا إليه، كما هو عليه الحال في كثير من البلدان الباردة، لا يضيفون إليه إلا الخل، أما إذا طلب المرء سلطة مخلوطة، فإنهم يحضرون مع الخس الطماطم، وشيئاً من الخيار. ومع الوجبة ذات الستة دولارات إلا ربعاً عصير الفاكهة والشاي أو القهوة.

ومع ذلك أخبرنا إخواننا من العرب الذين كانوا سبقونا هنا أننا يمكننا أن نتناول هذه الوجبة ذاتها بأقل من نصف هذه القيمة في المطاعم خارج الفنادق، ولكننا لم نرد ذلك لأن أهل المطاعم الشعبية لا يعرفون الإنكليزية، فنخشى أن يدخلوا في الطعام شيئاً من لحم الخنزير، بخلاف أهل المطعم في الفندق فإنهم يعرفون ذلك.

وماذا عن الناس؟:

هذه هي النظرة الأولى لبعض الأشياء التي لا تبدو مهمة بالنسبة إلى الموضوع الأهم، وهو موضوع النظرة الأولى إلى الناس، أي عامة الشعب الذي يسكن العاصمة في نظر الأجنبي الذي يصل إليها أول مرة.

فوجئت بأن القوم عليهم من الوسامة ومظاهر الرقي في النظافة والصحة مثل ما على عاصمتهم من النظافة.

فهم بيض جداً، وهذا ما لا يستغرب، ولكن الأهم من ذلك أنهم ليسوا كاليوغسلافيين الذين هم بأكثريتهم من الجنس السلافي، والجنس السلافي فيه قرب، بل ربما كان لبعض أفراده شيء من القرابة بالجنس الروسي الذي ينتمي أيضاً في الأصل إلى جنس سلافي، وهو أيضاً جنس أبيض، بل أشقر ولكنه - أي الروسي - يتميز بغلظ الأجسام. وعدم الوسامة الظاهرة في تقاسيم الوجوه.

أما هؤلاء القوم، فإنهم يكادون يشبهون بمظاهرهم الجميلة سكان البلدان العربية الشمالية، لولا أنه لا يوجد فيهم سمر، فالقوم بيض وبياضهم ناصع، وقل أن تجد فيهم ذا البشرة الخمرية، كما قد يوجد في كثير من الشعوب البيضاء، بل العريقة في البياض كالدانمرك مثلاً. وخيل إليّ أن فيهم مسحة آسيوية، مع أن ذلك ليس ظاهراً، لأنه وإن كانت علاقتهم القديمة بالآسيويين علاقة تاريخية ثابتة، مرجعها إلى ثبوت قدوم أقوام من المغول والتتار والذين يسمون الهون إلى هذه البلاد من المنطقة التي تسمى وسط آسيا، وتكاد تكون بالتحديد منغوليا وشمال تركستان الشرقية، فإنهم قد امتزجوا بالأوربيين على مدى السنين، وأصبحوا يؤلفون شعباً متميزاً هو الشعب المجري الحاضر.

والخلاصة المختصرة جداً أنهم ذوو مظاهر جذابة، وأجسام معتدلة، ونسائهم يتميزن بالجمال الظاهر.

واللغة:

والأغرب من ذلك لغتهم، فالقوم لهم لغتهم الخاصة التي لا يتكلم به أحد خارج بلادهم، بل لا توجد لها قرابة قوية بلغة أخرى، ما عدا لغة أهل فنلندا الذين هم كثير منهم ذوو أصول آسيوية أيضاً، ولكن القوم لا يستطيعون التفاهم الكامل مع الفنلنديين من دون مترجم.

وقد قابلت في مساء هذا اليوم أخاً عراقياً قال: إنه يعيش في إحدى الدول

الإسكندنافية مهاجراً، وإنه كان قد درس في هذه البلاد، ويتقن اللغة المجرية إتقاناً لأنه قد أقام هنا عدة سنوات، فأخبرني بذلك وقال: إن اللغة المجرية لغة صعبة، وإنه لا توجد لغة قريبة منها إلا اللغة الفنلندية، ومع ذلك لا يستطيع من يعرف إحدى اللغتين أن يفهم اللغة الأخرى فهماً كاملاً، وإنما يفهم منها قدراً قد يأخذه من سياق الكلام، دون تماثل في لفظ المفردات.

فذكرت له أنني لاحظت أن القوم لا يكتبون لغة أخرى غير لغتهم على اللافتات العامة، أو حتى المتاجر التي يتردد إليها السائحون، فقال: هذا صحيح، فالقوم يعتزون بلغتهم، وهم شعب متعلم، عريق في الثقافة قبل الشيوعية، ولذلك توجد أكثر المعارف مدونة بلغتهم الوطنية.

ومع أن المتبادر إلى الذهن لأول وهلة أن الدول الشيوعية الصغيرة في شرق أوربا تعلم اللغة الروسية، لأنها لغة مذهبهم الشيوعي، وأنها لهذا السبب قد تستعمل اللغة الروسية لغة ثانية، أو كلغة ثانية، فإنه لا أثر هنا للغة الروسية في الكتابة على المحلات العامة، فضلاً عن الخاصة، ولا حتى الدوائر الحكومية، ولكن لا توجد أيضاً كتابة باللغة الإنكليزية التي أصبحت لغة عالمية تكتب إلى جانب اللغة الوطنية في أكثر البلدان، وإن لم يكن لأهلها علاقة بالإنكليزية، بل ولا حتى الأمريكيين الذين يتكلمون الإنكليزية.

وإنما تقتصر كتابة اللافتات على لغتهم الوطنية المجرية التي هي غير معروفة في خارج بلادهم، وهم يعرفون ألا أحد من الأجانب يعرفها ما عدا بعض المحلات التي يؤمها السياح كالفنادق، فإنها قد تكتب في داخلها بعض الكلمات الإنكليزية القليلة، على ندرة في ذلك أيضاً.

أما حظ لغتهم من الجمال في ذهن السامع، فإنه حظ قليل، بل يخيل إليّ أنها قبيحة في الأذن، مثلها في ذلك مثل ابنة عمها أو عمتها اللغة الفنلندية التي كثيراً ما تعجبت إذا سمعت الفنلنديات الجميلات يتكلمن بها من خروج هذه اللغة القبيحة من أفواه تلك الوجوه الصبيحة.

رحلة مسائية:

هكذا ترجمتها الحرفية في اللغة الإنكليزية، وهي ليست رحلة، ولكنها دعوة مسائية إلى تناول عشاء بنقود تدفع مقدماً، وبعملة أجنبية صعبة، وعلى التحديد بالدولار الأمريكي، فهم هنا لهذه الدعوة على العشاء ونحوها يرفضون (الفورنت) عملتهم الوطنية، ويصرون على الدولار الأمريكي، مع أن عملتهم جيدة بالنسبة إلى عملات الدول الشيوعية الأخرى التي لا تكاد تساوي شيئاً خارج بلادها، وفي داخل البلاد تباع بالسوق الحرة التي تسمى السوق السوداء بما يقل كثيراً عن قيمتها الرسمية المحددة.

وتبدأ هذه الرحلة في السابعة (أصيلاً)، وقالوا: إنها تنتهي في الواحدة بعد منتصف الليل، وثمنها خمسة عشر دولاراً أمريكياً للشخص الواحد، ويشمل ذلك وجبة عشاء فخمة كما وصفوها.

مرَّت بنا في الفندق حافلة كبيرة - ونحن ثلاثة - حسنة المقاعد والرياش، فسارت مع شوارع بودابست الواسعة الحافلة بكل ما يريد المرء أن تقع عينه عليه، من أشجار مورقة، أو زهور مونقة، أو أزقة معتنى بها، أو أبنية فخمة قد كساها القدم وتطاول العهد حلة جديدة، بمعنى طارئة، وإن كانت قديمة، فزادها رونقاً إلى رونق، لأن القوم لمْ يتركوها، بل كانوا يواصلون تزيينها وتحسينها، إن لم نقل ترويقها وتزويقها.

إلى أن وصلت الحافلة إلى ميدان واسع، في جهة منه جسر قديم يمر فوق نهر الدانوب، أشهر أنهار أوربا الشرقية - جغرافياً لا مذهبياً- ذكروا أنه بني في عام ١٨٤٩م، أي: قبل سقوط البلاد في حكم الشيوعية بقرن من الزمان تقريباً.

وهذا الميدان حافل بالأبنية المهمة، إلى جانب هذا الجسر الدانوبي العتيد، مثل مبنى (الأكاديمية) المجرية، وربما يكون أهم من ذلك لديهم، وليس كذلك لدينا وجود مقر المجلس النيابي أو مجلس الأمة، أو ما يسمى بالبرلمان، ذلك بأننا نعرف أن (البرلمان) في البلدان الشيوعية هو إنما يمثل الأقلية

الشيوعية، فالانتخابات لا يسمح بدخولها إلا للشيوعيين الموثوق بهم، وإذا كان هناك تفاضل بين المرشحين لها، فإنما هو داخل الدائرة الشيوعية، فالشعب بالنسبة إلى تمثيلهم له أشبه ما يكون بمن يحبس في سجن كبير، فيخير بين عدد من الغرف من دون أن يسمح له بالاقتراب من الباب الخارجي المفضي إلى الحرية من ذلك السجن.

وفي هذا الميدان، كما في الشوارع الأخرى كلها على وجه التقريب، توجد أشجار باسقة خضر، وهي عظيمة الفروع، غليظة السوق، مما يدل على أنها غرست منذ عقود عديدة من السنين.

وبعد أن تجاوزت الحافلة هذا الجسر، أخذت في الصعود إلى مكان مرتفع من المدينة، ويقع في جهتها الشمالية مع شوارع جيدة السفلتة، تصب فيها أو منها أزقة نظيفة، ذات بيوت جيدة المظهر، تطل من نوافذها أصص الزهور التي يعتني بها السكان، لأنها - من دون شك - لا تزهر، وربما لا تزهر إلا في هذا الفصل الصيفي القصير.

وأكثر الأزقة والشوارع في هذه الأماكن المرتفعة مرصوف بحجارة صغيرة، وليس بالإسمنت، مما يعطي الانطباع بأن رصفها بهذه الطريقة كان قد تم منذ القديم، أو أن الحجارة أبقى في البلاد الباردة ،بل الثالجة، وهي أصبر عل الانجراف من الإزفلت اللين المستوي.

وقفت الحافلة عند فندق هيلتون تلتقط منه رفاقاً من رفاق (الرحلة).

ولاحظت وجود أعداد من السيارات في هذه الشوارع المرتفعة، مثلما لاحظت ذلك في شوارع المدينة المنخفضة نفسها، وسألت بعض أهل الخبرة بالبلاد عن هذه السيارات أهي حكومية، كما هو المتبادر في البلدان الشيوعية المتعصبة ؟ أم هي سيارات يملكها أفراد الشعب، مثلما عليه الحال في يوغسلافيا مثلاً؟

فأجابوا: إن الأمرين كليهما صحيح، غير أن نسبة السيارات التي

يملكها الأفراد مرتفعة جداً في هذه البلاد، فقلّ أن تجد شخصاً مرموقاً إلا وهو يملك سيارة، أو تكون تحت يده سيارة من سيارات الدولة المخصصة للإدارة الحكومية التي يكون يعمل فيها.

ولاحظت أيضاً أنه في هذه الشوارع المرتفعة، وارتفاعها ليس بالغاً، بل هو قليل، وجود حواجز من الحديد تمنع من خروج السيارات التي قد تجنح عن قصد الطريق.

وقد تكلم الدليل بكلمات قليلة كلها باللغتين الإنكليزية والفرنسية، لأنه يعلم أن الذين معه كلهم من السياح الأجانب، وليس بينهم من المجر أحد.

وشاهدنا في الضفة الشمالية من نهر الدانوب تلة مرتفعة، عليها بيوت فاخرة المظهر، غارقة في أشجار الظل وأشجار الزينة، والمراد بأشجار الظل الأشجار التي لا تثمر فاكهة، وإلا فإنهم لا يبغون الظلال، ولا يبحثون عنه، فضلاً عن أن يغرسوا الأشجار من أجله بسبب غلبة البرودة على بلادهم في أكثر فصول السنة.

كما يرى المرء الحدائق الملتفة أينما توجه ببصره، بل إن الاستثناء هو أن تلقي ببصرك إلى جهة من الجهات فلا ترى حديقة صغيرة، أو على الأقل صفاً من الأشجار الخضر المهذبة.

واصلت الحافلة سيرها مخترقة ضاحية من ضواحي المدينة التي لم تختلف عن باقي أنحاء المدينة في كثرة أشجارها أو نضارة حدائقها.

عشاء مجري:

كان أول ما لفت أنظارنا عند الوصول أن حافلتنا المليئة بالركاب قد صادف وقوفها مع وقوف حافلات أخرى، مليئة بالركاب أيضاً، فاجتمع من ذلك خلق عند باب المطعم، فابتدرتنا فتيات من فتياتهم الجميلات يقدمن للقادمين صحوناً مليئة بأقداح صغيرة تشبه فناجين القهوة عندنا، فيأخذ القادم الفنجان ويشرب ما فيه، وهو بمثابة التحية منهم له.

ولما توقفت في أمر هذه الأقداح، بادرت الفتاة قائلة: خذه، إنه براندي! إنه براندي!

والبراندي: نوع من الخمر، فقلت: لقد أفسدتِ إذْ أسندتِ، ولما لم تفهم ذلك أفهمتها أنني مسلم لا أشرب الخمر.

وشيء آخر، وهو أنه استقبلنا منهم رجل على هيئة المغولي السمين الضخم، مع جسم يميل إلى القصر، وقد لبس لباس المغول التقليدية التي لا يزال سكان تركستان يلبسون ملابس قريبة منها، وكذلك أهل شمال الصين.



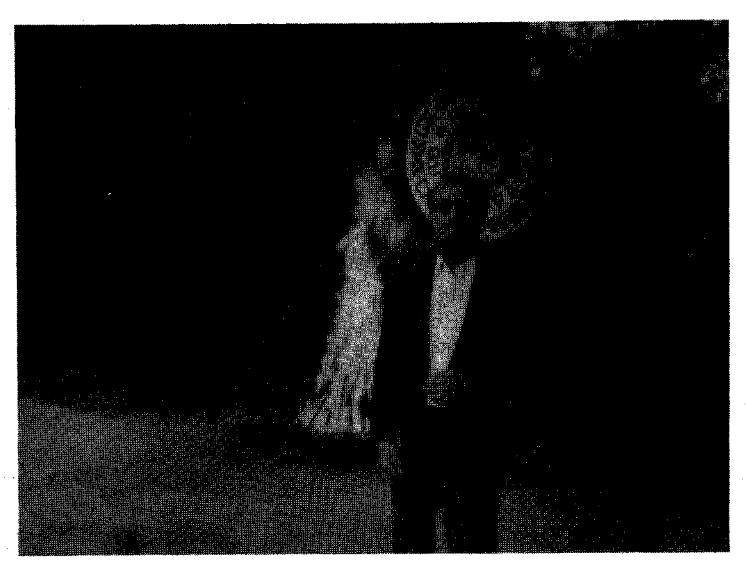
بجانب الدليل السياحي الذي استقبل السياح عليه الملابس الآسيوية القديمة

وذلك إشارة منهم إلى أصل السكان، وأنهم كانوا قد جاءوا من وسط آسيا في عصور قديمة، والذي حملهم على ذلك ليس الافتخار بالأصل الآسيوي، فذلك ربما لا يحملهم في حد ذاته على إظهاره بهذا الشكل، إضافة إلى أن السكان الآسيويين لم يجدوا البلاد خالية، وإنما كانت معمورة بأقوام من السلاف وغيرهم، فاختلطوا بهم، بل امتزجوا بحيث كونوا - على مدى العصور

- الشعب المجري المعروف، وإنما قصدهم من ذلك الإغراء أو الإغراب بإظهار شيء عجيب، لا يوجد عند أمثالهم من المجاورين.

وأخذ السياح يلتقطون الصور بجانب هذا الرجل الذي تخيلوا فيه المغول أو التتر الذين جاؤوا إلى هذه البلاد الأوربية من آسيا واستقروا فيها في أزمان سحيقة.

والشيء الثالث اللافت للنظر أننا رأيناهم قد أوقدوا ناراً ضخمة بحطب جزل، ربما كانت ترمز إلى ما كان عليه أهل البلاد الآسيويين عند قدومهم إلى المجر، أو أن ذلك من تقليد عريق عندهم بسبب برد بلادهم.



بجانب النار الضخمة الموقدة عند مكان العشاء السياحي الكبير

العشاء:

أدخلونا إلى قاعة كبيرة واسعة قد رصت عليها الموائد الطويلة رصاً، حتى لم يبق فيها إلا ما يكفي للمرور، وقد تخلى دليل كل حافلة عن قومه الأدلاء في داخل قاعة المطعم.

ووجدناهم قد أتموا وضع الأشربة المختلفة على الموائد، ويتضمن ما وضعوه أشربة متعددة محرمة من النبيذ ونحوه، وأشربة حلالاً مثل عصير

البرتقال والمياه المعدنية.

وكذلك وضعوا طعاماً جاهزاً، إلا أن فيه لحم خنزير، فطلبنا منهم عوضاً عن ذلك جبناً وسلطة وفاكهة.

وأخذت فرقة موسيقية تعزف الألحان المجرية، وقد اختاروا العازفين من ذوي المظهر الذي يقرب من المظهر الآسيوي، أو هم كانوا كذلك من دون اختيار، فليس أكثرهم من الأوربيين الشقر.

ثم بدأت فقرات البرنامج، واشتملت على تمثيل حفلة من حفلات الزواج عندهم، ومن المشاهد الغريبة فيها أن النساء يقفزن فوق نار موقدة ويدرن حولها.

كما عرضوا رقصات وطنية متعددة، وغناء جماعياً وفردياً.

وفي آخر الحفلة أجرى عريف الحفلة مسابقات، رأيت بعضها سخيفاً، وذلك أنه يحضر بيده زجاجة من الشراب مختومة، فيختار واحداً من السياح وواحدة أخرى يقرن يدها بيده، حتى إذا جمع ما بين خمسة أزواج من الناس أو ستة، وهو يختارهم بالمصادفة، بعد أن يسأل كل واحد عن اسمه وبلده، يبدأ بلعب أشياء من المسابقات، منها مثلاً لعبة شبيهة بلعبة الكراسي الموسيقية.

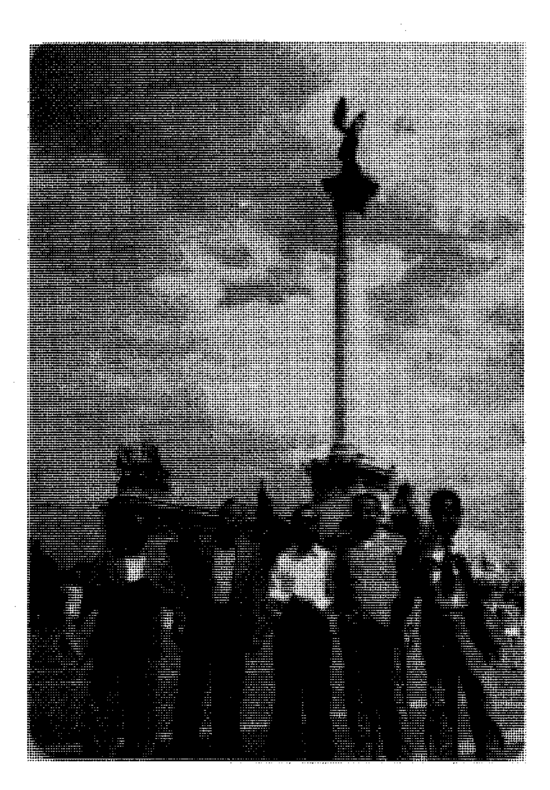
وقد خجلت حينما اختارني لإحدى المسابقات، و مد يده ليصافحني وأنا جالس في الصف ويقودني إلى المنصة، وكان المقصود الاشتراك مع واحدة اختارها لأداء إحدى المسابقات، إذ كان قد اختارها أولاً، ثم أخذ يتجول بين السياح الذين يبلغون الآلاف يبحث عن رفيق لها إلى أن اختارني، فأشرت إليه بأنني لا أود ذلك، ولكنه لم يقتنع فقلت له: إن ساقي تؤلمني ولا أستطيع الاشتراك، فأعلن بمكبر للصوت كان يحمله معه وهو ينتقل ما بين الجمهور والمسرح اعتذاري لما ذكرته، وكانت حفلة غير جيدة، ولكننا رأينا فيها ما لم نره من أمر القوم، وبخاصة تركيزهم على أن تكون جوائز المسابقات لديهم زجاجات من زجاجات الشراب، مما يدل على تعلقهم بها، وربما كان هذا ناشئاً من شدة البرد في بلادهم الذي يجعل الناس فيها يشربون الخمر طلباً للدفء.

يوم الثلاثاء ٦/ ١١/ ١٤٠٥هـ - ٢٣/٧/١٩٨٥م

جولة سياحية في بودابست:

بدأت هذه الجولة بحافلة كبيرة مرت علينا في الفندق، فاخترقت ميداناً صغيراً لا يبعد كثيراً عن فندق رويال بالاس الذي نقيم فيه، ويسمى هذا الميدان (ميدان إنقلز) على اسم أحد فلاسفة الشيوعية المشاهير، بل أحد مؤصلي الشيوعية مع كارل ماركس، ولم تقف الحافلة، وإنما انطلقت مع شارع يسمى شارع الشعب، ومررنا على اليسار بدار الأوبرا، ثم ميدان (بودا)، وبودا: أحد قسمي مدينة بودابست الذي سميت باسمه مع القسم الآخر (بوست).

أول قطار تحت الأرض:



وفد الرابطة في أحد ميادين بودابست

وفي هذا الميدان أرونا أول قطار تحت الأرض في مدن أوربا كلها، وهو الذين يسميه الإنكليز «أندر قراوند» فقد سبقت مدينة (بودابست) أوربا كلها إلى شق مثل هذا القطار تحت المدينة عام ١٨٩٦م.

وهذا مظهر من مظاهر تقدم هذه المدينة ورقيها، بل هو شاهد على تقدمها على غيرها من المدن الأوربية في وقت مبكر من وقت النهضة الأوربية.

ولا شك في أنه لولا أنها ابتليت بالشيوعية لكان لها شأن أكبر في هذه الميادين.

ثم مررنا بميدان آخر قد أقاموا فيه عدة تماثيل، وزينوه بالزهور المختلفة الألوان والأنواع التي تحفل بها مدينة بودابست في هذا الفصل الصيفي من السنة.

ثم المنطقة (الدبلوماسية)، وذكروا أن في بودابست تسع عشرة سفارة، وهذا عدد قليل - بلا شك - بالنسبة إلى ماضي هذه الدولة، ولكن الشيوعية التي تقيد الحرية الشخصية، وتحد من قدرة الدولة على المنافسة في الميادين الدولية، قد قللت من تأثيرها في المجال الدولي، فأثر ذلك على حجم التبادل السياسي ما بينها وبين دول العالم، لأنها في السياسة الدولية قد أصبحت ذيلاً من ذيول الاتحاد السوفيتي، على حين أن أفراد الشعب المجري أرقى من أفراد الشعب السوفيتي في العلم والثقافة، وإن كان الاتحاد السوفيتي لديه من العلماء والفنيين والتقنيين ما قد يساوي عدد أفراد الشعب المجري كله، إلا أن في رعاياه من الجهلة، وغير المثقفين، ما لا يوجد له نظير في هذه البلاد.

ميدان الأبطال:

وقفت الحافلة الكبيرة في ميدان واسع أسموه (ميدان الأبطال) فأوقفت دليلة الحافلة، وهي امرأة مجرية مثقفة في حدود الأربعين من عمرها، وقالت للسياح: يمكنكم أن تتجولوا في هذا الميدان، وفيما حوله لبعض الوقت، وتلتقطوا ما شئتم من الصور.

فسألناها عن بطولة الأبطال الذين سمي هذا الميدان باسمهم، فقالت: إنهم

الذين حاربوا ضد الترك الذين كانوا يحتلون البلاد. فقلنا: بئس ما أخبرتينا به، قبح الله بطولتكم، فهم يتبجحون بالانتصار على المسلمين، وهو الانتصار الذي أعقبته موجة من التعصب الديني الأعمى عندهم، حتى طردوا كثيراً من مسلمي البلاد عن البلاد، وقضوا على وجود الإسلام فيها، كما أوضحنا ذلك في المقدمة، وقد استمر الحكم التركي في المجر مدة (١٤٧) سنة.



المؤلف في ميدان الأبطال في بودابست

وتجولنا في الميدان الواسع، وقد أقاموا تماثيل ضخمة لمن زعموهم أبطالاً ولغيرهم، وذلك لأهمية المكان.

وتصب في هذا الميدان عدة شوارع مهمة منتظمة، لا تقل في تنظيمها عن شوارع مدن أوربا الغربية، لاسيما إذا لاحظ المرء كثرة السيارات التي تمر منها، مما لا يكاد بوجود له نظير في الكثرة في مدن البلدان الشيوعية.

وبقربه حديقة الحيوان الشهيرة التي يقال: إنها ثانية حدائق الحيوان في أوربا كلها من حيث قدم إنشائها.

كما يقع بالقرب منه مقر السيرك القومي، وبرك السباحة الحارة التي

يقصدها القوم والسياح، لممارسة رياضة السباحة في الماء.

والقوم في مظهر جيد أيضاً من حيث التغذية واللباس.

لأمر ما انتفضوا:

عندما رأيت المجريين وعاصمتهم هذه المنظمة المرتبة، عرفت السبب في كونهم أول الأقطار الأوربية التي ابتليت بالشيوعية انتفاضاً ضد الشيوعية، فقد حاولوا الخروج من ربقة الشيوعية، والعيش عيشاً حراً في عام ١٩٥٦م.

وهي انتفاضة كادت تودي بالحكام الشيوعيين، وتخلص البلاد من الشيوعية، غير أن الدبابات الروسية دخلت هذه المدينة بودابست بآلاف، حتى قيل إن عددها بلغ خمسة آلاف دبابة، فأخمدت ثورة الشعب على الشيوعيين بالقوة، وقتلت من قتلت من القوم، وفر من فر منهم، ونصب رئيس الوزراء الحالي (يانوس كادار) رئيساً للوزراء، وهو في الحقيقة صنيعة من صنائعهم، وأداة لإبقاء الشعب تحت الحكم الشيوعي تحت إرادتهم.

وتركنا هذا الميدان الواسع الحافل بما هو مهم وجميل، ما عدا تجسيد أعداء الإسلام والمسلمين، ومررنا فوق جسر على نهر الدانوب، ووقفنا في ميدان آخر واسع تحيط به أبنية تاريخية قديمة عجيبة، قالوا: إنها تمثل أيضاً الأبطال منهم الذين حاربوا ضد الأتراك، وأكثرها كانت قلاعاً قديمة، أو مساكن من مساكن الحكام.

وقالت الدليلة وهي تشرح معنى اسم (بودابست): إنه مؤلف من مقطعين: (بودا) ،وتعني: بوذا، وبست، وتعني: الفرن الذي يخبز فيه، وإن كل مقطع يدل على بلدة كانت قائمة بنفسها منفصلة عن الأخرى، فلما اتصلت العمارة بينهما، وصارتا مدينة واحدة سميت (بودابست) بمعنى: بودا وبست.

هذا ما سمعناه منها، ولكن الذي عرفناه من غيرها أن (بودا) اسم قديم لا يعرفون تعليله، وليس مأخوذاً من اسم (بوذا) الذي يعتبر هو معبود البوذيين أتباع الديانة البوذية.

وقد يقول قائل: ما لهؤلاء الأوربيين والديانة البوذية؟

والجواب أن سكان المجر كانوا في القرون الوسطى بأغلبيتهم من ذوي الأصول الآسيوية الذين غزو شرق أوربا واستقروا هناك. وقد جاؤوا من منطقة كانت فيها أو على حدودها الديانة البوذية موجودة ، وإن كانت الآن غير موجودة في البلاد ، لأن السكان تركوا دياناتهم التي كانوا يعتنقونها عندما كانوا في آسيا ، ودخلوا في المسيحية.

عدد السكان:

مررنا بميدان كبير، قالت الدليلة: إنه ميدان الاحتفال بالاستقلال والاستعراضات العسكرية، وذكرت بهذه المناسبة أن سكان المجر يبلغ عددهم عشرة ملايين، منهم مليونان يسكنون في العاصمة (بودابست)، ولم نمض كثيراً من الوقت حين انتقلنا من هذا الميدان حتى وقعنا في ميدان آخر يسمى المركز الرياضي، لأنه يقع عليه ملعب الشعب الذي يتسع - فيما قالوه - لثمانين ألف متفرج، والرياضة الهامة الشائعة هنا هي كرة القدم.

وقد لاحظت أن معظم الشوارع القديمة قد بلطت بالحجارة الصغيرة بديلة من الإسفلت، وكذلك الشوارع الحديثة غير المستوية كلها بالحجارة، وذكروا أن هذا سببه كثرة سقوط الثلوج على البلاد ، فلا تتأثر الحجارة بالبرودة، كما أن السير عليها أقل تعرضاً للانزلاق من الإزفلت.

المحطة القديمة:

في بودابست أشياء كثيرة يتصدرها صيغة أفعل التفضيل، ذكرنا منها قطار تحت الأرض أو (المترو) تحت الأرض. ومن ذلك محطة القطار قديمة الإنشاء؛ إذ أنشأت في عام ١٨٨٤م، وذكروا أنها تتصل بجميع محطات القطارات في دول أوربا ، كما نوهوا بأن القطار مهم في هذه البلاد وأمثالها ، لأن الثلوج التي تسقط بغزارة في فصل الشتاء تجعل السفر بالسيارات شاقاً وغير مأمون في بعض الحالات، لذلك يكثر الناس من السفر بالقطار.

والشوارع حول المحطة مستقيمة ومشجرة، ومع ذلك هي واسعة مع كونها قديمة نسبياً.



المؤلف في أحد الميادين المعتنى بها في بودابست

مدينة بست:

خرجنا من الجزء المسمى (بودا) من المدينة، ودخلنا في (بوست)، وقد بنيت في الأصل على تلة جبلية لتكون أكثر مناعة ضد المهاجمين.

فكان أول ما أرونا في (بوست) مستشفى، ذكرت الدليلة أنه أقدم المستشفيات في مدينة (بوست)، وأنه الآن مستشفى جامعي.

ولا يستطيع الغريب الذي يشاهد أحياء هذه المدينة ومبانيها، بل شوارعها وأرصفتها والمرافق العامة فيها، إلا أن يعجب بمحافظتهم على صيانتها والعناية بها، رغم ما هم واقعون فيه من النظام الشيوعي الذي يقسر أفراد الشعب على اختيار طرق معينة للحياة، ولا يجيز لهم أن يسلكوا غيرها.

نهر الدانوب:

ثم أقبلنا على نهر الدانوب العظيم، وعظمته ليست في سعته، فهو ليس

بأوسع الأنهار، ولكنها من شهرته التاريخية، ومن النهضة الصناعية والفنية، بل والعلمية التجريبية التي نشأت وترعرعت عند أناس يعيشون على ضفافه، أو يمتلكون جزءاً منه مثل الألمان.



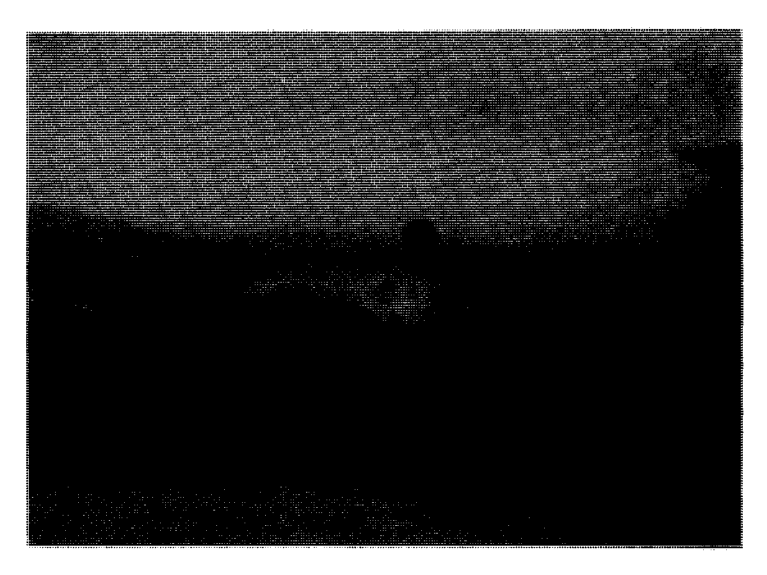
المؤلف معه آلة التصوير في مكان يشرف على نهر الدانوب

ولذلك اشرأبت أعناق القوم حين أقبلنا عليه نريد أن نستجلي مرآه، ونعرف مقدار سعته، ولكننا وجدناه لا يستحق كل ذلك من ناحية الحجم، وإنما العظمة الحقيقية له هنا هي فيما أقام القوم على شطآنه من منشآت، وما مدوا فوقه من جسور.

الكنائس والمعابد:

أرتنا الدليلة كنيسة بالقرب من نهر الدانوب، ذكرت أنها تاريخية يرجع إنشاؤها إلى القرن السابع عشر، وربما كان هذا تاريخاً قديماً بالنسبة إلى بعض البلدان، ولكننا في البلدان العربية لا نعتبره كذلك، لأن لدينا أماكن للعبادة من مساجد يرجع تاريخها إلى أكثر من ألف عام، مثل جامع ابن طولون في القاهرة، أو جامع القرويين في فاس، فضلاً عن الحرمين الشريفين في مكة والمدينة المنورة، وإن كان تاريخ بنائهما الحالي لا يرقى إلى ذلك.

وبهذه المناسبة ذكرت الدليلة أن في مدينة (بودابست) تسعاً وتسعين كنيسة، وفيها ثلاثة وثلاثون معبداً يهودياً، أحدها كبير، ولم تقل إن البقية معابد صغيرة، لأن لهجتها يظهر فيها المبالغة في ذكر المعابد اليهودية.



المؤلف في المكان المرتفع المطل على نهر الدانوب وهو جزء من فناء القصر الملكي

ولكن الشيء الذي فكرت فيه في هذه المناسبة وأحزنني أن بودابست كان فيها عشرات من المساجد، وأنها كلها دمرت وأزيلت من الوجود، ولم يبق منها مسجد واحد قائم أو عامر بالمصلين.

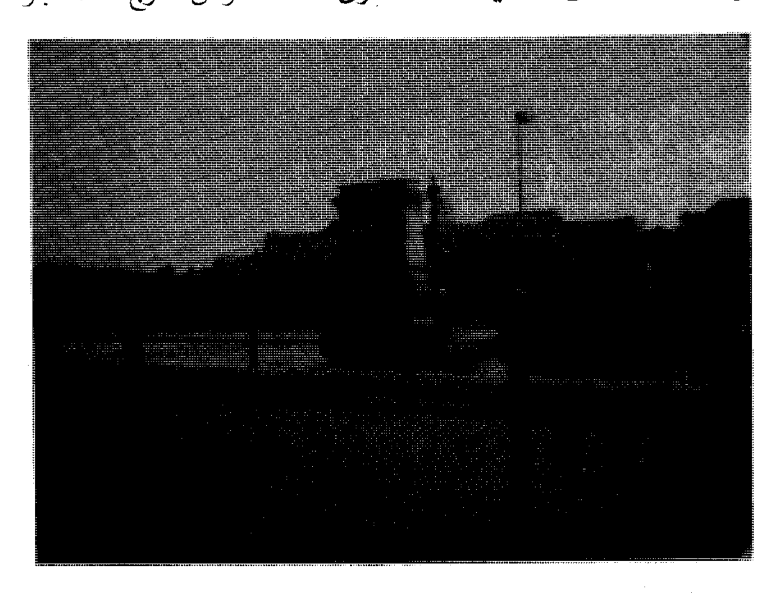
ويقع القصر الملكي على ضفة نهر الدانوب بجانب جسر قديم أثري، ويذكر بهذه المناسبة أن المجر كانت في وقت من الأوقات مملكة مزدهرة، بل ربما صح أن تسمى بالإمبراطورية المجرية، لأن حكمها كان يمتد خارج حدود المجر الحالية حتى يصل إلى يوغسلافيا ورومانيا والنمسا وبولندا.

وقد وضعوا في مقابل هذا الجسر المهم على نهر الدانوب بوابة صناعية، تشبه قوس النصر، يقابلها شلال من مياه نازلة من التلة الجبلية النظامية التي

تقع عليها مدينة (بست) القديمة.

وهذه البوابة هي اصطناعية تجميلية، فلم يكن المقصود منها أن تغلق الطريق دون أحد أو تفتحه له، وكذلك وضعوا تماثيل لطيور جميلة متعددة بالقرب منها على ذلك الشلال.

وكانت الدليلة تتكلم عن الكنائس والمعابد من دون أن يبدو عليها أنها تعتقد في الشيوعية التي تعتنق الإلحاد والمادية مبدأ من أهم مبادئها، وهذا مظهر من مظاهر عدم تغلغل المذهب الشيوعي في نفوس السواد الأعظم من الناس في هذه البلاد، وقد تأكدت من ذلك في حالات أخرى متعددة، ومن خارج هذه الجولة.



على ضفة نهر الدانوب

الصعود للتلال:

كررت الدليلة ما كانت قد ذكرته من قبل، وهو أن مدينة (بوست) القديمة مبنية على التلال، وقالت: إن هذا لا يعني أنها مرتفعة جداً، فهي لا ترتفع عن سطح البحر إلا بمائتين وخمسة وأربعين متراً، ولكنها مرتفعة عن مهاجمة المهاجمين.

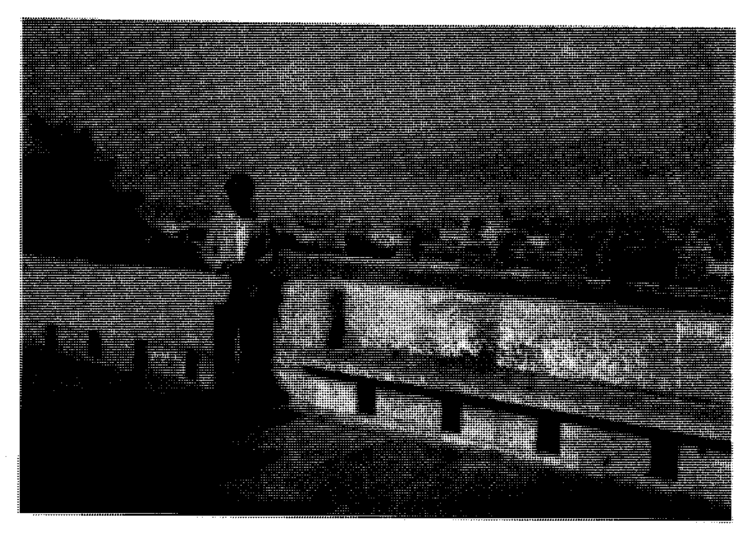
وصعدنا للتلة التي هي منازل على هيئة دارات (فيلات) صغيرة ذات حدائق ومنازل أكثرها بني في القرن الثامن عشر.

ثم وقفت عند تمثال الحرية، وهو عالٍ يشرف على المدينة، والأماكن الأثرية في بوست أكثر منها في (بودا).

إلا أن بودا تتميز بأنها تقع في أرض سهلة، بخلاف بست التي تقع فوق تلال متطامنة، ولكنها منظمة تنظيماً عجيباً.

ثم وقفت الحافلة لمدة عشر دقائق لالتقاط الصور للمدينة من هذه الناحية يشقها نهر الدانوب، الذي يطل عليه القصر الملكي الذي لا يزال يحتفظ برونقه رغم مضي عهد الملكية.

ثم استأنفت السير، وأشارت إلى البيوت التي أكثرها مبني من الحجارة وقالت: كان الناس يبنون بيوتهم من الخشب في القديم، فيكثر الحريق فيها، وبخاصة عند التدفئة بالنار في الشتاء الطويل، أما بعد ذلك فقد عرف الناس استعمال الفخار، ولذلك أسموا (بست) على اسمه، وهي الحجر المحروق، ظناً منهم أن حرق الطين بالنار وصلابته بجعله حجراً محروقاً.



على ضفة نهر الدانوب

وذكرت أن التتار الذين قدموا إلى هذه البلاد من آسيا، هم الذين سموا الفخار بهذه التسمية، لأنهم لم يكونوا أهل مدنية عند وصولهم إليها، ولذلك فإن كلمة (بست) كلمة تركية، لأن التتار كانوا يتكلمون لغة قريبة من التركية.

ثم اجتزنا فوق جسر من الجسور المقامة على نهر الدانوب وقالت: إن معظم هذه الجسور خرب في الحرب العالمية الثانية، مثلما خربت مبان كثيرة في (بودابست).

وقد ضربت مثلاً على ذلك القصر الملكي الذي كنا نمر من خلفه وقالت: إنه لحق به دمار شديد، لأن الألمان اتخذوه مقراً لقيادتهم في الحرب العالمية الثانية فهاجمه الحلفاء.

المنطقة التاريخية:

وقد يسمونها (منطقة الحصن التاريخي)، وهي مكان مرتفع يطل على نهر الدانوب، صعدنا إليها بالحافلة حتى وقفت في ميدان في واجهة كنيسة أثرية ضخمة قالت: إنها أكبر كنيسة في بودابست.

وقالت الدليلة: سوف نبقى هنا بعض الوقت لتشربوا المرطبات في مقصف فندق هيلتون على نفقة الشركة السياحية.

وقد تجولنا في المنطقة التي هي أثرية حقاً، فهي تحفل بآثار قديمة كلها مبنية بالحجارة، ومنها آثار مسجد مهدوم لم تشر الدليلة إليه، ولكننا رأينا هذه المنطقة الأثرية مع علمنا بأن الأتراك حكموا المجر مائة وسبعة وأربعين سنة، فظننت أنه لا بد أن يكون فيها مساجد، وقد سألت الدليلة فقلت لها: إنك ذكرت عدد الكنائس والمعابد اليهودية، ولم تذكري عدد المساجد في (بودابست)؟ فقالت: إن المساجد في المدينة كانت كثيرة إبان حكم الأتراك، وأما الآن فإنه لا يوجد فيها أي مسجد. وإنما يوجد مسجد واحد في مدينة بيش الواقعة على البحر جنوباً من (بودابست) بمائتي كيلومتر.

وقد شربنا الشاي في فندق هيلتون، ثم خرجت بالمصورة مع الأخ الزميل إبراهيم الخزيم، نصور ما راق لنا من هذه المناظر الرائقة، فصعدنا برجاً قالوا: إنه تابع لهذه الكنيسة الأثرية الكبيرة، وهو مبني من الحجارة المهذبة، ويطل على نهر الدانوب، ومنه ترى أكثر معالم مدينة بودابست المهمة. وذلك في منظر جميل عجيب.

وكان الجو يغري بذلك أيضاً، فقد ذهبت حرارة الشمس، وكانت السماء صحواً مما مكننا من التصوير في ضوء الشمس الساطع.

الأقلية الحاكمة:

بعد ساعة من الوقوف في هذه المنطقة التاريخية الجميلة التي لا يكدر جمالها إلا تذكر حالها القديمة، وما كان فيها من سلطان للمسلمين زال ودال، انطلقت الحافلة منحدرة إلى المدينة ثانية، فعبرت جسراً على نهر الدانوب أشارت الدليلة إلى بناء كبير قائلة: هذا هو مقر الحزب الشيوعي، وأضافت قائلة بصراحة تامة: إن عدد أعضاء الحزب الشيوعي الحاكم يبلغ تسعمائة ألف من مجموع سكان البلاد البالغ عشرة ملايين، ومعنى هذا أن العدد يساوي ٩٪ من مجموع السكان.

هذا ما قالت الدليلة، وهي موظفة في جهة رسمية هي الشركة السياحية.

ومعنى هذا أن أقلية من السكان لا يزيد عدد أعضائها على ٩٪ حسب الإحصاءات الرسمية التي تنشرها هي نفسها، وربما كان العدد الحقيقي لأفرادها أقل من ذلك، تتحكم بأغلبية السكان.

والأدهى من ذلك أنها لا تسمح للأغلبية بإبداء الرأي في المسائل المهمة، فضلاً عن أن تسمح لها بمحاولة الوصول إلى الحكم.

وهذه هي الديمقراطية الشيوعية التي يزعمونها، ويريدون من العالم أن يتابعهم عليها.

ولو كان الأمر أمر أقلية حاكمة، ولكنها تتيح لغيرها المشاركة في الحكم والسعي إلى الانفراد به إذا حاز غيرهم ممن لا يعتنقون الشيوعية على تفويض من الأكثرية، لكان في الأمر شيء من الوجاهة، ولكنهم يجمعون بين سيئة الانفراد بالحكم وحرمان الآخرين الذين لا يشاركونهم الرأي من فرصة ذلك، ثم يفتخرون بأنهم حكومة شعبية ديمقراطية.

المجر أو هنغاريا:

اللغة الشائعة هنا هي الهنغارية أو لنقل المجرية، كما هو الشائع في كتبنا العربية الحديثة، وإن كان القدامى من بني قومنا يسمون أهل هذه البلاد (الهنكر)، ويسمون البلاد بلاد الهنكر، مما يجعل كلمة (هنغاريا) أكثر أصالة في العربية، ومما يوجب علينا بالتالي أن نختارها تسمية لهذه البلاد لأصالتها في العربية، ولكننا تابعنا بين قومنا فيما شاع بينهم من تسميتها بالمجر، مع الإشارة إلى ما ذكرته من تسميتها القديمة عند أسلافنا.

واللغة المجرية هي لغة آسيوية أوربية -إن صح التعبير- وليست كاللغات الحية في البلدان المجاورة، فهي تكاد تكون مستقلة، ليس لها لغة قريبة في شرق أوربا إلا ما كان من لغة أهل فنلندا الذين يعرف أيضاً أن أصول أغلبهم جاءت من آسيا.

وأما اللغات المجاورة السائدة، فإنها ترجع إلى أصول عريقة، معروفة بلغات البلدان السلافية، كالموجودة في يوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا، هي من مجموعة اللغات السلافية، وإن تعددت وكثرت لهجاتها، واختلفت ألفاظها، ولغة رومانيا المجاورة ترجع إلى اللغة اللاتينية التي يعرف الناس أن من بناتها الفرنسية والإيطالية والإسبانية والبرتغالية، وإن تكن الفرنسية هي أكبرها، ولذلك هي أكثر اللغات اللاتينية بعداً من أم تلك اللغات.

واللغة المجرية هي لغة قوية، لذلك نجد المكتبات حافلة بالكتب المتنوعة بهذه اللغة وحدها، ولا تكاد تجد في اللافتات والنشرات لغة أخرى معها.

وكررت هذه الجملة عن اللغة المجرية لمناسبة ما ذكرته دليلة الحافلة السياحية، وقد مررنا بإحدى المدارس الثانوية، فذكرت أن لغة الدراسة في المرحلة الابتدائية هي الهنغارية وحدها، ولكن يجب على طلاب المدارس الثانوية أن يدرسوا اللغة الروسية بصفة إجبارية.

أما في التعليم الجامعي فإنه لا بد من دراسة إحدى اللغات الثلاث: الإنكليزية، أو الفرنسية، أو الألمانية.

ثم كانت نهاية هذه الجولة المفيدة.

البحث عن أشلاء مسجد:

رأى أحد الإخوة شارعاً اسمه (شارع المسجد)، فقررنا البحث عنه ومعرفة السبب في تسميته بهذا الاسم، مع علمنا اليقين بأن المساجد كانت كثيرة في بودابست إبان الحكم التركي، حتى قيل إن عددها في ذلك الحين بلغ (٨٣) مسجداً.

وقد سألنا أهل الفندق ومن لهم علاقة بالسياح عن وجود أي مسجد في هذه المدينة فنفوا ذلك، إلا أن أحدهم قال: إن السبب في تسمية الشارع بشارع المسجد أنه كان بالقرب منه مسجد لم يبق إلا مكانه.

أخذنا الورقة السياحية وأريناها سائق سيارة أجرة وقلنا له: نريد أن نذهب إلى هذا الشارع أتعرفه؟ فأجاب: نعم.

وكان معي الأخوان إبراهيم الخزيم أحد أعضاء الوفد، والأخ رحمة الله بن عناية الله سكرتير الوفد ومترجمه، لأنه يعرف التركية ولهجاتها جيداً.

فأوصلنا إلى مكان من شارع في موضع مرتفع، وقال وهو يشير إلى أعلى تلة هناك: يمكنكم الذهاب إلى تلك الجهة.

ولم نجد أي دليل أو إشارة تشير إلى وجود مسجد هنا، وحتى الناس الذين

رأيناهم هنا في الشارع لم يعرفوا بوجود مسجد، غير أننا نعرف بوجوده من تسمية الشارع التي لم تتغير، وهو (اوتسا مسجد) أي: شارع المسجد بالمجرية.

وبعد بحث ودوران في المنطقة لمحنا الدليل عليه في قبة لا تزال الهلال والنجمة فوقها وهو شعار المسلمين. فظنناها المسجد، وإذا بها قبر كتب عليه بالإنكليزية: (حل بابا تربه،أو تمب) وهذه هي كلمة (قبر) بالإنكليزية، وأما (تربه) فإنها القبر أيضاً باصطلاح المتأخرين من مؤرخي المسلمين، دخلت في اللغة التركية لهذا المعنى.

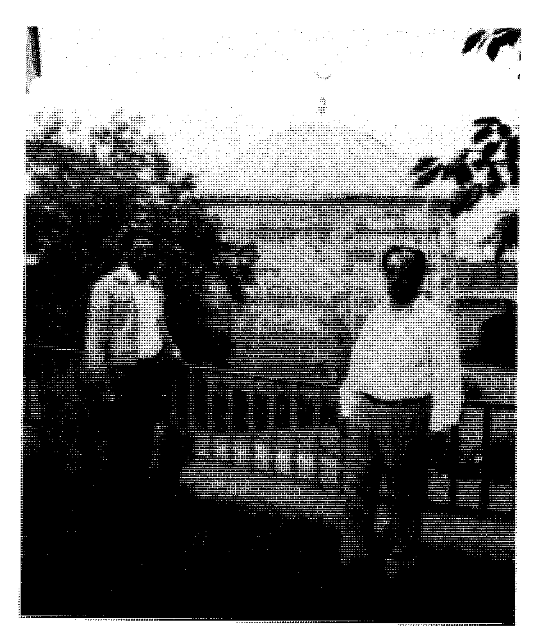


عند القبة الباقية من منطقة المسجد القديم في بودابست

وعليه تاريخ بناء هذا القبر من عام ١٥٤٣ إلى عام ١٥٤٨م، أي أنه استمر لمدة خمس سنوات، واسم صاحب التربة أو القبر (أبو الورد) هكذا كتب اسمه بوضوح، وقد بقيت من المقبرة قبة على القبر عالية خضراء مثمنة الشكل، لا

تزال بحالة جيدة من حيث البناء.

ونحن - هنا - نتكلم عن الواقع من أمرها، ونبرأ أن نستحسن بناء القباب أو غيرها على القبور؛ بل إن الذي عجبت له أن يمحى المسجد من الوجود، بل أن يمحى كل ما كان يذكر الإسلام في هذه المنطقة من هذه التلة التي تبين لنا أنها منطقة مسجد قديم تتبعه مرافق متعددة، ويبقى هذا القبر سليماً من التخريب، بل الأعجب من ذلك أننا رأينا عند باب القبة وهو مغلق بالأقفال رجلاً مطأطئاً رأسه على هيئة المتأمل أو المفكر، وقد تحدثنا إليه فلم يجبنا بشيء، وربما كان خائفاً، وعلمنا بعد ذلك أن بعض المسلمين كانوا يقصدون هذا القبر للزيارة والتبرك به، وربما كان بعض جهال الكفار أيضاً يفعلون ذلك، كما هي عليه الحال في كثير من البلدان، وهي أن يشترك أهل الأديان المختلفة في تعظيم مكان أو مشهد يخص أهل دين واحد دون غيره، وذلك ظاهر في بلاد الهند مثلاً، وقد ذكرت منه شواهد في الرحلات الهندية.



الأخوان رحمة الله بن عناية الله وإبراهيم الخزيم عند القبة الباقية من منطقة المسجد

وبعد تفحص المكان اتضح لنا أن هذه التربة هي جزء من مقبرة واقعة بجانب مسجد كبير بقيت منه أشلاء ظاهرة لمن يعرف هيئة المسجد في القديم، من ذلك كتابة لفظ الجلالة على أحد أركانه (الله)، وكلمة (محمد) على ركن آخر في خارجه. وقد ذهبت الأصباغ من الكلمتين اللتين كل واحدة منهما وسط دائرة كالمعتاد.

كما رأينا بقايا مقصورة مدفونة الوسط نفترض أنها المنارة، قد بقي منها ما يبلغ طول قامة الرجل تقريباً. وقد تركت أنقاض المسجد وسطه مما رفع من مكانه، أي كونه مرتفعاً في الأصل، وبقي مرتفعاً له لم يبن فوقه شيء، إلا أنه غرست فيه أشجار من أشجار الفاكهة رأيناها مثقلة بثمارها، ومنها الخوخ الجيد الكثير الآن في الأسواق، لأن هذا هو وقت إدراكه وينعه.

نوح الحمام على الإسلام:

لقد كنت غارقاً في الأشجان التي غمرتني وأنا أرى أشلاء هذا البيت من بيوت الله ممزقة، بل مفرقة، وأقول في نفسي: أي مجد عظيم أضعناه؟ ثم أحدث نفسي وألوم المحدثين من بني قومنا المسلمين على سكوتهم؛ بل على إهمالهم وتناسيهم لهذا المجد الإسلامي الضائع، وما الذي جعلهم يتركون الضغط على حكومة المجر الشيوعية، فلا يطالبونها بتعمير هذا المسجد أو غيره من مساجد المسلمين التي بقيت آثارها، أو حتى بقيت أمكنتها معروفة هناك ليصلي فيه المبعوثون السياسيون من أبناء المسلمين، إضافة إلى الدارسين والتجار منهم الذين يصلون إلى هذه البلاد، ولا يجدون مسجداً واحداً يقيمون فيه شعيرة الجمعة التي هي فرض عين على كل مسلم.

كلمة الضغط هنا هي حقيقية، وهي ممكنة، لأن حكومة المجر حكومة شيوعية بحاجة إلى العملات الأجنبية التجارية الدولية، ولها في هذا الميدان صلات تجارية واقتصادية قوية مع البلدان الإسلامية، ولو أن سفارات البلدان الإسلامية، أو لنقل بلفظ أدق المسلمة، أجمعت أمرها، وطالبت حكومة المجر بذلك، وإلا تعرضت تجارتها وتعاملها مع بلدانهم للخطر، لاستجابت

الحكومة المجرية لذلك، بل رأيناها تسارع إليه، وتظهر ذلك.

ثم لو أتبعوا ذلك بإتاحة الفرصة للدعاة إلى الإسلام في هذه البلاد الذين يأتون بصفة السائحين والطلاب، لكان للأمر وجه آخر، إن لم يكن في إدخال أعداد من المجريين في الإسلام الذين أثبتوا بشجاعة نادرة أن أكثريتهم تمقت الشيوعية، ولا تزال تعتقد بالديانة المسيحية، وتمتلئ بهم الكنائس في أيام الآحاد.

ولو فرضنا أن عدد الداخلين في الإسلام لم يكن كثيراً، فإن مجرد تصحيح فكرة القوم عن الإسلام هو مكسب عظيم في هذه المرحلة من مراحل الدعوة، لأنهم أو أكثرهم سمعوا أشياء مشوهة عن الإسلام أملاها التعصب الديني الأعمى عند رجال الكنيسة، أو من رجال السياسة في القديم، فضلاً عن الدعاية السيئة عن الإسلام بصفته ديناً من الديانات السماوية عند الشيوعيين الذين يحاربون الدين، أي دين.

وبينما كنت مستغرقاً في أشجاني بل أحزاني تلك، سمعت قمرية تنوح على فرع شجرة من الأشجار التي غرست في هذا المسجد الشهيد، فخيّل إليّ أنها تنوح على مجد الإسلام الذي ضاع، وأنها تنبه أسماع الأتباع إلى تدارك ما فات، لأن هذا الوقت هو أنسب الأوقات التي تستطيع أمة الإسلام أن تبعد عنه ركام الأيام، وإن تقدمه إلى الأنام بصفته دين الأحلام في الأخوة والسلام.

والمسجد المفقود:

كان السائق الذي أوصلنا لا يزال واقفاً ونحن ندور حول أشلاء المسجد وأبهائه المهجورة، فرأى اهتمامنا به فأشار بكلمات لا نفهم منها إلا كما يفهم النائم غير المستغرق من كلام الحاضرين حوله، لأننا لا نعرف ولكننا فهمنا منها قوله: إن هناك مكاناً آخر يشبه هذا المكان.

وذهب بنا إليه، فوقف وأشار إلى مكان لم نجد فيه ما يدل على المسجد إلا ما كان من أمر كنيسة حديثة استظهرنا أنها أقيمت على أكتاف المسجد

الذي كان طابقاً واحداً، فأقاموا فوقه ما يقلب مرآه إلى مرآى كنيسة.



المسجد المفقود أو المبنى الذي كان مسجدا في بودابست

ولم نر ما يصح أن يسمى جزءاً من مسجد إلا بقايا منارة حولت إلى برج للكنيسة.

ويقع على ضفة نهر الدانوب لا يفصل بينهما إلا الشارع المحاذي للنهر الذي تسميه العامة شارع الكورنيش، والظاهر أن هذا هو المسجد الذي بناه قاسم باشا قائد الجيش العثماني في المجر الذي حكم مدينة (بودا) أحد قسمي مدينة بودابست عام ١٥٢٦م، وذكر المؤرخون أنه بنى فيها مسجداً على الضفة اليمنى لنهر الدانوب، وأنه حول إلى كنيسة بعد انحسار نفوذ العثمانيين عن المجر.

ورأينا القوم قد احتفوا بهذا المكان الواقع على ضفة النهر كما احتفوا بغيره من المرافق العامة في بلادهم، فوضعوا فيه المقاعد الحجرية الكثيرة، ونسقوا نباته وأزهاره، بل نسقوا الضفة كلها تنسيقاً بديعاً.

ورأينا طوائف من الناس ينزهون أبصارهم في هذا المكان الأنيق، ويجلسون على هذه المقاعد الحجرية أمام النهر، لا سيما في هذا اليوم الذي

كان قد سطعت شمسه التي تؤذن الآن بالمغيب، وطاب هواؤه الذي قلما يطيب في غير الصيف الرطيب، في هذا الوادي الخصيب.

فوقفنا معهم قليلاً ونحن نمتع البصر بالانتقال ما بين النهر العظيم، وجسر عليه قديم، تسعى فوقه السيارات الكثيرة ذاهبة وآيبة، كأنما هي في بلاد حرة غير شيوعية.

وهذا المساء ؟:

تناولنا طعام العشاء في مطعم الفندق من أجل أن العاملين فيه يعرفون الإنكليزية، بخلاف العاملين في المطاعم الأخرى العامة التي ليس لها علاقة بالأجانب، فهم لا يعرفون من الإنكليزية شيئاً.

مع أن المطاعم العامة تنزل أسعارها إلى أقل من النصف عن أسعار مطعم الفندق.



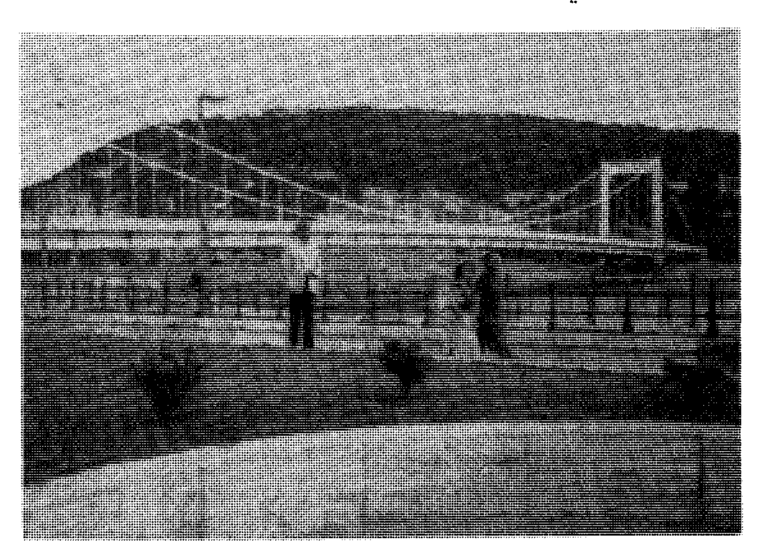
المؤلف في مكان مرتفع يشرف على نهر الدانوب وقسم من المدينة

وقبل ذلك قمت مع أحد الرفقاء بالسير على الأقدام في عدد من الشوارع

في وسط المدينة، فكانت الملاحظة الأولى أن المحلات التجارية العامة تغلق في الساعة السادسة، على حين أن الشمس لا تغرب إلا في الثامنة والربع، وعلى ذكر المحلات التجارية، فإنها كلها تابعة للدولة، وكل العاملين فيها هم في الحقيقة من العمال والموظفين لدى الدولة، على أنه توجد شركات صغيرة يملكها أفراد، شرط أن لا يزيد عددهم على أربعة، إلا إذا كانت شركات تملكها الدولة، وتسير على الخط الاشتراكي الذي تنتهجه. كما أنهم يشترطون على صاحب المتجر الصغير، أو أي صاحب عمل خاص ألا يزيد عدد العاملين عنده على رقم معين.

المجر المجهولة:

ولقد أعجبنا بالشوارع الواسعة، والأرصفة العريضة، والأشجار الوارفة فيها، إلى جانب الأبنية التي روعي في إنشائها القوة والجمال، حتى إن كثيراً منها لا يقل عن الأبنية القديمة المعتنى بها في باريس، وهي المدينة التي راعى بانوها فيها الذوق الفني والجمال، إضافة إلى القوة.



المنتزهات على ضفة الدانوب في بودابست

وذلك كله قديم قبل أن تصبح البلاد شيوعية، ولكن المهم أن الحكومة

الحاضرة استطاعت أن تحافظ عليه، بل استطاعت أن تدخل إلى البلاد أشياء لا توجد في البلدان الشيوعية في العادة، فعلى سبيل المثال رأينا في هذا المساء عربة صغيرة من عربات كنس الشوارع، تصعد على الرصيف وتنظفه مما قد يكون علق به من غبار أثناء النهار، وهي تعمل كما تعمل المكنسة الكهربائية التي ترشف الغبار من السجاد والفرش، وتجمعه في خزان صغير يفرغ بعد ذلك.

وهذه السيارات موجودة في المملكة، وهي تمر أمام بيتي في أيام معينة، لذلك ترى شوارع الرياض، وهي مدينة صحراوية كثيرة الغبار، في نقاء شوارع المدن المطيرة.

أما في البلدان الشيوعية، فقد تبادرت إلى ذهني صورة الكنّاسات في مدن الصين الشيوعية، وهن يحملن مكانس من القش بأيديهن، وهذه المكانس طويلة العصي، وإن شئت قلت طويلة الأيدي، وهي تكنس الشوارع بها، كما كانت المرأة القديمة تكنس بيتها في المكنسة قبل اختراع الكهرباء والسيارات.

والكنّاسات الصينيات - ولم أر كناسين من الرجال هناك إلا قليلاً- يجمعن الغبار في كويمات على جانبي الشارع، ليبعده من يأتي بعدهن، وكثيراً ما يظل أياماً، فتذروه الريح وتعيده إلى بطن الشارع مرة أخرى.

وماذا عن النساء؟:

ولمناسبة الحديث عن الكناسات في الصين، وكوني لم ألاحظ في الشوارع كناسات مجريات، أقول إن أهم ما يلاحظه السائح هنا أن المجريات يتميزن بأشياء عن نساء أوربا الشرقية.

أولها: الجمال الظاهر الذي لا يدري المرء مصدره، وربما كان ذلك لكونهن ذوات أصول مختلطة بأصول آسيوية، وليس فيها أو ليس أغلبها من الأصول العريقة المعروفة في شرق أوربا، كالعنصر السلافي الشبيه بالروسي، والعنصر الروماني الشبيه بالإيطالي، ولكنه غير نقي.

فهن هنا لسن كالآسيويات ولا كالأوربيات الشرقيات، وإنما هن بمثابة الجنس المستقل بذاته الذي يرى الغريب عن المنطقة كلها فيه جمالاً لا يراه في البلدان المجاورة.، ولا ينبغي أن يفهم من هذا القول أن النساء في المناطق المجاورة لسن من الجميلات، ولكن هؤلاء المجريات فيهن جمال فائق.

الثاني: الأناقة الظاهرة، فتجد اللباس لباساً أنيقاً، والزينة ليس فيها تقصير ولا إسراف، مع أن الزينة هنا هي من باب تجميل الجميل، وإلا فإن أكثرهن لهن من جمال الخلقة ما يكفي عن الجمال بالصنعة، أو على حد القول المشهور ((من الجمال المطبوع ما يكفي عن الجمال المصنوع)).

الثالث: الرشاقة التي تقل في الأوربيات الشرقيات، وتكاد تنعدم في الروسيات، فطائفة من المجريات ذوات أجسام رشيقة، حتى إنك ترى في بعض الأحيان أجساماً تكاد تحكم وأنت في وسط منطقة تتميز بثقيل الأجسام أن علة نحولهن بسبب من الأمراض، غير أنك إذا دققت النظر عرفت أنه ليس هناك أي مرض، وإنما هو طلب الرشاقة اللازمة للأناقة.

الرابع: مظاهر الصحة الفائقة على المجريين عامة، والمجريات خاصة، وذلك أن المرأة في بلاد مثل بلادهم تتخفف من اللباس في هذا الصيف، فيرى المارة في الشوارع من جسمها أكثر مما يرونه في الشتاء مثلاً، فلا يرون -هنا- آثار الأمراض الجلدية التي تكون على جلود النساء، وبخاصة المسنات منهن في البلدان الغربية، وبخاصة في البلاد الأمريكية.

ولقد تظرف أحد الرفقاء فقال: إنه يراهن من يلمح في بشرة واحدة منهن حتى الأطفال شيئاً من آثار الحبوب أو الندوب.

ولا أدري عن نتيجة الرهان، لأنني تركتهم وهو الغالب.

وينبغي أن لا يفهم أن النساء هنا، ونحن في فصل الصيف، يقللن من ملابسهن ويتبرجن تبرج الغربيات، إذ هن أقل من أولئك الغربيات في التبرج بكثير.

الخامس: التناسب العجيب بين أعضاء الجسم، وهذا شيء يلاحظه المرء في الشارع، فهن هنا لسن كالروسيات والصقلبيات اللاتي هن السلافيات اللاتي قد يرى المرء في بعض أجزاء الجسم عندهن تضخماً أكثر من الأجزاء الأخرى، حتى تقاطيع الوجوه قد يرى المرء في بعض السلافيات شيئاً من ذلك من تقطيع الوجه، كأن يرى أنفاً يميل للقصر أو الصغر في وجه كبير.

ومع ما ذكرناه عن المجريات، فإن اللباس عندهن يتميز بالبساطة، وقلة التكلف، أو لنقل رخص الثمن، وليس ذلك منهن طلباً للاعتدال في الإنفاق، وإنما هو العجز عن الحصول على اللباس الثمين، لأن الشيوعية قد أفقرتهن كما أفقرت غيرهن، فأصبح الدخل في هذه البلاد محدوداً، بل إن الشيوعية نزعت من سكانها حتى الأمل في الغنى، فلا يرجو الفقير فيهم - وكلهم فقراء- أنه سيصبح غنياً في يوم من الأيام، لأن ذلك يتنافى مع روح النظام الشيوعي الذي يحرم الإثراء من حيث المبدأ، ثم يعجز حتى عن الاستغناء من حيث الواقع.

وقلة المقاهي:

والمقاهي هنا ليست كثيرة، وإذا رأيت (مقهاة) لن تجد فيها كل ما تجده في المقهاة في الدول الغربية، وإنما يكون ما تقدمه من الأشربة معيناً محدوداً، فمثلاً طلبنا شاياً فلم نجده في ثلاث مقاهٍ، وإنما يقدمون من المنبهات القهوة فقط، وأما باقي الأشربة فإنها عصير الفاكهة، والمشروبات الخفيفة كالجعة (البيرة).

وهذا رغم ضخامة المدينة وكثرة السياح فيها في هذا الفصل الصيفي القصير من السنة الذي يعتبر فصل الإجازات المفضل في أقطار شرقي أوربا على وجه العموم.

وقد لاحظنا كثرة السيارات في هذه البلاد الشيوعية حتى العاشرة مساءً،

وهـذا أمـر غير معتـاد في مثل هـذه البـلاد ، وقيـل لنـا : إن ذلـك يرجـع إلى رخـاء في النظـام الشـيوعي هنـا ، فـهو كمثيلـه في يوغسـلافيا يسـمح بشـيء مـن المرونـة في تمليك السـيارات لـلأفراد ، مع الفـارق فيما بين النظامين، كـمـا قـالـوا : إنـه في هـذا الفصـل الـذي هـو فصـل الإجـازات في الشـوارع تكـثـر السـيـارات في الشـوارع، ويكثر خروج النـاس ليلاً.

ونعود إلى العنوان الذي ذكرنـاه مـن قبـل ولم نتكلم علـى مضمونـه، وهـو (المجر المجهولة) فنقول: إن هـذه البـلاد المجريـة تكـاد تكـون مجهولـة الحـال عنـد كثير من السياح، والجهل بحالها قـد غمطهـا حقـها مـن التقديـر الـذي يجـب أن يصيب أهلها الذيـن يعيقـهم عـائق الشـيوعية، أو لنقـل مـرض الشـيوعية مـن أن تكـون بلادهـم بمظـهر البـلاد المتقدمـة الراقيـة، وإن كـانت دخولهم دخـول أهـل البلدان المتأخرة.

كما لم يمنعهم ذلك من أن يظهروا هم أنفسهم بمظاهـر مناسـبة مـن حيـث اللباس والرياش.

ولقد اتضح لي السبب الآن في كـون سـفارتهم في (أثينا) رحبـت بطلـب سـمة الدخول الذي طلبناه، وسـارعت في ذلك حتى منحتنا ونحن ستة، ذلـك في أقـل مـن نصف ساعة.

والأهم من ذلك أنها وهـي تعـرف عـدم ترحيب بلادنـا بـتردد مواطنيـها علـى مثـل هـذه البـلاد الشـيوعية، فإنـهـا أعطتنـا سمـات الدخـول مكتوبـة علـى أوراق منفصلة عن الجوازات، لكي تجنبنا الإحراج لدى حكومتنا فيما تزعـم، ونحـن لم نطلب منها ذلـك لأننـا لا نريـد أن نخفـي علـى حكومتنـا شـيئاً مـن تنقلاتنـا، وبالنسبة إلى هـذه الرحلـة بـالذات فإنها تمت بموافقـة مـن الحكومـة السـعودية، وبتشـجيع منـهـا، لأن الـهـدف مـن ورائـها هـو النظـر في أمـر الإخـوة المسـلمين في البلـدان الشـيوعية الأوربيـة، ومحاولـة مسـاعدتهم علـى النـهوض بـهم فيمـا يتعلـق بأمور دينهم.

بل إن حكومتنا قد طلبت منا أن نقدر المبالغ المالية اللازمة لهذا الغرض، وذلك لصرفها في هذا السبيل الذي هو في سبيل الله، لأنه يتعلق بترميم المساجد، والمساعدة على إنشاء المدارس الإسلامية، وتقديم المنح الدراسية لأبناء المسلمين.

يوم الأربعاء ١٩٨٥/٧/٢٤م

ذهب اثنان من الرفاق بالجوازات إلى السفارة الرومانية، فقالت كما قالت أختاها في أثينا وبلغراد: يمكنكم أن تحصلوا على سمة الدخول من المطار أو الحدود الرومانية، وقد جربنا الحصول عليها من الحدود فلم نستطع، وإنما رجعنا بأخفاف حنين.

والأمر عند السفارة البولندية لا يبعد عن ذلك، فقد وعدوهم بأن السفارة ستتصل بالحكومة البولندية، وتنتظر منها الإذن بعد ثلاثة أيام.

وقد ذهبنا بعد ذلك إلى السفارة المصرية للسؤال عن أحوال المسلمين، وعما إذا كان بالإمكان أن تبذل جهدها لدى سفارتي رومانيا وبولندا من أجل أن تعطينا سمات الدخول، حيث لا توجد سفارة سعودية هنا، فكان الجواب عن الأخير بالنفي، وعن الأول الذي يتعلق بأحوال المسلمين لا يبعد عن ذلك، وهو أنه لا يوجد مسلمون، ولا تقام الجمعة في أي مكان من المجر.

وعندما سألهم الأخوان عن صلاة الجمعة، أجابوا بأنهم يؤدونها في مقر السفارة.

وكان اثنان من الرفاق قد ذهبا نيابة عن الوفد إلى مدينة (بيش) في منطقة جنوب المجر من أجل الاطلاع على ما ذكر من وجود مسجد أو مسجدين هناك، وللاتصال بالمسلمين في تلك المنطقة إن وجدوا.

وتبعد مائتي كيلومتر عن بودابست، وقد استأجرا لذلك سيارة بأربعة عشر دولاراً أمريكياً في اليوم، ولكنهم يضيفون مائة وأربعين سنتاً أي نحو دولار ونصف عن كل كيلومتر. لذلك ستكون الأجرة بمجموعها غالية.

أما أنا والأستاذ عبد الرحمن الرويشد فقد بقينا في الفندق في انتظار الدكتور عبد المنعم خان، وهو باكستاني سبق أن كتب للرابطة رسالة يطلب فيها أن تعمل على إنشاء جمعية إسلامية في المجر، وسبق أن هاتفناه فوعد بأنه

سيحضر اليوم إذا تمكن من ذلك، أو سيحضر غداً، لأنه طبيب يعمل في إحدى المستشفيات هنا، وذلك من أجل البحث معه في كيفية العمل على تأسيس جمعية إسلامية في هذه البلاد، وذكر أنه إذا لم يستطع الحضور قبل الحادية عشرة فإنه لن يستطيع ذلك إلا في الغد.



شارع رئيسي في قلب بودابست

مقهاة العرب:

لم يحضر الدكتور عبد المنعم خان فخرجنا من الفندق نبتغي شرب الشاي في إحدى المقاهي، وسرنا في الرصيف العريض من شارع لينين الذي يقع عليه فندقنا في اتجاه الشرق حتى تعبنا، ولم نجد مقهاة تقدم الشاي، فعدنا أدراجنا سائرين جهة الغرب، حتى وصلنا مقهاة في ميدان عنده محطة كبيرة للقطارات التي تسير تحت الأرض، فوجدنا فيها الشاي الجيد، ووجدنا فيها أيضاً العرب الكثير.

والعرب في هذه الأيام عددهم كثير في أوربا الشرقية، وبخاصة في المجر هذه لرخص أسعارها لمن يتجنب الفنادق الكبيرة، وقد امتلأت بهم المقهاة حتى لا يكاد المرء يجد فيها مائدة خالية، وأكثر العرب الذين فيها هم من السمر،

أكثرهم من الخليج العربي، وأما العرب الآخرون وخصوصاً منهم أهالي شمال إفريقية فإنهم موجودون أيضاً.

والجامع بين الجميع الإهمال في اللباس، والمظهر غير المبالي، لأن أكثرهم من الشبان الذين يقلدون الشباب الغربيين الذين لا يبالي أكثرهم بالمحافظة على المظهر في اللباس، ومن ذلك أن طائفة من هؤلاء الشبان من العرب يلبسون القميص التي لا أكمام لها أصلاً، وإنما هي كالقطعة العليا من اللباس الداخلي، ورأيت على رأس أحدهم قبعة عريضة على حين أن الجو معتدل، وهو في الظل، فليس هناك ضرورة للبسها.

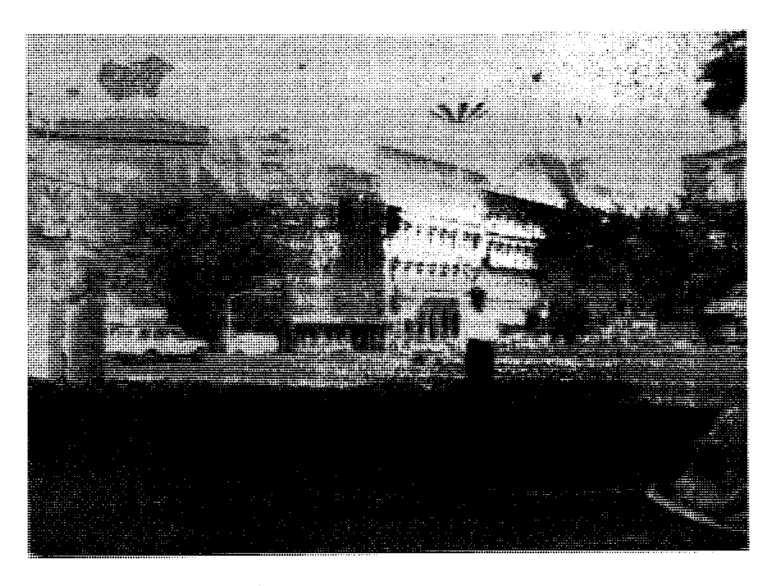
ويؤلف العرب في هذه المقهاة نحو أربعة أخماس روادها أو ٨٠٪، كما أصبح عوام الكتاب يقولون.

رأيت مع بعض العرب على الموائد نساء لا يوحي مظهرهن بالاتزان، فضلاً عن الاستقامة، وحدثنا من تحدثنا معه منهم أن هدفهم هنا هو قضاء الإجازة والبحث عن الرفيقات.

وقال أحدهم وذكرنا له صفاً طويلاً من العرب في السفارة البولندية هنا كلهم يبتغون الحصول على سمات دخول إلى بولندا، فقال: إنهم سمعوا أن هناك سهولة في الحصول على الصديقات، وبالغ بعضهم بأنه يمكنه أن يدفع أكثر مما يدفعه الآخرون، ليجعل إجازته ممتعة له لأن لديه نقوداً، وسألنا ثلاثة منهم كانوا على مائدة مجاورة عما إذا كانوا لا يخشون من أن يحتال عليهم أحد فقال أحدهم: لقد وقع ذلك بالفعل، ولكنني هددت بالشرطة، وبدأت بالصياح فهربوا. إن الناس هنا يخافون من الشرطة كما قال، ولما قلت له ولإخوانه الذين يسمعون: إنه كان الأولى بالمرء أن يبتعد عن أي شيء يجعله في حاجة إلى الشرطة، لا سيما أنه عربي مسلم، من قوم لهم ماضٍ مجيد في الأخلاق والعفة وحسن المعاملة مع الناس.

فكان عذرهم بأنهم من الشبان الذين جاؤوا لقضاء إجازاتهم.

إن هذه الأشياء تدل على أنهم ضائعون ومضيعون.



المؤلف وسط ميدان معتنى به في بودابست

ووجدنا بعض الطلاب من العرب هنا، فسألناهم عن الحياة في المجر، فذكروا أن الطعام رخيص، ولكن السكن أغلى منه في يوغسلافيا بكثير، وأخبرونا أن البرد قاسٍ في الشتاء، ولكن بعض العرب يفعلون هنا ما يفعله أهل البلاد من شرب المسكرات طلباً للدفء في ذلك الفصل.

أما هذه المقهاة فإنها مؤذية للنظر، ولكن فيها أشياء تمكن ملاحظتها عن حالة المغتربين من الشبان العرب في الأماكن المعروفة المطروقة، فهي في مظهر المقاهي في البلدان العربية؛ حيث يرى المرء شخصاً يأتي فيجلس وحده، فيناديه آخرون أن يجلس معهم، فيمتنع أو يتمنع فيأتون إليه، ويجرونه إلى مائدتهم جراً، وهناك أناس يختصمون على ـفع قائمة الحساب، كل واحد يريد أن يدفع قبل غيره.

كما أن هناك أشياء منكرة، مثل الإشارة إلى بعض النساء الجالسات بإشارات لا تدل على التهذيب.

يوم الخميس ٢٥/٧/١٩٨٥م

كيف نبدأ بالعمل الإسلامي:

يوجد في بودابست عدد كبير من المسلمين الذين يقيمون فيها إقامة دائمة ولسنوات عدة، أغلبهم من البلدان الغربية من العاملين في البعثات السياسية، ومن الطلاب العرب، ولكن لم تؤلف حتى الآن جمعية إسلامية، ولا يوجد فيها مسجد واحد تقام فيه صلاة الجمعة.

ولقد حرك الموضوع أخ مسلم غيور من الباكستان هو الدكتور عبد المنعم خان الذي ذكرت أمره من قبل، فقد حضر إلينا في الفندق، وعقدنا معه جلسة بحث وتشاور في كيفية العمل على بدء النشاط الإسلامي في هذه البلاد امتدت إلى وقت الغداء، فتناولنا معاً طعام الغداء في مطعم الفندق.

كان مما قاله الدكتور عبد المنعم خان أنه وهو شاب متعلم قد اتصل بعدد من الطلبة العرب الذين يدرسون في هذه البلاد، بغية أن يساعدهم على تأليف جمعية إسلامية، فلم يجد من استعد لذلك إلا طالباً واحداً، وقال إن الأمر هو كذلك بالنسبة للعاملين في سفارات البلدان الإسلامية في هذه البلاد.

وذكر أنه يوجد مسلمون من أهل البلاد، ولكنهم يكتمون إسلامهم، ووجود جمعية إسلامية تشرف على مركز إسلامي هو الوسيلة الوحيدة لمعرفتهم، ولتمكن غيرهم من الحصول على ما يريده من المعلومات عن الإسلام، وقال وهو في غاية التأثر: لقد حصل في هذه البلاد مثلما حصل في الأندلس عند خروج المسلمين منها، فقد كان المسلمون ذوي عدد كبير هنا، ولكن المجريين أجبروهم بعد خروج الأتراك على الارتداد عن دينهم، ومن أبى فعليه ترك البلاد أو يقتلونهم.

وذكر أن الوقت مناسب لتأليف الجمعية الإسلامية المنشودة.

فشكرنا له اهتمامه وغيرته الإسلامية، ووعدناهم باسم رابطة العالم

الإسلامي بكل أنواع التأييد التي تستطيع الرابطة تقديمها، وهي تستطيع الكثير في هذا الصدد.

فعلى سبيل المثال قلت له: إن الرابطة مستعدة للإسهام في دفع النصيب الأكبر من أجرة المركز الإسلامي عندما تستأجرونه، كما أنها مستعدة لإرسال إمام ومرشد لإمامة المسلمين في الصلاة، وإرشادهم إلى أمور دينهم، كما أننا أيضاً نستطيع أن نرسل لكم مقادير من المصاحف والكتب الدينية بلغات مختلفة.

ونستطيع في مرحلة لاحقة أن نشجع العاملين المبرزين في هذا الحقل بإرسال الدعوات لهم للحج والعمرة، واستضافتهم لدى رابطة العالم الإسلامي مدة إقامتهم في المملكة، مع توفير ما يحتاجه الأمر لاتصالهم بالمسؤولين والعلماء والعاملين في حقل العلاقات مع المسلمين في المملكة العربية السعودية.

وأهم من ذلك أننا سنسارع إلى تسجيل الجمعية الإسلامية التي سيتم تأليفها هنا ضمن الجمعيات التي تتعامل مع الرابطة فندعوها إلى المؤتمرات والاجتماعات الإسلامية، ونساعد على توثيق الصلة ما بينها وبين الجمعيات الإسلامية الأخرى في أنحاء العالم.

ولكن الأهم من ذلك كله هو المبادرة بتأليف الجمعية الإسلامية وتسجيلها رسمياً، لأن رابطة العالم الإسلامي لا تستطيع أن تقدم المعونات المالية أو نحوها لجمعية غير مسجلة، ولا لأفراد معينين. وقد أخبرنا الأخ الدكتور عبد المنعم خان أنه لم يتم حتى الآن تسجيل هذه الجمعية في الحكومة، ولكنه يتيقن من أن ذلك سهل لوجود جمعيات دينية نصرانية ويهودية مسجلة، وإذا امتنعت الدولة عن تسجيل الجمعية لاحتج المسلمون بذلك.

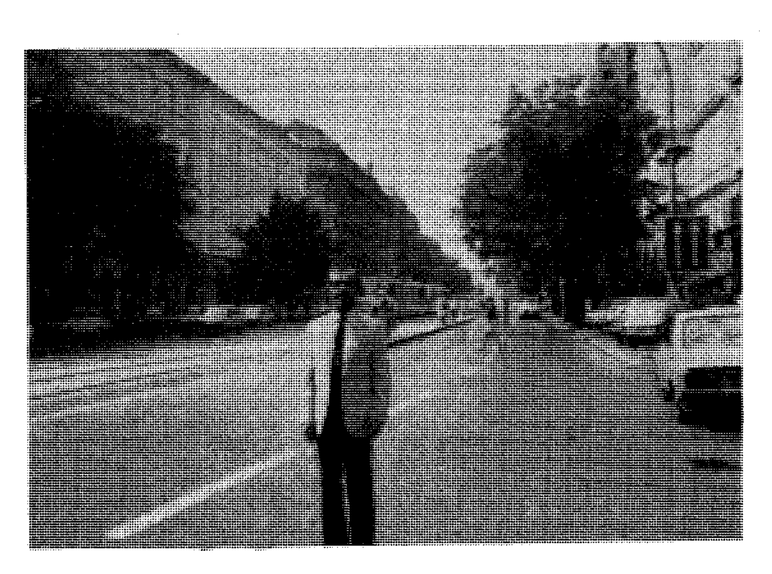
مع العلم - كما قال- بأن الحكومة هنا لا تعترض على المؤسسات الدينية، ولا تمانع في أن يذهب الناس إلى أماكن العبادة، فقد شاهد بنفسه أعداداً كبيرة من الناس تذهب إلى الكنائس والمعابد في أيام المناسبات.

ونصحناه بأن يجتمع مع نفر من الإخوة الراغبين في العمل الصالح من طلاب أو غيرهم، ممن يحملون الإقامة في هذه البلاد، وأن يعملوا اللازم لتسجيل الجمعية الإسلامية فوراً. فوعد بذلك.

ثم انقضت الجلسة معه بعد أحاديث مفيدة عن أحوال هذه البلاد.

شعب محب للكتب:

كانت لنا جولة في عصر هذا اليوم على طائفة من متاجر القوم الكبار والصغار في عدة شوارع قريبة من الفندق، وكانت أولى الملاحظات هنا كثرة المكتبات التي تبيع الكتب، ففي شارع الفندق الذي نقيم فيه، وهو الذي يسمونه (شارع لينين)، مكتبات متعددة كبيرة في محلات واسعة، وغير بعيد منها بسطات أي محلات صغيرة للبيع في محاريب أو أكشاك، أو على عربات كبيرة مقامة على الرصيف كلها تبيع الكتب، حتى قال بعض الرفقاء: إن عدد المكتبات في هذا الشارع يفوق عدد البقالات فيه.



المؤلف في أحد الشوارع المستقيمة في بودابست

وربما كان في هذا الحكم شيء من المبالغة، وإن كان ظاهر السبب

لكثرة المكتبات، فإن الذي رأيته أنا وزميلي الأستاذ عب الرحمن الرويشد أننا دخلنا عدة مكتبات من هذه المكتبات الكبيرة، هو يبحث عن كتب الأطفال بالإنكليزية، لأنه يصدر مجلة (الشبل)، وهي مجلة للأولاد يصدرها في الرياض، وأما أنا فإنني أبحث عن المعرفة العامة، ومعها كتيب بالإنكليزية عن أحوال هذه البلاد.

فكان ما لاحظناه أن الذين يدفعون أقيام الكتب التي اشتروها من إحدى المكتبات، كونوا صفاً طويلاً أكثر من الصف الذي كونه الذين اشتروا ما احتاجوه من إحدى البقالات الكبيرة، وذلك لكثرة الذين يشترون الكتب، ولكثرة الذين يترددون على هذه المكتبات.

مع العلم بأن الكتب أكثرها إن لم نقل كلها - لأن النادر لا حكم عليه- هي باللغة المجرية، ومع ملاحظة أخرى، وهي أن القوم يقبلون على شراء الكتب ويدفعون أثمانها الكثيرة، مع أن دخولهم محدودة، وبلادهم شيوعية ليس فيه أشخاص كثيرون من ذوي الثراء، وهذا كله يدل على محبة هذا الشعب لاقتناء الكتب للاطلاع على ما فيها، وبالتالي يدل على أنه شعب محب للمعرفة.

ولمحبة القوم للكتب وإقبالهم على شرائها رأينا الكتب أنواعاً منوعة من حيث الطباعة والإخراج والتصوير، وتشمل موضوعات متعددة، لا يهتم الناس في البلدان المختلفة في العادة بشراء الكتب من أجلها، مثل الكتب التي تبحث عن الزهور فتجد فيها الصور الملونة الغالية لأنواع الزهور، والكتب التي تتكلم على أنواع من الطيور تجدها مصورة، وقد كتبوا بلغتهم ما يتعلق بها ويشرح صورها، وقل مثل ذلك عن أشياء أغرب مما ذكر، مثل كتاب اشتريت نسخة منه يشتمل على ملامح الوجوه في العالم، فترى فيه الوجوه الشرقية الصفر، والوجوه الهندية السمر، إلى جانب الوجوه الإفريقية والمغولية والروسية - مثلاً- إلخ.

وحتى الأزياء التي يراد بها أزياء الإنسان من حيث هو، كأزياء الأطفال لها كتب خاصة، وأزياء الرجال كذلك، وأما أزياء النساء فإن الأمر فيها

أوسع، وهو أكثر تشعباً وتنوعاً.

ولا أذكر أنني رأيت عدد الحوانيت التي تبيع الكتب أكثر منها في هذه المدينة (بودابست)، وما رأيت كتباً أكثر بلغة محدودة القراء تكاد تكون منقطعة عن لغات العالم الأخرى، لا يجمعها جامع بأية لغة أخرى غير لغة أهل فنلندا التي لا تماثلها، ولكن يجد المرء بأنها قريبة منها.

أشياء من الذوق العام:

الذوق العام هنا طابعه الجودة، أو قل طابعه الفن، سواء في تخطيط الشوارع أو في صيانتها، بل في تجميلها، ولذلك يجد المرء عدة محلات لبيع الزهور، ويجد طائفة من باعة العربات على الرصيف يبيعون الزهور، والقوم يشترونها رغم دخولهم المحدودة.

وإشارات المرور محترمة من الجميع، فالمشاة لا يسيرون إلا إذا كانت الإشارة تسمح لهم بذلك، والسرعة في الشوارع هي الغالبة على السيارات، لأن السائقين يفعلون ذلك اعتماداً على فهم الناس لإشارات المرور، وبأنهم لا يخترقون الشوارع إلا من الأماكن المخصصة لهم. وذلك كله مخطط وموضح بطريقة ممتازة، حتى في الأزقة الضيقة أو الميادين الواسعة التي يتطلب الأمر فيها تخطيطاً أكثر وأوضح.

والقوم مؤدبون مهذبون في الشارع العام، فلا مزاحمة ولا نظرات فضولية تجاه الغريب، فضلاً عن سؤال الغريب عن حاله أو ماله أو عن أصله وفصله، كما يفعل بعض الناس في البلدان المتخلفة، وربما كان بعض السبب في ذلك أن فصل الصيف هذا هو فصل السياحة، لكونه موسم إجازات في النصف الشمالي من الأرض. كما أننا لم نلاحظ تزاحماً على الدخول والخروج من أبواب المحلات العامة، ولا شحناء أو مخاصمات ظاهرة فيما بينهم.

والأمن ؟:

وحالة الأمن الشخصي هنا جيدة، كما لمسناه بأنفسنا، فليس في الفندق

من التحذيرات التي توجهها الفنادق للنزلاء، من وجوب محافظتهم على ممتلكاتهم وأمتعتهم ذات القيمة، وتتنصل الإدارة عن مسؤولية ما يفقد منها، كما يكون ذلك في الفنادق الكبيرة في كثير من البلدان الغربية، وبخاصة في الولايات المتحدة الأميركية التي تكاد تكون مضرب المثل الأسفل في هذا المجال.

وقد سألنا المقيمين هنا من الطلاب العرب عن حالة الأمن، فأجابوا بما انطبع في أذهاننا بأنها جيدة، وأن السرقات قليلة.

وينبغي أن يذكر هنا أن البلدان الشيوعية أغلبها بهذه الحالة، لأن الناس لا يكادون يجدون من أهل البلاد زائداً عن قوتهم ما يستحق أن يخاطر السارق بنفسه أو بحريته من أجل سرقته، فالدخول محدودة، والممتلكات معدومة.

ولكن الأمر يتعلق بالأجانب الذين يأتون معهم إلى جانب الأشياء الثمينة بالنقود الأثمن والأضمن، إلا أن الأمن هنا - حتى بالنسبة لهؤلاء الأجانب من السياح وغيرهم - جيد.

لا دعاية للشيوعية:

لم أسمع كلمة واحدة من الدليلة السياحية ولا من المقدم لحفلة العشاء التي حضرناها، ولم أر في الفندق ولا في غيره أي شعار تعمدوا إظهاره يحبذ الشيوعية، أو يظهر أن الشعب المجري يتمسك بها، فضلاً عن أن يكون فخوراً باعتناقها، كما لم أر في الشوارع ملصقات أو شعارات ظاهرة حولها، وقد استنتجت من ذلك أنه يدل على ما كان قد تقرر في الأذهان من أن الشعب المتعلم المحب للاطلاع والتقدم لا تناسبه الشيوعية، ولكنه خاضع لها بقوة السلاح.

ولذلك تكاد تنسى إذا كنت سائراً في شوارع العاصمة (بودابست) أنك تسير في عاصمة دولة شيوعية، بل يخيل إليك أنك في إحدى العواصم الأوربية، فكل شيء تراه من مظاهر الناس وتصرفاتهم، ومن تخطيط المدينة يوحي لك بذلك.

اللغة العالمية أو لغة الصم:

في هذا المساء ذهبت إلى المقهاة التي فضلت أن اسميها (المقهاة العربية) كما تقدم، فرأيت فيها عجباً، وكنت لم أفطن إلى أنه عام عند أكثر من يأتون إليها.

وذلك أنهم اعتادوا على أن يتكلموا بالإشارة بالأيدي بديلة من الكلام باللسان، وذلك بأن اللغة المجرية لغة تكاد تكون محلية، وهي ليست من اللغات التي يرغب الأجانب من غير الطلاب ونحوهم في تعلمها، كما أن معظم أهلها لا يعرفون الإنكليزية، إضافة إلى أن بلادهم يقدم إليها سياح من أقطار عدة من أوربا الغربية ومن البلدان العربية، لذلك رأيت أكثر الذين يجلسون في هذه المقهاة يتفاهمون بلغة الصم التي هي لغة الإشارة.

وذلك بأن يشيروا بأيديهم ورؤوسهم إلى ما يريدونه، وقد اكتفوا بذلك عن أن يحاولوا عند اللقاء أن يتساءلوا عن اللغة التي ينبغي أن يتحدثوا بها فيما بينهم.

ومن المخجل ما رأيته من أن بعض الشبان يدعون بعض الشابات إلى الجلوس إلى موائدهم، فيشيرون إليهن بذلك، ولو كانت موائدهم متباعدة، فيفهم الجالس في المقهاة المقصود من الكلام.

هذا إلى جانب الحديث معهن بالإشارة المفهومة إذا كان الجميع على مائدة واحدة.

ورأيت في هذه المقهاة اليوم بعض الأتراك مع العرب، ولا يكاد المرء يفرق بينهم وبين العرب في بلاد الغربة هذه.

وقد لاحظت أن بعض الذين يتحدثون العربية يأتون إلينا يسألوننا عما إذا كنا نريد صرف العملة الأجنبية بالعملة المحلية، لأن سعرهم أعلى من سعر البنك، فهم يخالفون القوانين المرعية في هذه البلاد حول صرف العملة.

وليس معنى هذا أنني أرى أنه لا يجوز صرف العملة في بلاد من هذه البلاد الكافرة إلا في المصرف -أي البنك- أو السعر الذي حددته الحكومة.

لا سيما مع كونهم لم يسألونا عن مقدار النقود التي معنا عند الدخول، وإنما اكتفوا بإجبار كل شخص على صرف مبلغ رمزي من الدولارات هو ثلاثون دولاراً بالصرف الرسمي عند الدخول لكل شخص.

كما لا حظنا أن بعض الغرباء يعرضون ساعات للبيع، يزعمون أنها أرخص كثيراً من الساعات التي تباع في المحلات التجارية هنا.


رومانيا

المجر
ساتو ماري
اوتوساني
لوراديا
كلوز
لازي
ملدوفيا
باكو
نوردا
أراد
تيميشوورا
هونيدوارا
غلطس
بوزو
سيبيو
رايسيكا
برايله
بوخارست
الصرب والجبل الأسود
كرايوفا
كونستانتا
كالارازي
بلغاريا



جمهورية رومانيا الاشتراكية

تقع جمهورية رومانيا الاشتراكية في جنوب شرق أوربا على الساحل الغربي للبحر الأسود، وتبلغ مساحتها ٢٣٧,٥٠٠كم٢، وعدد سكانها ٢٢٤٠٠,٠٠ نسمة في عام ١٩٨١م، وتتكون رومانيا من ٤٠ مقاطعة ومنطقة واحدة ذات حكم ذاتي للأقلية المجرية، وعاصمتها بخارست، ومن أهم المدن براسوف، وكلوج، وكونستانتا.

بعد الحرب العالمية الثانية سيطر الشيوعيون بمساعدة القوات السوفيتية على حكم البلاد في ٣٠ ديسمبر ١٩٤٧م، وأصبحت رومانيا جمهورية اشتراكية شعبية، تشرف على إدارتها الجمعية الوطنية الكبرى التي يبلغ عدد أعضائها ٣٦٩ شخصاً، ينتخبون لمدة خمس سنوات، وتعين هذه الجمعية أعضاء مجلس الدولة البالغ عددهم ١٨ شخصاً بيدهم السلطة التنفيذية، ويتولى نيقولاي شاوشيسكو سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي منذ عام ١٩٦٥ رئاسة مجلس الدولة حتى عام ١٩٦٧م.

ورومانيا بلد زراعي، وقد تطورت الصناعة الحديثة في السنوات الأخيرة للاستفادة من الثروات المعدنية من البترول والألمنيوم والرصاص والتوتياء والمنتوجات الزراعية.

تاريخ دخول الإسلام في رومانيا:

كانت منطقة واشيا القديمة التي تشكل معظم أراضي رومانيا ضمن الإمبراطورية الرومانية إلى القرن الثالث الميلادي، ثم غزاها قبائل الغوط والهون والأوار والسلاف ثم المغول، وبعد جلاء المغول منها ظهرت إمارتا مولدافيا ووالاشيا في القرن الثالث عشر الميلادي.

ثم بدأت الفتوحات الإسلامية لرومانيا عام ١٤١١م، وانتهت بفتح ترانسلفانيا سنة ١٥٤١، وخضعت رومانيا لحكم الدولة العثمانية، حتى تكالبت روسيا والنمسا لإثارة الاضطرابات والفتن ضد العثمانيين، وصاحب

ذلك غزوات عسكرية لأراضي الدولة العثمانية، مما أدى إلى استقلال مولدافيا وولاشيا باسم رومانيا في عام ١٨٧٨م، بموجب معاهدة برلين.

وخلال الحرب العالمية الأولى توسعت مملكة رومانيا، فضمت إليها دوبرجه من تركيا وترانسلفانيا من المجر، وبعض الأراضي الروسية والنمساوية.

هناك روايتان تفيدان أن الإسلام قد وصل قبل التوسع العثماني في القرن الخامس عشر الميلادي، فرواية تفيد أن الإسلام قد دخل المنطقة على يد أتراك القبجاق في عهد بركة خان حفيد جنكيز خان، وملك التون أوردو الذي أسلم عام ١٢٥٧م.

والرواية الثانية تقول إن صاري سالتوق داره الأمير السلجوقي دخل رومانيا عام ١٢٦٢م ومعه ١٢٠٠٠ تركي سلجوقي.

والشواهد التاريخية وآثارها المتواجدة في منطقة دوبرجه تؤكد دخول الإسلام إلى رومانيا على أيدي أتراك القبجاق وأتراك السلجوق في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، واعتناق بعض سكان المنطقة للإسلام وانتشاره خلال الحكم العثماني الذي استمر حوالي خمسة قرون، وكذلك هجرة الأتراك المسلمين من الأناضول إليها، ثم أخيراً هجرة أتراك التتار من شبه جزيرة القريم إلى منطقة دوبرجه إبان التوسع الروسي في البلاد الإسلامية.

مناطق المسلمين في رومانيا:

يتناثر المسلمون في معظم مقاطعات رومانيا الاشتراكية بأعداد ضئيلة، وتشير التقارير الحكومية إلى أن هناك ٨٥جماعة إسلامية في أنحاء رومانيا، بدءاً من العاصمة بخارست التي يسميها الأتراك بوكرش إلى ولايتي كونستانتا وتولسيه في منطقة دبرجه التي تتركز فيها الأغلبية الإسلامية، وهي منطقة محصورة بين نهر الدانوب والبحر الأسود، وتبلغ مساحتها الكلية ١٥٤٨٥كم٢، ومن أهم المدن الإسلامية فيها مانغاليا وباباداغ، ومجيديه وتكيركول واده قلعه وحمزجه.

وفي الإحصاء الذي تم في عام ١٩٣٠ كان عدد المسلمين ٣٤٥٧٢٠ نسمة، ولكن عددهم اليوم يتراوح بين مائة ألف مسلم كما يقول المسؤولون في رومانيا، و١٧٣ ألف في دراسة الدكتور ريتشارد ويكس في كتابه «الشعوب الإسلامية» المطبوع في ويست بورت عام ١٩٧٨؛ حيث يقول إنهم يتكونون من ١٤٨ألف من الأتراك و٢٥ ألف من التتار.

المؤسسات الإسلامية في رومانيا:

لا يعرف عدد المساجد والمدارس الإسلامية التي كانت في أواخر الحكم العثماني في رومانيا، ولكن عدد المساجد والجوامع التي سلمت من يد التدمير والتخريب والموجودة حالياً هو ٧٢ مسجداً، حسب التقدير الحكومي، ومعظمها قد أصابه الخراب والدمار، ومهدد بالسقوط والانهيار، مع أن بعضها يعتبر من أبرز المعالم التاريخية والفنية، مثل جامع هونيكار الذي شيد عام١٨٦١، وجامع أناضول كوى المبني عام١٨٧٠ في مدينة كونستانتا، وجامع بابا داغ المبني عام١٥٢٢ في بابا داغ، وجامع عصمت سلطان الذي شيد عام١٥٩٠م في مدينة مانغاليا.



منارة المسجد الجامع في بوخارست

خلال الحكم الشيوعي أغلقت جميع المدارس الإسلامية التي كانت موجودة منذ الحكم العثماني، ومنع التعليم الإسلامي، وأجبر الأطفال وشبابهم على تلقي العلم في المدارس الشيوعية.

وفي عام ١٩٦٦م أغلق المعهد الإسلامي الوحيد في مجيدية الذي كان يغذي المجتمع الإسلامي بالأئمة والخطباء.

وقبيل الحكم الشيوعي كان يشرف على النشاط الديني في كل مدينة إسلامية مفتٍ يعينه علماء المسلمين، ويتلقى راتبه من حكومتي رومانيا وتركيا، كما كان المفتي بموجب المادة ٧٢ من دستور رومانيا الصادر في مارس١٩٢٣ عضواً عن المسلمين في برلمان رومانيا، إلا أن السلطات الشيوعية ألغت هذا الأمر، ومنعت من تعدد المفتين، حيث اقتصر الآن على مفتٍ واحد لمسلمي رومانيا، يرأس دار الإفتاء المركزية في كونستانتا، وهو الشيخ يعقوب محمد عبد الستار، ويساعده مجلس إسلامي مكون من ٢٣ عضواً ينتخبون عن طريق التصويت السري من رجال الدين والسكان المسلمين.

الوضع الإسلامي:

يتضمن دستور جمهورية رومانيا الاشتراكية في مادتيه ١٧، ٢٢ الحرية الكاملة، واحترام كرامة الإنسان، والمساواة في الحقوق بين جميع مواطني البلاد، وتصفية أي نوع من التمييز القومي أو العنصري أو الجنسي أو الديني، كما ينص الدستور الروماني الصادر في عام ١٩٦٨ على الحرية الدينية لكافة فئات الشعب الروماني، بيد أن نصوص القانون لا تطبق، كما هو الحال في جميع الدول الشيوعية، فالواقع يختلف عما هو مشروع.

لذا فإن الواقع الإسلامي يتميز بالغموض، والدعاية التي لا تتفق مع أحوال المسلمين في رومانيا، لأن حال المسلمين في كل البلاد التي منيت بالشيوعية يكاد يكون متشابهاً إلى حد كبير، عملاً بالمبدأ الماركسي القائم على محاربة الدين، ولكن الدين الذي تحاربه هو الإسلام فقط، إذ تتعاون الهيئات

المسيحية مع الأجهزة الشيوعية في محاربة الإسلام، وعلى هذا فالمسلمون في رومانيا يتعرضون إلى كثير من المضايقات والاضطهادات التي تستهدف القضاء على الإسلام، بغرض الإلحاد والتنصير. فمثلاً:

١- تعامل الحكومة رجال الدين المسيحي غير معاملة رجال الدين الإسلامي، ومصداق ذلك أن الخوري يتقاضى راتباً قدره ثلاثة أضعاف راتب الإمام، وحجة الحكومة في ذلك أن الخوري يحمل شهادة جامعية، وهي حجة واهية، إذ ليس كل خوري يحمل شهادة جامعية، ولا سيما خوارنة الأرثوذكس.

٢- تضييق العيش على المسلمين، وحرمانهم من وظائف الدولة، إذا ثبتت تمسكهم بالشعائر الإسلامية، بينما أتباع بقية الأديان يحتلون مناصب هامة ويزاولون نشاطهم بحرية.

٣- صادرت الحكومة الشيوعية كل أوقاف المسلمين فيما صادرت من أملاك، بحجة أنها أراضٍ زراعية، ولم تصادر للمسيحيين شيئاً، بحجة أنها أوقاف عقارات.

٤- رغم أن الهيئات المسيحية تعمل على نشر تعاليمها، وتربية أبنائها، بل وتجد على نشر المسيحية بين المسلمين، فإن المسلمين محرومون من كافة وسائل تعزيز الثقافة الإسلامية بين أبنائهم، وكذلك حظر دخول الكتب الإسلامية إليهم.


عودة إلى اليوميات

يوم الجمعة ١٩٨٥/٧/٢٦

السفر إلى رومانيا:

لم نستطع الحصول على سمة الدخول إلى رومانيا بالطرق المعتادة، وقد قالت السفارات الرومانية في أثينا وبلغراد وبودابست: إن السياح أمثالكم يستطيعون الحصول على سمة الدخول من المطار، ولكننا لم نشأ المخاطرة بذلك، لأننا كنا حاولنا الدخول إلى رومانيا من الطريق البري ولم نستطع.

لذلك اتصلنا بمفتي بوخارست وإمام جامعها الشيخ (رجب صالح)، وقد سبق أن حج و حل ضيفاً على رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

وقد أخبرنا بأنه سيسعى في الحصول لنا على سمة الدخول من المطار، ولكنه يريد معرفة موعد وصولنا إلى بوخارست اليوم، وأخبرناه بذلك فقال: إنه حصل على السمة مبدئياً، وإنه سيكون في استقبالنا في المطار مع ممثل لوزارة الخارجية الرومانية.

من بودابست إلى بوخارست:

غادرنا فندق إمبريال في بودابست الساعة الرابعة عصراً على سيارتين من سيارات الأجرة، لأننا لم نجد سيارة كبيرة تحملنا ونحن سبعة، قاصدين المطار، بأجرة مائة وسبعين فورنت، وهو عملة المجر، ويساوي ذلك أربعة دولارات أمريكية إلا ربعاً لكل سيارة.

وقد أعجبنا بما رأيناه في الطريق من قلب المدينة إلى المطار من جسور وأبنية نظيفة، ذات طلاء بهيج، إلا أن الأبنية الحديثة، وهي المسماة بالعمارات في لغة عوام الكتاب، ليست من الكثرة بمثل ما هي عليه في يوغسلافيا التي يفوق ما رأيته فيها ما رأيته في البلدان الشيوعية الأخرى من هذه الأبنية.

وكذلك أعجبنا بما رأيناه من الأماكن المشجرة المتسعة، وأبراج نقل الكهرباء الضخمة.

وفي المطار كان تفتيش المسافرين المغادرين سهلاً، ثم دخلنا قاعة المغادرة في المطار، وهي قديمة يشعر الإنسان فيها بالحر، مع أننا الآن في الأصيل، وذلك لكونها مغلقة اتقاء للبرد، وليس فيها مكيفات للتبريد، لكون البلاد بطبيعتها باردة.

وفي السادسة والنصف عصراً ركبنا حافلة من القاعة إلى الطائرة، فليس في الجهة التي ركبنا فيها دهاليز متحركة، كالتي في مطار بلغراد، ذاك أكبر وأوسع وأفخم، وإن كانت توجد دهاليز في مكان آخر من المطار، ربما كانت خاصة بالخطوط الدولية البعيدة، ثم فوجئنا بالأغرب وهو أنه رغم كونهم قد فتشونا التفتيش المعتاد، فإن مضيفي الطائرة وربما رجال أمن فيها قد أخذوا يفتشون الركاب تفتيشاً دقيقاً ما رأيت أصعب منه في أي مكان في العالم، فكانوا يفتشون حقائب الركاب وأبدانهم أيضاً.

وفي السابعة إلا خمس دقائق كانت الطائرة الرومانية تتحرك قاصدة بوخارست، وأعلنوا أن مدة الطيران ستكون خمسين دقيقة.

كان الجو غائماً، وقد ارتفعت الطائرة وهي نفاثة غير معروفة لنا، من صنع الكتلة الشرقية ربما كانت روسية، وهي صغيرة نسبياً، لا أظن أن عدد ركابها يزيد على ثمانين راكباً.

أما المضيفات فإنهن رومانيات، يبين التقشف على وجوههن وما يرتدينه من لباس، ولسن من الصغيرات في السن، وربما كانوا كالأمريكيين الذين ينظرون إلى المضيفة على أنها يجب أن تكون ممن يحسن معاملة الركاب ومجاملتهم، أكثر من اللائي يتمتعن بقسط لافت للنظر من جمال الصورة.

وقد كان الإعلان في الطائرة باللغة الرومانية التي هي لغة لاتينية في الأصل شقيقة للإيطالية والإسبانية والبرتغالية، ولذلك كانت نبرات الصوت فيها لا تختلف عن نبرات الصوت في تلك اللغات، وإن لم تماثلها، يعرف ذلك من سمعها وإن لم يفهم معانيها.

وأذكر أننا عندما وصلنا الحدود الرومانية من بلغراد، نظر ضابط في جوازاتنا وقال: (أرابيا سعوديتا)، فذكرني ذلك بعهد قريب في أمريكا الجنوبية، حيث يلفظ أهلها اسم بلادنا هكذا (أرابيا سعوديتا)، لأن هذا هو لفظه في اللغتين الإسبانية والبرتغالية.

وقدموا ضيافة ضئيلة الكم، غير جيدة النوع، مع أن الوقت وقت العشاء، ولكن الركاب لم يبقوا منها شيئاً، إلا السياح أمثالنا، فإنهم لم يستسيغوها ما عدا أشربة خفيفة محفوظة كالبيبسي كولا وعصير الفاكهة، ثم بدأت الطائرة بالهبوط فوق ريف أقل خضرة من ريف المجر ويوغسلافيا، أكثره حقول حصيدة، وفيه حقول خضر ممتدة، بل إن الزراعة فيه تبدو كلها حقلية، وليست أشجاراً طبيعية ملتفة.

وطرنا فوق منطقة جبلية ذات وديان خصيبة، والمنازل فيها على حافات الوديان، إلا أن سقوف تلك المنازل تبدو بيضاً غير ناصعة، وليست بهيجة كما هي عليه سقوف البيوت في ضواحي المدن في يوغسلافيا والمجر.

وبدت بعض الطرق الزراعية ترابية لا زفت فيها.

في مطار بوخارست:

هبطت الطائرة في مطار ممتد المدارج، بل ربما صح القول بأنه كبير، فيه طائرات كثيرة بشكل لافت للنظر، والذي لفت نظري أكثر من ذلك وجود أعداد من الجنود يحرسون الطائرات، وبعض الأماكن في الساحات الخارجية من المطار.

وكذلك عندما وقفت الطائرة، كانت هناك ثلة من الجنود للحراسة، أو لما لا أدريه، ولكن من المؤكد أنهم لم يأتوا لاستقبال ضيوف رسميين كانوا قبلنا، أو سيأتون بعدنا، لأنني سألت عن ذلك، فعرفت أنه لا يوجد ضيوف قادمون.

نزلنا مع الركاب على سلم قربوه من الطائرة، وهو يهتز ويتمايل، ثم

ركبنا حافلة أنزلتنا عند قاعة الوصول في المطار وهي ضيقة.

وبعد انتظار استمر هنيهة من الوقت قبل أن نصل إلى ممر فيه عدة ضباط، أحدهم يتحقق من صورة القادم ويقارن بينها في جوازه وبين ملامح وجهه، وآخر يفتش الحقائب اليدوية.

صعدنا مع درج أفضى إلى ساحة فيها ضباط، وهنا وقبل الوصول للجوازات كان الأخ الشيخ (رجب) إمام جامع بوخارست في الاستقبال، ومعه موظف قال: إنه من المراسم.



وفد الرابطة في قاعة الشرف في مطار بوخارست

أدخلونا قاعة كبار الزوار، أو ما يسمى بصالون الشرف، فلبثنا فترة كان موظف المراسم ومعه شخص آخر من المطار يسعون في سمات الدخول، وختم الجوازات، وقد أنفقنا فترة من الوقت مع الشيخ (رجب) في الغرفة، وهي حجرة متوسطة السعة، فيها مقاعد قديمة مجللة بالقماش، كما كان الناس قديماً يفعلون في بيوتهم لوقاية المقاعد من الاتساخ والتمزق، وفي أرضه قطعة من السجاد تشبه (الزل العربي) الذي ينسج في العراق، وكان يأتينا منه في القديم، ولا أدري عنه الآن.

وكان الشيخ رجب يواصل الترحيب، وإظهار السرور بقدوم إخوانه من مكة المكرمة.

وبعد ذلك جاء موظف المراسم ومن معه بالجوازات مختومة ومعها سمة الدخول في ورقة منفصلة، وأخذوا منا رسم السمة أي التأشيرة، مع أن المتبادر للذهن أنه في مثل هذه الحالة، وبالنسبة لضيوف استقبلهم موظف من المراسم ورجل ذو مكانة دينية، ألا تؤخذ منهم رسوم على السمة.

ثم طلبوا من الأخ سكرتير الوفد (رحمة الله بن عناية الله) أن يصرف مبلغاً من المال بالدولارات بالصرف الرسمي عندهم.

وعند ضابطة الجمرك أمرت بفتح الحقائب، ولكنها لم تلمسها بيدها، وإنما طلبت من صاحب الحقيبة أن يقلب محتوياتها بيده لتنظر إليها من دون أن تمسها، ولا أدري أمرد ذلك للتكريم أم أنه لعادة عندهم ؟.

في مدينة بوخارست:

ركبت أنا وبعض الإخوة مع الشيخ (رجب صالح) على سيارة له تملكها بصفته إماماً للجامع فيما فهمته، تسوقها ابنته، لأنه لم يرزق بأولاد ذكور، وإنما له ابنتان هذه إحداهما، ومعها سيارتان من سيارات الأجرة، لأن سيارات الأجرة صغيرة، وأمتعتنا لا تكفيها السيارتان.

وقال الشيخ رجب: لقد حجزت لكم في فندق (سنترال) في وسط المدينة.

وتبلغ المسافة ما بين المطار والفندق واحداً وعشرين كيلومتراً.

لم نر شيئاً رغم أننا لا نزال في أول الليل، بسبب عدم المبالغة في إنارة الشوارع والبيوت، على عكس الحال في بودابست التي يكاد المرء يجزم إذا رأى سطوع أنوارها وكثرتها، حتى يكاد يشبه ليلها نهارها، أن الأمر مقصود به شيء آخر غير سد الحاجة إلى النور، وهو المباهاة أو إظهار الوجاهة.

وصلنا فندق (سنترال) الذي هو في مركز المدينة بالفعل، فوجدنا في

الاستقبال امرأة بدينة في منتصف العمر مثل ضابطة الجمرك.

وقد توقفت المرأة عن إنزالنا، لأننا طلبنا ست غرف، وقالت: إن بعض الغرف تحتاج إلى تنظيف وإعداد، ثم طلبت منا أن نرى الغرف قبل أن نقرر السكنى فيه، وتبين سبب ترددها معرفتها بأن الفندق ليس من الفنادق الجيدة.

ولم يعجبنا الفندق رغم كون أجرته - كما ذكرت- بين الأربعين والثلاثين دولاراً، ولا يقبل من الأجانب أمثالنا إلا بالعملة الصعبة، وهي الدولار هنا.

ورأينا الغرف ليست بذاك، ولكن الوقت كان متأخراً، ومن الصعوبة بمكان البحث عن فندق آخر في هذا الوقت، ومع ذلك ذهب اثنان من الرفاق إلى فندق مجاور فوجدوه مماثلاً لهذا الفندق، فقررنا قضاء الليلة في هذا الفندق على سوئه.

ومن أسوأ ما فيه أن الماء لا يصل إلى غرف الأدوار العليا فيه، وهي السادس والخامس لضعف الضغط فيه، فكان على من يريد أن يغسل يديه أن ينزل إلى الطوابق السفلى، لأن بعض رفاقنا نزلوا في الطابق الأول، أو يأخذ معه ماء بإناء يحمله حملاً، ومن السوء أيضاً أن الغرف ليس فيها حمامات، وإنما فيها أحواض غسل الأيدي، وليس فيها ماء الآن، وحتى المصعد قديم جداً، ومتعب الاستعمال.

والحقيقة أنه في مستوى الدرجة الثانية السيئة أو الثالثة.

يوم السبت ١٩٨٥/٧/٢٧م

صحوت مبكراً فكانت التحية الأولى عدم وجود الماء، فشكوت الأمر إلى امرأة رأيتها في مكتب الاستقبال غير الأولى التي رأيتها البارحة، فقالت: إنه لا حل لذلك إلا بأن تغير غرفتك إلى غرفة في الطابق السفلي.

ومع طلوع الشمس كنت أطل من نافذة فندقي في الطابق الخامس، فأرى المنطقة هذه التي هي وسط مدينة ذات أبنية متعددة الطوابق (عمارات) تكاد تكون متلاصقة، وكل المظاهر فيها تدل على أن هذه البلاد كانت ذات اقتصاد مزدهر في الماضي، أو لنقل: إنه كانت ذات مال، ولكن ذلك قلّ الآن، ولهذا ترى أكثر الأبنية قديمة الأبواب والنوافذ، وإن لم تصل في هذا الأمر إلى حالة الأبواب والنوافذ في (العمارات) القديمة العامة في مصر أو الهند، فهي أحسن منها، وحتى مظاهر الناس وملابسهم هنا هي أقل وجاهة وذوقاً من المجر بمراحل.

الفطور الغريب:

كنت نمت البارحة عطشان، فطلبت ماءً معدنياً ((منيرال) في هذا الصباح، وأنا أعرف أنه يباع في الفنادق الراقية كما تباع باقي الأشربة، فقالوا: إنه لا يوجد هنا، وطلبت قهوة أشربها فقالت الموظفة: إنها لا توجد في هذا الفندق، ثم قالت: الأمر سهل، اشتروا مني قهوة يابسة، أي حبوباً من حبوب البن، وأنا أشتريها منكم بالعملة الوطنية بأكثر مما اشتريتموها به بالدولار.

ولم يذكروا لي شيئاً عن الفطور، إلا أن أحد الرفقاء أخذ ينبهنا إلى أن الإفطار ليس في هذا الفندق، وإنما هو في فندق آخر.

وأعطتنا إدارة فندق (سنترال) ورقة صغيرة إلى فندق آخر بينه وبين فندقنا شارع ومسافة قصيرة للماشي على الرصيف، وهو (فندق بالاس).

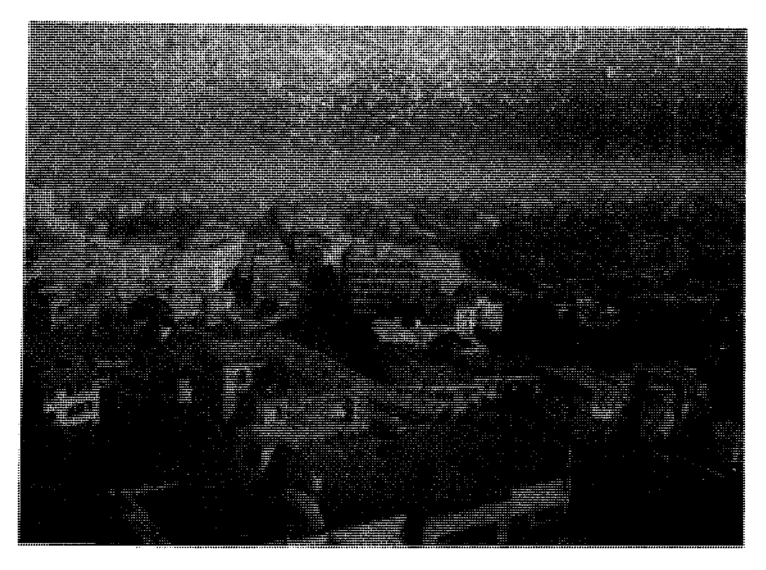
وكان الفطور فيه شحيحاً أيضاً.

وذهب الرفاق مع الشيخ رجب يبحثون عن فندق جيد، حتى وجدناه، وهو (إنتركونتننتال)، وأجرة الغرفة الواحدة فيه بتسعة وستين دولاراً، من دون جهاز للتلفزة، أما إذا طلب النزيل أن يوضع (تلفاز) في غرفته، فعليه أن يدفع عشرة دولارات بالعملة الصعبة، والتنويه بالعملة الصعبة هنا له ما يبرره، إذ الفرق بين الصرف الرسمي والصرف الحر شاسع يبلغ خمسة أضعاف كما سيأتي.

ودفعنا لفندق سنترال أجرة عدم الراحة فيه اثنين وثلاثين دولاراً للغرفة وبالعملة الصعبة.

وانتقلنا إلى فندق (إنتركونتننتال) وهو جيد من الدرجة الأولى، له ستة مصاعد آلية الحركة، مثل المصاعد في فنادق الدرجة الممتازة.

نزلت في غرفة في الطابق السابع والعشرين جيدة التأثيث، لا تقل عن فنادق الدرجة الأولى في البلدان الحرة، ذات شرفة واسعة تطل على منطقة واسعة من قلب المدينة الحديث الذي هو عمارات كبيرة جيدة تخترقها شوارع واسعة منسقة.



جانب من بوخارست من نافذة غرفتي في الطابق السابع والعشرين من فندق إنتركونتننتال

وزارة شؤون الأديان:

كانت أولى الفقرات التي وضعوها لبرنامج هذا اليوم هي عقد اجتماع في وزارة شؤون الأديان، يتعلق بالبحث في أحوال المسلمين، وما يمكن أن يتم التعاون فيه بين رابطة العالم الإسلامي ووزارة شؤون الأديان الرومانية.

هكذا قالوا، وقد يستغرب المرء لأول وهلة وجود وزارة في الأقطار الشيوعية لشؤون الأديان، مع أن الشيوعية مبدؤها الأساسي هو الإلحاد، ومحاربة الدين.

وذلك عندما يقارن المرء في ذهنه بين وزارة الشؤون الدينية في البلدان المتدينة، وبين الوزارات في البلدان الشيوعية.

والواقع أن الأمر ليس كذلك، وبين مفهوم (وزارة الشؤون الدينية في البلدان الشيوعية والبلدان الحرة فرق كبير، ذلك بأن وزارة الشؤون الدينية في البلدان العربية مثلاً أسست للقيام على أمر الدين، وتنظيم العمل فيه، بل تنميته وتوسعته، أما في البلدان الشيوعية مثل رومانيا هذه، فإن المقصود هو بلفظ مختصر: السيطرة على العمل الديني، وعدم تنميته أو توسعته، وكثيراً ما ترى هذه البلدان أن مجاملة الشعب بإضفاء مظهر ديني على بعض الأمور، وظهور الحكومة بمظهر المشجع للأديان يعطيها قوة سياسية، فتتظاهر بذلك، وهي في الحقيقة تريد العكس.

ومن أهم الدلائل على ما ذكرته أنها تحرم أي نشاط ديني خارج عن عملها أو تنظيمها، فضلاً عن إرادتها، فتحرم - مثلاً- السفر إلى البلاد الإسلامية، إذا لم يكن بأمر منها، أو لمصلحة من مصالحها السياسية التي هي شيوعية الاتجاه، إلحادية النزعة، حتى الحج إلى بيت الله الحرام لا يسمح لأحد أن يفعل ذلك إلا بإذن من الحكومة، ولغرض تراه هي، لا لغرض القيام بالواجب الديني، وقل مثل ذلك عن ترميم المساجد وافتتاحها، على تفاوت بين الحكومات الشيوعية في هذا الأمر كما هو ظاهر.



عقد الاجتماع في وزارة شؤون الأديان في بوخارست والذي في رأس المائدة هو المترجم

وجدنا في الاستقبال عند باب الوزارة القريبة من فندقنا اثنين من المنتظرين، ثم صعدنا للطابق الثاني من بناء لا بأس بحالته، إلا أنه غير متسع، فاستقبلنا عند نهاية السلم الدكتور (علي إيون بوسكو) نائب وزير شؤون الأديان في رومانيا، وهو من مسلمي هذه البلاد.

رحب بنا وقادنا مباشرة إلى قاعة الاجتماعات؛ حيث قدم لنا أيضاً رجلاً يعرف العربية جيداً، بل يجيدها إجادة تامة، وقدمه على أنه المترجم، وتبين بعد ذلك أنه شخص مهم جداً بالنسبة إلينا، وأنه سوف يلازمنا طول بقائنا في رومانيا، واسمه (جورج سيوريسكو) وهو مسيحي أرثوذكسي، وإن كان لا ينوه بذلك على اعتبار أن النظام الشيوعي لا يعترف بالأديان، وبالتالي لا يعرِّف الإنسان بصفته مسيحياً أو غير مسيحي، بل إن المبدأ الأساسي عندهم أن يكون الشيوعي ملحداً، لا يؤمن بالدين، ولو كان في أهله متدينون بدين ما.

رحب النائب بوفد رابطة العالم الإسلامي باسم وزارة شؤون الأديان، وباسم المسلمين في رومانيا، وقال بأن الجميع كان يتطلع إلى هذه الزيارة

الأخوية، وخاصة بعد زيارة وفد مسلمي رومانيا لرابطة العالم الإسلامي في عام ١٩٨٢، ومقابلته لعدد من المسؤولين في الرابطة ومن المسؤولين في حكومة المملكة العربية السعودية، ومنهم صاحب السمو الملكي أمير منطقة مكة المكرمة، ومعالي وزير الحج والأوقاف، ومدير الشؤون الإسلامية في وزارة الخارجية، كما شكر الرابطة على التسهيلات التي تقدمها لحجاج رومانيا لأداء فريضة الحج.

وأشار النائب بأن جمهورية رومانيا دولة اشتراكية، تقيم علاقات سياسية وثقافية واجتماعية واقتصادية مع جميع دول العالم، بصرف النظر عن نظامها السياسي، وعلاقة رومانيا بالعرب والدول العربية متميزة، كما أن موقفها من قضية فلسطين واضح ومساند لعدالتها.

وقال: الجماعة الإسلامية وغيرها من الجماعات والطوائف الدينية تتمتع بالحرية الدينية؛ حيث تنص المادة (٣٠) من الدستور الروماني على حرية الوعي الديني، والمعتقدات لجميع سكان ومواطني البلاد.

وقال: يبلغ سكان رومانيا حوالي ٢٤مليون نسمة، منهم ٨٥٪ من الأرثوذكس، والبقية طوائف مسيحية أخرى، مثل الكاثوليك والإنجيل بروتستانت، بالإضافة إلى يهود يقدر عددهم ما بين ٢٠-٢٣ألفاً، أما المسلمون فيصل تعدادهم إلى مائة ألف تقريباً.

وقال: يتمتع جميع أفراد الشعب بصرف النظر عن انتماءاتهم الدينية والقومية بكافة حقوق المواطنة والحرية، ويتساوون جميعاً أمام القانون، وفي الحقوق بدون تمييز، لأن مفهوم الاشتراكية التي تطبقها الدولة تنطلق من مبدأ العدالة؛ وحيث إن الدولة تقوم على إرادة كل الشعب بدون تمييز ديني أو عنصري، فإنها تضمن للجميع الحرية الدينية تطبيقاً لا نظرية، بل تساعد أيضاً على استمرار الوسائل الكفيلة في تحقيق الحرية الدينية وممارسة شعائر الدين، وفي هذا الصدد فإن الدولة رصدت مبالغ خاصة في ميزانيتها تقدر بملايين الليات لإعطاء رواتب وأجور رجال الدين، ومن أجل بناء وإصلاح أماكن العبادة.

قال: ومنذ سنوات قريبة بنيت ثلاثة مساجد جديدة في باسرابي.

وقال: يقيم معظم المسلمين الذين يعودون إلى أصل تركي وتتري في منطقة دوبرجه على البحر الأسود، وهم يقيمون في هذه البلاد منذ مئات السنوات في أخوة ومودة الشعب الروماني، كما أن هناك ٨٠ جماعة إسلامية منتشرة في مدن وأرياف رومانيا، منها الجماعة الإسلامية في بوخارست حيث الحاج رجب صالح إمام مسجد بوخارست ونائب لمفتي المسلمين الذي يقيم في كونستانتا، وكذلك يقيم عشرون ألف طالب أجنبي في رومانيا، منهم ١٢ ألف عربي، وأكثر الطلاب مسلمون، وهم يدرسون في مختلف جامعات رومانيا، ويشكل هؤلاء همزة وصل بين مسلمي رومانيا وبقية المسلمين في العالم.

وذكر أنه يوجد في منطقة دوبرجه ٧٠ مسجداً، ولكل واحد منه إمام، ويزاول جميع المسلمين شعائرهم الدينية بحرية تامة، ويتمتعون بجميع الحقوق التي يتمتع بها كافة المواطنين الرومانيين والمنسوبين للأقليات الرومانية، مثل الأقلية المجرية والأقلية الألمانية.

ثم تمنى باسم المسلمين وباسم وزارة شؤون الأديان بأن تؤدي الزيارات مثل هذه إلى توثيق الصلات والعلاقات بينها وبين الرابطة، وأن تتوطد العلاقات بين الدولتين، لأن في ذلك مصلحة وخيراً للشعوب، وأن المسلمين الرومانيين يستفيدون من حسن هذه العلاقة، كما أن الحكومة تتطلع إلى توطيد علاقاتها مع الحكومة السعودية.

ثم شكر الرابطة على رعايتها للحجاج الرومانيين سنوياً، كما شكر الحكومة السعودية على تقديمها جميع التسهيلات اللازمة، رغم عدم وجود علاقات دبلوماسية بين الدولتين، وأشار بأن عشرين حاجاً رومانياً سيتوجهون إلى الأراضي المقدسة هذا العالم لأداء فريضة الحج.

وعندما انتهى من كلامه أجبته بالشكر على الترحيب والاستقبال، وأشرت إلى أهمية صلة الثقافة بين المسلمين، وقلت: إن الرابطة تهتم بجميع

المسلمين في العالم، ومنهم مسلمو الدول الاشتراكية ، وهذا الاهتمام لا يعني التدخل في الشؤون السياسية والأمور الداخلية، لان رابطة العالم الإسلامي هيئة شعبية، وقلت بأن زيارة الوفد لرومانيا ليست زيارة رسمية، وإنما يرغب اللقاء بالإخوة المسلمين، والاطلاع على بعض المساجد التي أصابها الزلزال، والتي قد تستطيع الرابطة مساعدة بعضها.

كما شكرت النائب على الإيضاح والشرح الذي ذكره عن أحوال المسلمين في رومانيا، كما أثنيت على موقف رومانيا من قضية فلسطين الذي يدل على اهتمامها وعنايتها بصداقة الشعوب العربية، وكذلك أشرت إلى ما ذكره النائب عن أحوال المسلمين، واهتمام حكومة رومانيا بهم، وتخصيص رواتب للائمة، ومبالغ لبناء المساجد وتعميرها وأن ذلك يسعد المسلمين في كل مكان، وإن الرابطة ستنقل هذا الخبر إلى المسلمين في أنحاء العالم عبر الجمعيات والهيئات الإسلامية. وقلت أيضاً بأن الوفد هو من الرابطة، وليس من الحكومة السعودية، ومع ذلك سيبلغ الوفد شكر المسلمين الرومانيين ورغبة حكومة رومانيا في توطيد علاقاتها معها إلى المسؤولين، وإن الوفد بصفته من الرابطة يؤكد أن علاقات الرابطة مع وزارة شؤون الأديان أو دار الإفتاء الإسلامية سيؤدي إلى خدمة المسلمين وتوثيق صلاتهم، وستحرص الرابطة أن تكون العلاقة قوية من غير تدخل في السياسة أو الشؤون الداخلية في أمور الدولة.

وغني عن القول أن الرجل يتكلم بلسان الحكومة، وأن كثيراً مما ذكره غير صحيح.

إلى جامع بوخارست:

بعد انتهاء الاجتماع في وزارة شؤون الأديان ذهبت مع الشيخ (رجب صالح) لزيارة جامع بوخارست، ويقع في شارع فليور، أي العنب من محلة (سوساو)، وهو غارق في أشجار سامقة الفروع، ملتفة الأغصان، بحيث إذا كنت في الشارع لا تكاد ترى البيوت خلفها من كثافة هذه الأشجار، حتى منارة المسجد العالية قد

أخفتها، فطمست منظرها الجميل الذي يتراءى للمارة.



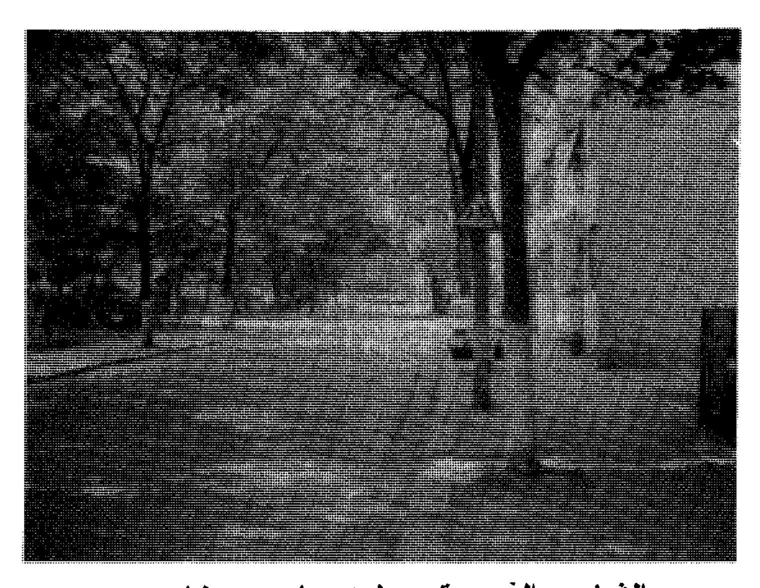
جامع بوخارست

فتح الشيخ رجب باب المسجد بمفتاح في جيبه، فدخلنا من بوابة خارجية إلى صحن المسجد المكشوف من طاقٍ هلالي، أي عقد هلالي الشكل، كتب عليه تاريخ إنشاء المسجد في عام ١٩٦٠م. وقال الشيخ رجب: إن هذا المسجد يعتبر حديثاً بالنسبة إلى جامع أقدم منه بني في عام ١٩٠٦م، وكان يقع داخل المدينة، غير أن الحكومة هدمته مع المنطقة التي حوله، وأعطت المسلمين هذا المكان بديلاً عن الأول، وفوق الطاق من الداخل عبارة: ((وعجلوا بالتوبة قبل الموت)).

وفي وسط الفناء المكشوف حوض للوضوء، فوقه شعار للمسلمين من الصفر، وهو الهلال الذي تتوسطه نجمة.

وفوق باب المسجد الداخلي والمصلى كتبوا الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ

وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾.



الشارع الذي يقع عليه جامع بوخارست

داخل المسجد:

أما داخل المسجد، أو المصلى الرئيسي، فإنه مفروش بسجاد جيد سميك، وذلك لشدة البرد، حتى يمنع الرطوبة والبرودة من أن تصيب المصلين خلال فصل الشتاء الطويل في هذه البلاد الشمالية الباردة.

أما ما يتعلق بمقاومة الحر، فإنه لا أثر في المسجد لها إلا مروحتان كهربائيتان، مع أن الحر في الصيف يصل إلى درجة مضايقة الناس حتى في الشوارع، ولكن فصل الصيف قصير، والآلات المستوردة غالية جداً، بل لا يصل إليها أكثر الناس بسبب تدهور قيمة العملة الرومانية بالنسبة إلى العملات العالمية الأخرى.

وقد أكثروا في المسجد من المصابيح الكهربائية سواء منها الكبيرة أو الصغيرة.

كما زين المسجد بلوحات إسلامية كلها عربية، وبخطوط جميلة،

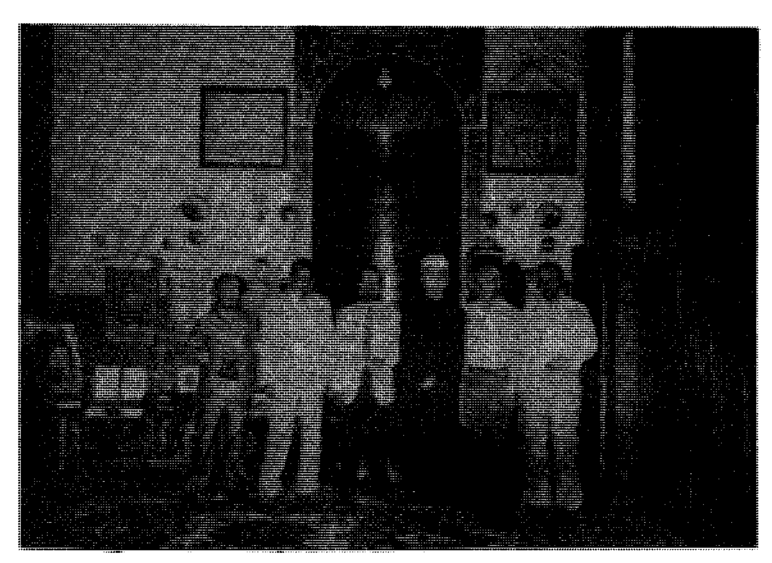
وهناك لوحة فيها نسب النبي ﷺ عنوانها: ((النسب الشريف إلى عدنان))، ولوحة أخرى كتب عليها أسماء النبي ﷺ.

وقد أذن الشيخ رجب لصلاة الظهر، ثم توضأ وأذن ولبس الجبة وعمامة صغيرة مدارة فوق الطربوش، وكانتا معلقتين في المسجد.

ثم أخذ يصلي الراتبة قبل الظهر في المحراب الذي رفعوه قليلاً عن بقية المسجد بمقدار الشبر.

والمسجد صغير بالنسبة إلى عدد المسلمين في المدينة الذي هو ليس بالكثير، ولكن المسجد هو الوحيد فيها.

وهناك عدد من سفارات البلدان المسلمة يعمل فيها موظفون مسلمون، إلى جانب الطلبة المسلمين، فيها الذين يعدون بالآلاف، أخبرنا الشيخ رجب صالح أن المسجد يمتلئ يوم الجمعة حتى يضيق بالناس.



في محراب جامع بوخارست، المؤلف في الوسط، على يساره رجب صالح (بالعمامة)،وعلى يساره الأستاذ عبد الرحمن الرويشد

وقد حدثنا الشيخ رجب عن أمور متعلقة بهذه المسجد فقال: إنه بني من

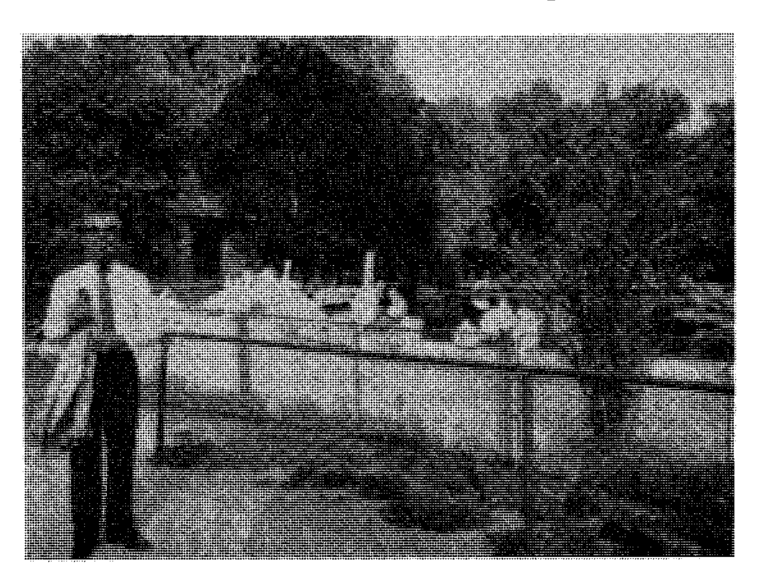
جـهد المسـلمين وأموالهـم الـتي جمعوهـا، إضافـة إلى مبلـغ قليـل مـن الحـكومـة تعويضاً عن المسجد الذي هدمته.

وقـال: إن الرئيـس أحمـد سـوكـارنو رئيـس إندونيسـيا قـد شـهد أول جمعـة أقيمـت فيـه، ولم تصلهـم مسـاعدات مـن الخـارج في ذلـك الوقـت، إلا أنـه وصلتـهم مبالغ محدودة لغرض العناية بأمر المسجد وفرشه.

جولة في بوخارست:

بدأت هـذه الجولـة في الثالثـة والنصـف بـالاطـلاع علـى وسـط المدينـة، وهـو جيد إلا أنه لا يصل إلى مستوى مدينة بودابست.

وفي هـذا الوسـط الجيـد لا يـزال يوجـد (الـترمواي) في الشـوارع الرئيسـية، وأكـثر بلاط هـذه الشـوارع بالحجارة الصغيرة المهذبة، وليس بالإسفلت.



عند منتزه الحرية في بوخارست

ثـم وصلنـا (منتزه الحريـة)، وأرونـا مكـان جـامع بوخارسـت القديـم الـذي هدمتـه الحـكومـة وأدخلتـه في هـذا المنـتزه، أمـا الحـوانيـت الكـبيرة الموجـودة في الشـوارع فإنـهـا كـلـهـا مـلـك للحـكومـة، وجميـع العـاملين فيـهـا هـم في الحقيقـة

موظفون لدى الدولة، ولم نرَ فيها حوانيت شخصية، كالموجود في الصين الشعبية أو المجر.

وفي ميدان (بيازا أونيرا) رأينا جمعاً كثيراً من الناس ينتظرون وصول حافلة من الحافلات العامة، وركاب الحافلات كثير، لأن الذين يملكون سيارات خاصة قليل جداً، وإنما معظم السيارات الموجودة في الشوارع مملوكة للحكومة أو للمؤسسات العامة التي هي شبيهة بالحكومية.

أما سيارات الأجرة فإنها موجودة هنا بوفرة، مثلها في ذلك مثل بودابست، بخلاف الصين الشيوعية التي لا ترى سيارات الأجرة فيها إلا في المدن التي يقصدها السياح، مثل كانتون، وأما بقية مدنها فإنه لا توجد فيها سيارات أجرة أصلاً.

ثم وقفنا في مكان جيد بين وزارة الخزانة وبين وزارة الاقتصاد، وقد أفهمونا أن التصوير ممنوع هنا، مع أن المنطقة من التي يستحسن فيها التصوير في العادة.

المتحف الوطني:

استقبلنا مدير المتحف بناء على ترتيب سابق، فرحب بوفدنا بالرومانية، فترجم الشيخ رجب كلامه إلى التركية، وترجم الأستاذ رحمة الله بن عناية الله كلامه إلى العربية، وهكذا كان الحديث والشرح يطول بالترجمة من لغة إلى أخرى، مما دعا بعض الإخوة من أعضاء الوفد إلى الاستعجال، وانتظارنا نحن الذين بقينا منه حتى نهاية الاطلاع على كافة أقسام المتحف.

لاحظ المدير أننا تعجبنا لمظاهر الحراسة الشديدة في المتحف، فقال: إنه يعتبر بمثابة خزانة الدولة للذهب منذ أن صنع الذهب في المنطقة حتى الآن، بمعنى أنه يضم نماذج ذهبية من العصور القديمة حتى وقتنا الحاضر.

ولذلك أرانا إناء من الذهب شبيهاً بالصحن المقعر، وقال: إنه مصنوع من أجل التقرب لآلهة للأقدمين اسمها (جيا) قبل المسيح أي بأكثر من ثلاث آلاف

سنة.

ثم قسماً آخر يضم حلية ذهبية لخناجر قديمة.

وأهم من ذلك ركن فيه للحلي الذهبية القديمة، مثل حلية كانت العامة تسميها في بلادنا مفاتيل، وتكون عندنا من الفضة أو المعدن تلبسها المرأة في ذراعها، وقلائد ذهب من العصر الحديدي، وأنواع أخرى متعددة من الحلي.

ثم أرانا مجموعة من الحلي الذهبية، ذكر أنها كلها وجدت في قبر واحد، يرجع تاريخه إلى ألف وأربعمائة سنة قبل ميلاد المسيح ﵇، ومنها قلائد وأطواق للرقبة، وحبوب ذهبية لا أدري لم تستعمل.

والأغرب من ذلك ما شاهدناه في خزانة أخرى، وهو تاج ضخم من الذهب ذكر أنه من مخلفات أحد الملوك الحيثيين، وأنه قبل الميلاد بخمسمائة سنة.

ووقف هذا الدليل قليلاً عند مجموعة من الآثار القيمة، وقال وهو يشير إليها: وهذه قدمها أحد المهندسين الرومانيين هدية لهذا المتحف، ولم يكن الأمر يحتاج إلى استفسار عن الوقت الذي قدمها فيه بالنسبة إليّ إذ لا بد أن يكون ذلك قبل الشيوعية، لأن المهندسين في البلدان الشيوعية قد أصبحوا مثل غيرهم من الناس، لا يستطيعون تقديم شيء للمتاحف أو غيرها، لكونهم لا يمتلكون ذلك.

وقد سألته عن تاريخ تقديمها إلى المتحف، فأجاب بأن ذلك كان في عام ١٩٤٣م، أي قبل الحكم الشيوعي في هذه البلاد.

ركن الإمبراطورية الرومانية:

وللإمبراطورية الرومانية ركن مهم في المخلفات الذهبية، حددوا زمنه من القرن الأول للميلاد إلى القرن الرابع منه.

ولذكر الإمبراطورية الرومانية هنا مغزى مهم، ذلك بأن الرومانيين الذين سميت هذه البلاد باسمهم قد فتحوا هذه البلاد عنوة حينما غزوها على عهد

أباطرتهم، وقهروا الشعب الذي كان يسكنها، ثم اختلطوا بهم على المدى الطويل، أو قل: إنه قد ذاب في الرومانيين بسبب الغلبة الثقافية والقوة الحربية عند أولئك الرومان.

ولكن هذا الركن الإمبراطوري الروماني لا يتناسب حجمه، ولا قيمته مع ما في النفوس عن قوة الإمبراطورية الرومانية، ولا مع المخلفات العظيمة التي خلفها الرومان في تلك الفترة في البلاد الأخرى التي سكنوها، مثل إيطاليا أو حتى البلدان التي فتحوها كالشام ومصر.

ومن الأشياء التي تستحق الاهتمام جرار - جمع جرة - من الفضة، وجدوها في مقبرة لأحد الأمراء في القرن الخامس الميلادي، وصحن كبير من الذهب يتسع لطعام يكفي عشرة أشخاص، وكأس من الذهب ذكر مدير المتحف أنه كان من أشهر الآثار الرومانية في القرون الوسطى، والسبب في ذلك أنه كان يعلق في محراب الكنيسة، وغلاف الكتاب المقدس من الذهب، وتاج رئيس الكنيسة في عهد برنكو بيانو عام ١٧٠٠م.

وصلبان وأحزمة من الذهب مرصعة بالأحجار الكريمة من القرن السابع عشر، وذكر أنها من مخلفات الكنائس.

الذهب والسلاح:

بعد المخلفات المستعملة في أمور دينية مسيحية، أو المستوحاة من ذلك، كانت هناك أركان للسلاح المذهب أو المصنوع كله من الذهب.

من ذلك سيوف متعددة الأشكال والأحجام، مطلية مقابضها من الذهب، أو مصنوعة أغمادها - جمع غمد - وهو غطاء السيف، ومنها سيف مذهب الغمد، ومع ذلك هو مرصع بالماس من القرن الثامن عشر.

وسيف قدمه السلطان عبد العزيز أحد سلاطين تركيا هدية لملك رومانيا في عام ١٨٦٦م.

ومع الخناجر والأسلحة الأخرى (مداليات) ذهبية متعددة.

وكان مسك الختام لزيارة هذا المتحف أن قدم لنا مدير المتحف أخاً مسلماً، هو الدكتور جلال مقصود، وهو روماني الجنسية ومؤرخ معروف، قال لنا بعد السلام والتحية مجاملاً: إن ابنته قد نجحت قبل وصولنا بقليل، وإنه يرجو أن تترجم لنا من العربية وإليها إذا قدمنا مرة ثانية.

وقصد من ذلك إلى إظهار تعلقه بالعربية ومحبته للإسلام، لكونه لا يستطيع أن يتظاهر وهو موظف حكومي بأنه مسلم متمسك بإسلامه.

ميدان النصر:

وحتى الشيوعيون عندهم ميادين يسمونها ميادين النصر، مع أن أغلبية الشعب عندهم ليست منتصرة، وإنما هي منهزمة، فهم يريدون نصر الحزب الشيوعي الحاكم في البلاد الذي يعترف أعضاؤه بأنهم أقلية محدودة العدد، وهم يوضحون ذلك رسمياً، ولا يدعي مدعٍ منهم أن أعضاء الحزب الشيوعي يؤلفون أغلبية عددية من السكان.

فقد تركنا المتحف سالكين شارعاً اسمه (بوليفار ما جيرو)، وما جيرو اسم قائد عسكري مشهور عندهم، ويشق هذا الشارع وسط مدينة بوخارست، فوصلنا إلى ميدان النصر الذي يسمونه (بياسا فيكتوري) لهذا المعنى، وهو ميدان واسع مبلط كله بالحجارة، وتحيط به في بعض الجهات حدائق ذات أشجار سامقة.

ولم نقف فيه، بل واصلنا سيرنا لأن النصر للحزب الشيوعي لا يطيب لأحد حتى من المرافقين لنا الذي زعمت الدولة واعتقدت أنهم مخلصون لها، بمعنى أنها في ضمان منهم أن يتكلموا أمامنا نحن الضيوف الأجانب بما لا تريدهم أي يتكلموا به.

فسلكنا شارعا أفضى إلى بوابة رمزية تشبه (بوابة الناصرية) في الرياض، ولا تبعد في الشكل العام عن قوس النصر في باريس.

ومنها إلى شارع تصح تسميته بشارع الحدائق لكثرتها حوله، وإن لم تصل بالكثرة إلى الأشجار والحدائق الموجودة في بودابست عاصمةَ المجر، فتلك ممتازة بحدائقها وأشجارها المنظمة الباسقة، بل يكاد المرء يقول: إنها ممتازة في مرافقها العامة كلها.

واستمرت سيارتنا دون وقوف ونحن نتبع دليلين من أهل البلاد، أحدهما هو الشيخ (رجب صالح) إمام جامع بوخارست، فوصلنا ميداناً صغيراً تقع عليه وزارة الأعلام، والإعلام الذي هو الإخبار - بكسر الهمزة- في البلدان الشيوعية مثل البلدان الدكتاتورية الأخرى، معناه نشر الكذب وتكراره، ولا يخالطه الصدق إلا إذا كان ذلك الصدق لا يتعارض مع المصلحة السياسية للحكومات، وقلما يكون ذلك.

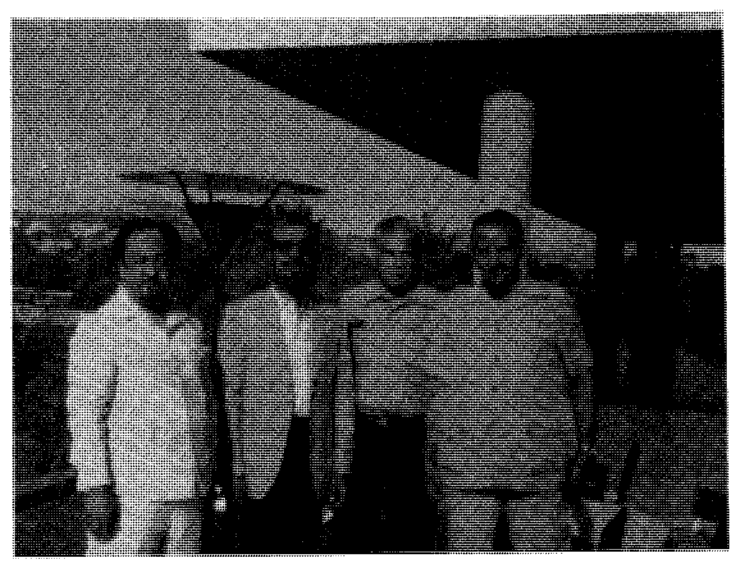
وقد تفرع منه شارع محاط بالأشجار الجيدة في جانبيه يقود إلى ميدان ثالث صغير أيضاً، وصعدنا مع جسر لعبور السيارات، وهو من الجسور القليلة في هذه البلاد، لأن عدد السيارات في أكثر البلدان الشيوعية قليل، وإن كانت توجد السيارات الخاصة الرسمية هنا أكثر مما توجد في الصين الشيوعية هناك، والمراد بذلك الكثرة النسبية التي تنظر إلى سعة البلد، وعدد سكانه، ثم تنسب الأشياء إلى ذلك.

شارع الحدائق:

الجميل الذي رأيناه بعد ذلك في منطقة جميلة ومجملة في شارع غرب المدينة، اخترقها شارع رئيسي قادم من وسط المدينة، فمر على بحيرة صغيرة عليها جسر يدع مياه البحيرة هذه يمينه وشماله.

ثم استمر الشارع مستطيلاً مستقيماً عليه الحدائق وأبنية مهمة قليلة، وتحيط به الحدائق من الجانبين.

وقد فارقنا المدينة من هذا الشارع الممتد، فصرنا في ريف أخضر جيد إلا أنه أقل جودة من الريف اليوغسلافي والمجري.



وفد الرابطة أثناء التنزه في بوخارست (من اليمين إلى اليسار): عبد الرحمن بن رويشد، ثم محمد شاه، فالمؤلف، ثم الأستاذ رحمة الله بن عناية الله

ومع ذلك نوه بعض الرفاق بأن تحسين هذا الشارع، والإسفلت الجيد فيه والتنظيم في الحدائق حوله، إنما مرد ذلك إلى سنوات سابقة كانت فيه هذه البلاد الرومانية من البلدان المصدرة للنفط، بل هي كانت من أوائل البلدان المصدرة للنفط. ولكن ذلك كله قد أصبح الآن في خبر كان، فقد نضبت الموارد النفطية، كما كانت قد نضبت القدرة البشرية الفردية على الإبداع لأنها لم تجد الحرية اللازمة لذلك.

عرس روماني:

أفضى الشارع الروماني الجميل إلى حديقة عامة فيها مقاصف ومقاه واسعة متوسطة الأثاث والرياش، وحتى التزيين والتزهير ليس بالكثير، وإن كانت الإمكانات له متوفرة من الماء والجو الصيفي الذي هو الربيعي عندهم، لأن فصل الربيع عندنا هو بارد عندهم.

فجلسنا في إحدى الموائد، وشربنا الشاي المعتاد، وكنا نسمع موسيقى تنبعث من أحد أركان الحديقة، ليست موسيقى غريبة، بل لها طابع خاص، ونرى تجمهراً من الناس فسألنا عن ذلك فأخبرونا أنه لوجود عرس في مبنى بجانب هذه الحديقة.

وألح علينا المرافقون أن نرى عرسهم، وكنا نود رؤيته دون أن يلحوا فذهب أحد المرافقين إلى أهل العرس، وأخبرهم بأننا ضيوف سعوديون نريد أن نرى حفلة العرس، فكان ذلك سبباً في أن تعزف الموسيقى، ويجن جنون الراقصين، وقد استقبلونا بما رأوا أنه احتفاء زائد، واستقبلتني شقيقة العروس (المرأة)، وقادتني بيدي إلى صدر المجلس حيث الزوجان العروسان، وتبين أن هذه الأخت هي أجمل من أختها العروس، والتقطوا الصور التذكارية، وجاؤوا بالحلوى والشاي، وكانوا يصرون على أن نبقى وقتاً أطول، وأن نتناول معهم الطعام، والذي استرعى انتباهي من الحفلة أن مستوى اللباس والجمال والصحة في وجوه الموجودين فيها هو أعلى مما هو في الشارع.

وقد استأذنا أكثر من مرة، وهم يستبقوننا، ربما لكونهم وجدوا في عرسهم ما يعطيه شيئاً ليس في غيره من الأعراس.

ومكان العرس غرفة مستطيلة جداً، قد جلس العروسان في وسطها يحيط بهما الأقارب من رجال ونساء ثم بقية المدعوين، وهناك فرقة موسيقية وحلبة صغيرة للرقص.

حديقة الحيوان:

تقع حديقة الحيوان مجاورة للحديقة التي تناولنا فيها الشاي، ولذلك انتهزنا الفرحة لزيارتها وإن كان الوقت ضيقاً.

دفعنا رسم الدخول ستة ليات، واللي هو عملتهم الوطنية ومعناها الأسد، قريبة من كلمة ليون بالإنكليزية.

وعلى ذكر الأسد فإن أول ما رأيناه من الحيوان في هذه الحديقة أسد

ضخم بهيئة لافتة للنظر.

وبعده غوريلا سوداء، والأغرب من ذلك هو منظر القرود المتعددة الأنواع.

ودب روسي أحمر اللون، ضخم الجثة، منتفخ الوجه، وطيور مألوفة من أهمها النعام، وحيوان من حيوان الماء كالتماسيح.

وحيوان غريب كتبوا عليه موطنه الأصلي في أمريكا الجنوبية، وهو يشبه القط إلا أن رأسه شبيه برأس الثعلب.

وهناك نسور ضخمة، ودجاج بري وبط وحشي مختلف الأنواع، أجمل ما فيه سرب من البط الأبيض الضخم، كان يقف وقفات استعراضية، وقد انعكست أشعة الشمس الصافية في هذا اليوم عليه فزادته بياضاً على بياض، وبجانبه زهور مرتبة مختلفة الألوان والأنواع.

وربما كان بعض الشجر في الحديقة أكثر أهمية وجمالاً من حيواناتها، لأنها ليست غنية بالحيوان، وإنما الأشجار هي قديمة ضخمة تلتف فروعها في بعض الأماكن.

وأما العناية بالحديقة فإنها أيضاً ليست بذاك.

يوم الأحد ١١/١١/١٤٠٥هـ ٢٨/٧/١٩٨٥م.

إلى منطقة المسلمين:

كان الاتفاق قد تم مع الجانب الروماني ممثلاً في وزارة شؤون الأديان ووزارة الخارجية على أن نزور المنطقة التي يكثر فيها المسلمون في البلاد، وتسمى منطقة دوبرجه الرومانية، لأن لها بقية مع بلغاريا تسمى (دوبرجه البلغارية)، وفيها مقر المفتي ودار الإفتاء الرومانية، وأن نقابل المفتي هناك، ونتجول فيها من أجل الاطلاع على بعض المساجد، وتقدير ما قد تحتاجه من تعمير.

ولقد نصحنا القوم الذين هم ممثلو الحكومة الرومانية، بل أمرونا بأن نستأجر حافلة صغيرة من مصلحة السياحة الحكومية تكفي لنا ولمرافقينا الحكوميين.

وهكذا فقد استأجرنا حافلة صغيرة ركبنا فيها ونحن سبعة ورافقنا الشيخ (رجب صالح) إمام جامع بوخارست، والأستاذ (جورج سيرريسكو) المستشار في وزارة الخارجية الرومانية، وهو في الوقت نفسه المترجم لنا، لأنه يعرف العربية جيداً، أما الشيخ رجب فإن معرفته بالعربية محدودة، ولكنه يعرف التركية جيداً، وسكرتير الوفد الأخ رحمة الله بن عناية الله يعرف التركية أيضاً معرفة جيدة.

ولكن الترجمة الرسمية هي التي يقوم بها (جورج) هذا.

كما رافقنا شخص قوي الشخصية حاد النظرات، يعمل مفتشاً للشؤون الإسلامية في وزارة شؤون الأديان مع أنه مسيحي الأصل، شيوعي الفرع، واسمه (جورجي كريستويو)، وهو الذي رأيته يهتم بكل ما نقول أو نسأل عنه، فهو إذا المرضي عنه من الحكومة، أو لنقل إنه الموثوق به من قبلها أكثر من غيره.

أما السائق فإنه روماني، ولكنه لا يهتم بغير عمله، بل هو يعمل كما

تعمل الآلات في سيارته، حتى الرضا والغضب لا يكاد يظهر على وجهه منهما شيء.

والمنطقة التي سنتوجه إليها هي منطقة المسلمين، بمعنى أن المسلمين يوجدون فيها أكثر من غيرها من المناطق، وكانت نسبتهم في السابق فيها عالية جداً، ولكنها قلت الآن بسبب الضغط عليهم، وبسبب آخر هو هجرة كثير من غير المسلمين إلى منطقتهم واستقرارهم فيها.

فهي ليست منطقة أغلبية سكانها من المسلمين كما يتبادر إلى الذهن مع الأسف، وكان الأمر في السابق إبان الحكم التركي خلاف ذلك، حيث كان للمسلمين الحكم على غيرهم، فبنوا المساجد، وأسسوا المدارس، وخلفوا آثاراً باقية حتى الآن.

إلى مدينة كونستانتا:

مقصدنا في هذه الرحلة مدينة كونستانتا، التي هي عاصمة منطقة دويرجه، ويقيم فيها مفتي المسلمين، وتبعد عن العاصمة (بوخارست) بمائتين وسبعين كيلو متراً إلى جهة الجنوب الشرقي.

غادرت الحافلة الصغيرة فندق (إنتركونتننتال) في السابعة والنصف صباحاً، فسارت مع شارع (موشلين) في حي (كولو نتينا) الذي سمي على اسم نهر صغير كان يسمى بهذا الاسم، ثم وصلنا ميداناً اسمه (أوبوز) أو سوق الفلاحين واسع.

ثم مر الطريق فوق نهر صغير اسمه (يالوميسا).

ثم خرجنا من مدينة بوخارست، ودخلنا في الريف الروماني، فرأيناه ذا حقول خضر ملتفة، أغلبها من الذرة، وأخبرونا أن السبب في كثرة زراعة الذرة هنا هو أنها تزرع بعد القمح، لأن البلاد باردة بل تكون ثالجة في الشتاء، والذرة ذات عمر قصير يمكن أن تبذر وتحصد في فصل الصيف المعتدل أو الحار في بعض الأحيان، وهي غذاء رئيسي لبعض الناس، إضافة إلى ما يحصلون عليه

منها من علف للحيوان.

ومع حقول الذرة رأينا مقادير كبيرة من (عَبَّاد الشمس) كما نسميه في بلادنا أو الشمسي، وهم يزرعونه هنا بكثرة، بغية الانتفاع بزيته في الأدم للأكل.

إلى جانب كروم متعددة، ذكروا أنهم يجففون العنب فيها ليكون زبيباً ينفع للاستهلاك المحلي، وتصدر مقادير منه، ولكن العنب ليس بالكثرة التي عليها الذرة أو حتى عَبَّاد الشمس.

الكل للحكومة:

وصلنا إلى قرية كبيرة أو مدينة صغيرة اسمها (أوردجن)، ولم نرَ منها إلا ما كان على الشارع العام من منازلها، لأننا لم نقف، بل لم نتمهل في السير، فسألت المرافقين من الرومانيين عمن يملك بيوت هذه القرية وحوانيتها؟ فأجابوا أنها الدولة، إن كل ما تراه من الأبنية وغيرها فيها ملك للدولة.

وعندما تجاوزناها، وعادت الحقول الخضر ممتدة إلى الأفق حتى تكاد تطبق على الطريق، سألتهم عمن يملك هذه الحقول؟ فقالوا أيضاً: إن الأراضي كلها مملوكة للدولة، فالحقول الواسعة هذه إما تكون لجهات حكومية، أو لجمعيات من جمعيات الفلاحين التي تشرف عليها الحكومة، وهم يتقاضون مقابل عملهم جزءاً من المحصول، ولكن يجب عليهم أن يبيعوه بثمن معين للحكومة، ثم تبيعه الحكومة للمستهلكين بثمن معين تحدده هي؟.

أما الأرض فإن الفلاحين لا يملكون منها شيئاً، وإنما تؤجر الدولة عليهم أراضي محدودة المساحة لاستعمالها فقط دون أن يملكوها، وذلك بمقادير محددة.

وقد نوهوا هنا بأن الدولة يمكن أن تسمح في الريف بأن يملك الفلاح ما يؤلف مع بيته ألفي متر، وبعضهم قال: إن ذلك ألف وخمسمائة متر، وله أن يزرع ما يزرعه من هذه المسافة المحدودة، ويتصرف بذلك له خاصة.

وقد مررنا بحقول من القمح الحصيد، فسألناهم عن زراعة القمح هنا فقالوا: القمح يزرع شتوياً، بمعنى أنه يبذر عند دخول الشتاء، فينزل عليه الثلج عادة مع الأمطار في كثير من الأحيان، حتى إذا حل الدفء في الربيع نبت القمح وازدهر ثم حصدوه مبكرين حتى يزرعوا في مكانه الذرة في الصيف.

ولقد رأينا حقولاً من حقول القمح الحصيد، قد عزقت وتركت لتخصب أرضها دون أن تزرع فيها الذرة، وهي قليلة، إذ أغلب الأراضي تستغل أقصى الاستغلال للحاجة إليها.

الحماة التي استحقت الإكرام:

لقد عرفنا من قبل أن النظام الشيوعي في رومانيا لا يجيز أن يتملك الشخص أكثر من منزل واحد الذي هو شقة واحدة بالنسبة لسكان المدن، مع أن الكثير من الناس هنا لا يستطيعون أن يتملكوا حتى الشقة الواحدة، لأن ثمنها تقسطه الحكومة عليهم، تحسمه من رواتبهم التي هي ضئيلة في حد ذاتها، قالوا: وإذا فرض أن وصل إلى ملك الشخص بيت آخر أو شقة أخرى بدون سعي منه، كأن يرثه من أحد أبويه، أو أن يهبه له واهب قالوا: وإذا لم يفعل بأن مضت عليه سنة وفي ملكه شقتان أو بيتان فإن الحكومة لا تكتفي بمصادرة أحدهما، وإنما تعاقبه باعتباره قد عمل عملاً مخالفاً للقانون.

وقد مررنا ببيوت متفرقة في الريف مقامة من الأخشاب التي تكثر في رومانيا بسبب وفرة الغابات فيها، فقال المترجم (جورج سيرريسكو): إن هذه البيوت هي مملوكة لأشخاص من الفلاحين، وليست كالبيوت التي تكون في المدن والقرى ذات البيوت المجتمعة التي تملكها الدولة.

ثم علا وجهه البشر والانشراح كمن تذكر شيئاً مهماً وقال: إن لي حماة كبيرة السن، وهي أم زوجتي، وزوجتي مدرسة في مدرسة حكومية، والمدارس كلها حكومية، ولقد ذهبت قبل فترة لزيارتها في الريف، واشتريت لها كيساً من الذرة هدية، وهي تستحق ذلك، فهي تملك بيتاً من الخشب في الريف، وهو

ملك لها خاص، وعند ما تتوفى وهي كبيرة السن كما قلت، فإن معنى ذلك أن يكون لنا بيت ريفي نستطيع أن نقضي فيه الوقت الذي نريده، لأن زوجتي سترث البيت بعدها!.

فقلت في نفسي: ولقد عرفت السبب في إكرامه لها، وسألته عن كيس الذرة كيف اشتراه؟ فقال: إنه اشتراه بطريقته الخاصة، كما يفعل كثير من الناس وبسعر أعلى من السعر الذي حددته الحكومة، لأن أكثر الناس لا يلتزمون بالسعر الذي تحدده الحكومة إلا بالنسبة للأشياء الكثيرة، أما الذي يبيعك من ذرة قد ادخرها بحجة أنه يحتاجها لنفسه، فإنه لا يبيعك إياها إلا إذا رفع السعر.

في سلوبوزيا:

استرحنا في بلدة سلوبوزيا عاصمة محافظة (يالوميسا)، وذلك بعد أن أمضينا ساعتين في السير المتصل، قطعنا خلالها مائة وعشرين كيلومتراً، فالسيارات لا تسرع هنا بطبيعتها، ولأن الحكومة تمنع السرعة العالية، وقد وصلناها في التاسعة والنصف.

ولم نطل المكث في سلوبوزيا، وإنما واصلنا السير مع الطريق المز فت، ولكن زفلتته ليست جيدة، وهو ضيق لا يتسع لأكثر من سيارتين، والسيارات التي تسير عليه ليست كثيرة، فهي أقل عدداً من السيارات في طرق يوغسلافيا أو المجر.

والطريق كله يشق ريفاً أخضر كما قدمت، وقد غرسوا على جانبيه أشجاراً من أشجار الظل التي أكثرها مستقيم في ارتفاعه، سامق في السماء، ذكرني بالأشجار العالية المستقيمة الشائعة على الطرق في الصين الشعبية، وقد رأينا حقولاً غير واسعة مزروعة بالفول، كما لاحظنا أن ري بعض الأراضي المرتفعة يكون بطريقة الرش في الأراضي التي لا يعلو عليها الماء.

نهر الدانوب:

بعد مائة وسبعين كيلو متراً من السير وصلنا نهر الدانوب الشهير، وهو نهر مهم هنا، وإن كانت مياهه تكاد تعتبر ميتة كما تقدم، بسبب كونه يستعمل في عدد من البلدان التي يمر بها مصرفاً للفضلات الكيميائية، والمواد الضارة، ولذلك يستعملون مياهه أكثر ما يستعملونها في توليد الكهرباء، أو في ري بعض الأراضي.

ومن اللافت للنظر أننا رأينا نهر الدانوب هنا أكثر أتساعاً، وأغزر مياهاً مما هو عليه في يوغسلافيا أو المجر، مع أنه يمر بهذين البلدين قبل أن يصل إلى رومانيا، والقياس أن تقل مياهه كلما طال مجراه بسبب ما يفقد منها من الري والتبخير، ولكن الواقع أنه هنا أكبر وأضخم، لأنه يمر بروافد له جمة من أنهار صغيرة ومتوسطة، ومنها عدد من الأنهار والنهيرات في رومانيا نفسها، فترفده وتزيد من مياهه، إضافة إلى السيول التي تصب فيه في هذه المنطقة المطيرة.

وقد مررنا فوق النهر على جسر كبير واسع جيد الصنعة، طلبت أن نقف فيه حتى نلقي نظرة على هذا النهر العظيم من هذا الجسر، وعندما أخرجت المصورة أريد التقاط صورة تذكارية أخبرني القوم أن التصوير ممنوع هنا، بحجة أن هذا الجسر يعتبر منطقة عسكرية، هكذا قالوا مع أنهم لم يفصحوا إفصاحاً كاملاً عن السبب في منع التصوير هنا، وربما كان ذلك خشيتهم من التخريب، لأن المنع بطبيعة الحال هو عام للجميع، وإلا فإن المحذور من جهتنا منتفٍ لأن الجميع، ومنهم حكومة رومانيا، يعرفون أننا لا نقوم بأعمال تخريبية بطبيعة نظامنا التي تسير عليه حكومتنا.

محافظة كونستانتا:

بعد هذا الجسر المقام على نهر الدانوب تبدأ حدود المحافظة التي تقصدها، وهي محافظة كونستانتا، وكان أول ما استقبلنا به في هذه

المحافظة بوابة تتقاضى من كل سيارة تجتازها رسماً قدره ثلاثون لياً، يساوي ذلك أكثر من نصف دولار قليلاً بالسوق الحرة، ودولارين ونصفاً بالسعر الرسمي للدولار الأمريكي.

وقد بقيت على الوصول إلى المدينة تسعون كيلو متراً.

لقد قطعنا حتى الآن مسافة ليست طويلة في بلادنا، ولكنها صارت طويلة هنا بسبب التمهل في سير السيارة، إلا أنني لم أشعر بذلك، فقد قصر المسافة وقطع السآمة فيها حديث المرافق المترجم (جورج سيرريسكو) الذي هو مسيحي، ومع ذلك يتكلم العربية وكأنه أحد العرب، فلا تحس في كلماته بنبرة لكنة، وحتى في إخراج حرف من الحروف من غير مخرجه الصحيح، وهو إلى ذلك محب للعربية، بل عاشق لها، متيم بآدابها، يسر ويطرب عندما أنشده شعراً ذا معنى عميق، أو لفظ متسق جميل، وقد وجدته يحفظ مقداراً لا بأس به من النصوص العربية، ومن الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية، والأبيات الشعرية.

وقد تعلم في بغداد، وكان رابع أربعة بعثتهم الحكومة الرومانية لهذا الغرض عندما وجدت نفسها تتعامل مع العالم العربي، ومحتاجة إلى من يحسن العربية من أبنائها.

وقد عمل (جورج) هذا في بغداد لعدة سنوات ملحقاً بالسفارة الرومانية، ثم عين ملحقاً ثقافياً بالسفارة الرومانية في الأردن، ثم عمل بعد ذلك لفترة أخرى في السفارة الرومانية في القاهرة، وأخيراً نقل للعمل مستشاراً في وزارة الخارجية في بوخارست.

ومع كون الظاهر من حال موظف هكذا أن يكون شيوعياً مخلصاً، أو منافقاً شيوعياً، وإلا لما اعتمدت عليه الحكومة الرومانية في شغل وظائف حساسة، إلا أن الذي يظهر من كلامه هو عكس ذلك، فهو لم يذكر الشيوعية قط بما هو مدح، أو ظاهره المدح، كما أنه لم يذكرها صراحة

بعكس ذلك، ولكنه يذكر أحياناً أشياء تومئ إلى الذم، مثل كون عامة الناس في هذه البلاد من الفقراء، وكون إمكاناتها الاقتصادية ضئيلة، وكون مستوى المعيشة فيها أقل من مستوى المعيشة في البلدان العربية.

ومن الأشياء المهمة هنا أنه يذكر البلدان العربية غير الشيوعية ذكراً حسناً، أكثر مما يذكر البلدان العربية اليسارية بذلك، مثل الأردن، فهو لا ينفك يتغنى بالأيام التي قضاها فيه، ويذكر أهله بخير، وحتى المملكة فإنه رغم كونه لم يزرها إلا انه ذكر أن هو وأسرته كانوا يفتحون التلفاز في عمان على التلفزة السعودية، وبخاصة في ضحى يومي الخميس والجمعة، وهما يوم عطلة، فيعجبه بعض البرامج فيها، إلا أن الذي لاحظه أن الرسوم المتحركة التي تبثها التلفزة للأطفال هي أمريكية مستوردة، ويقول إنه حبذا لو أنتجت في البلدان العربية - وهي قادرة - برامج للأطفال باللغة العربية بديلة من هذه الأجنبية، وقد أخبرته هنا أن التلفزة السعودية تبث الآن قدراً من برامج الأطفال باللغة العربية، ومنها رسوم متحركة، وإن كانت الرسوم المتحركة الأجنبية لا تزال موجودة بسبب كثرتها وتنوعها.

ولقد استفدت فوائد جمة من صحبة هذا الرجل عن ماضي هذه البلاد القريب وحاضرها، والأوضاع فيها، وشعرت بأنه يحاول أن يذكر الصحيح، إلا إذا اتصل مباشرة بالنظام السياسي لبلاده، لكنه يسكت ولا يتكلم.

استقبال كونستانتا:

قبل الوصول إلى هذه المدينة بخمسة عشر كيلو متراً استقبلنا جماعة من دار الإفتاء، من باب التكريم، على رأسها الأخ (لطيف جمال الدين) مستشار (دار الإفتاء)، وهكذا يسمون دائرة المفتي (دار الإفتاء) كما كنا نسميها عندما كان الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله - مفتياً أكبر للمملكة العربية السعودية، فكنا نسمي الدائرة (دار الإفتاء).

ثم تقدمنا بسيارة صغيرة تابعة لدار الإفتاء، ورأينا عدداً من الأشياء

الجميلة التي رأيناها في هذه المدينة التي تبين لنا أن أكثر الأشياء فيها جميلة، ما عدا عقيدة الحكام فيها التي هي الشيوعية الملحدة التي تحارب العقيدة الإسلامية، وتتبنى مذهب الإلحاد، ومع ذلك فإنها لا تعادي الدين، بمعنى أنها لا تسعى سعياً مباشراً للقضاء عليه قضاء صريحاً، بل هي تتبنى رجالاً من المحسوبين على أهل الأديان، فتحتضنهم وتعطيهم من المال ما يغريهم بالبقاء في مناصبهم، وهو مبلغ زهيد، ولكن الزهيد في هذه البلاد الشيوعية التي يعم الفقر أهلها يكون خطيراً، ثم تتولى - عن طريقهم - مراقبة الدين، تقصد من ذلك أن يبقى محصوراً في المعابد، معزولاً عن الحياة، لا يستطيع أن يكسب أنصاراً جدداً، بل لا يستطيع أن يمتد بين أنصاره القدماء.

ومن الأشياء الجميلة التي رأيناها هنا بحيرة رقراقة المياه، وزهوراً جمة مختلفة الأنواع والألوان، قد زينت بها الشوارع والحدائق وأبنية متعددة الطوابق (عمارات) بنتها الحكومة تبيعها على المواطنين الذين يسعدهم الحظ بذلك، ولا بد أن يكونوا من موظفي الدولة أو عمالها، أو على الأقل ممن لهم صلة بشخص مهم في الدولة، ولكن أكثرها جميل المنظر.

ثم وصلنا إلى حديقة واسعة تحف بالشارع الرئيسي الذي اخترقناه قاصدين مقر المفتي في قلب المدينة القديمة.

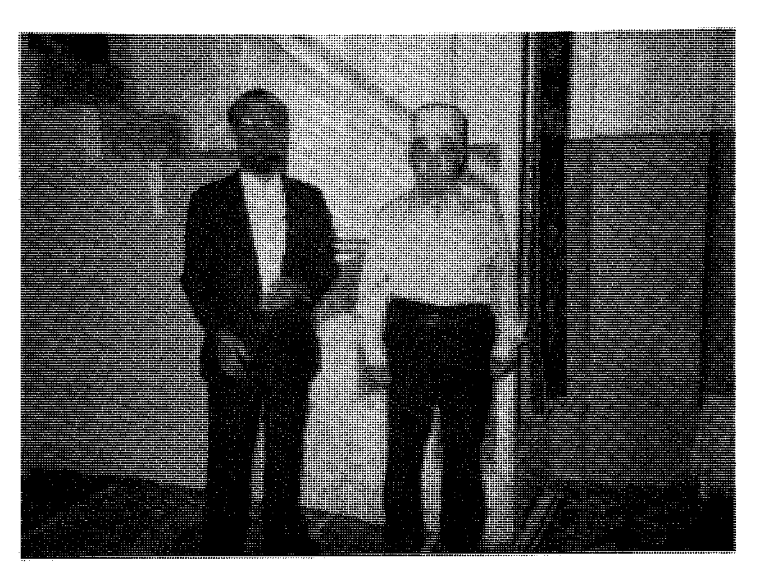
ولقد ظهرت المدينة معتنى بها من حيث تزفيت الشوارع، وتنسيق الحدائق، وهذا أمر مفهوم السبب، فهي مدينة صناعية زراعية، وهي ميناء مهم، بل هي الميناء الرئيسية على البحر الأسود، الذي هو المنفذ البحري الوحيد لرومانيا، ويبلغ عدد سكانها ثلثمائة ألف نسمة.

دار الفتوى:

وقفنا عند بناء معتاد، بل صغير، وصعدنا إلى الطابق الأول مع درج صعب، يصحبنا رهط من علية القوم من المسلمين الذين كانوا في الاستقبال عند السيارة، فوجدنا مفتي رومانيا الشيخ (يعقوب بن محمد عبد الستار) في

الاستقبال، وهو شيخ مسن يبلغ عمره الرابعة والثمانين، ومصاب بداء الروماتيزم، بحيث لا يكاد يقوى على السير، ويحتاج إلى مساعدة عند الجلوس في الكرسي، أو القيام منه.

فجلسنا في غرفة استقبال صغيرة، اضطر بعض القوم للبقاء وقوفاً لصغرها، وقلة عدد الكراسي بالنسبة للموجودين فيها.



مع مفتي رومانيا

رحب المفتي بالوفد ترحيباً حاراً إلا أن لسانه لم يسعفه بالكثير من الكلمات المناسبة، وكان يتكلم بالرومانية، ويترجم كلامه إلى العربية (جورج)، ولا أدري ما إذا كان سبب ذلك أنه لا يحسن العربية، أم أن ذلك أمر في صلب الأوامر المعطاة لهم في مثل هذه الحالة، مع أنه من المؤكد أن المفتي يعرف التركية التي يحسنها سكرتير الوفد الأخ (رحمة الله). ومما قاله: إن زيارتكم لبلادنا هي حدث تاريخي، وذكر كالعادة أن المسلمين أحرار في هذه البلاد في ممارسة شؤون دينهم.

وعندما سكت المفتي تكلمت بكلمة مبسوطة، تضمنت سرورنا بلقاء الإخوة المسلمين في هذه البلاد، وبخاصة سماحة المفتي الذي هو الرمز المهم

للمسلمين، بل هو الأب الكبير لهم، ثم بينت لهم الغرض من زيارتنا لهذه البلاد الرومانية، وهو الالتقاء بالمسلمين بالدرجة الأولى، والبحث معهم في تقوية الصلات الدينية والثقافية ما بين رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة وبينهم، ومن ثم البحث معكم في سبيل التعاون المثمر بين دار الفتوى الرومانية والرابطة، وهو تعاون يستهدف المصلحة الإسلامية العليا، وليس له غرض سياسي أو مادي، وإنما هو امتثال لقوله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾.

وقلت لهم: إن هذا هو من صميم عمل رابطة العالم الإسلامي وواجبها، ثم شرحت لهم أهداف رابطة العالم الإسلامي والغرض من نشأتها، وما حققته حتى الآن في سبيل الوصول إلى أهدافها.

وبينت لهم أن من أهم أهداف الرابطة أن تكون صلة وصل قوية بين المسلمين في بلاد الأقليات المسلمة وبين إخوانهم المسلمين في سائر أنحاء العالم.

ثم عرضت لهم ما يمكن أن تقدمه الرابطة في العادة للإخوة المسلمين، وأن ذلك يتمثل في عدة أشياء، منها:

أولاً: إرسال المرشدين ومدرسي المواد الدينية إلى مدارس المسلمين، أو إلى بعض مساجدهم المحتاجة لمن يكون فيها مرجعاً للمسلمين ومرشداً لهم.

ثانياً: تقديم منح دراسية لعدد محدد من أبناء المسلمين، تتولى الرابطة الإنفاق على إركابهم وإقامتهم طيلة مدة الدراسة.

ثالثاً: تقديم كتب باللغة العربية وبعض اللغات الحية هدية إلى خزائن الكتب في المساجد والمدارس والدوائر الإسلامية.

رابعاً: النظر في حالة المساجد التي تحتاج إلى تعمير، والإسهام في تعميرها، وإمدادها بالفرش، والتجهيزات اللازمة.

خامساً: دعوة الهيئات والجماعات المسلمة ذات الشخصية المعنوية الواحدة لزيارة الرابطة أو الاشتراك في المؤتمرات والاجتماعات الإسلامية التي تعقدها الرابطة

أو تشترك فيها.

سادساً: إمكان أن تدعو الرابطة بعض ذوي الأقدار من المسلمين من الأشخاص والقادة في البلاد لأداء فريضة الحج والعمرة ضيوفاً على الرابطة.

ثم تكلمت بعد ذلك عن عمق الروابط الإسلامية التي تربط بين المسلمين وإن تباعدت ديارهم، وتناءت أمصارهم، وذلك لا يمنع من التعاون بينهم، لأن القرب والبعد هو قرب القلوب وبعدها، والمسلمون إخوة كما قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾، وقوله ﷺ: (**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ. إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**).

وقوله ﷺ: (**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً**).

كما أن الاختلاف في أنظمة الحكم في البلدان التي يعيش فيها المسلمون لا يمنع من أن تتعاون معهم الرابطة على ما فيه نفع الإسلام والمسلمين، لأن الرابطة مؤسسة إسلامية شعبية عالمية، ليس لها أهداف سياسية محضة، ولذلك لا تتدخل في الأنظمة السياسية للحكومات، وليست دائرة سعودية رسمية، وإنما علاقتها بالحكومة السعودية أن الحكومة السعودية تقدم الدعم المالي لميزانيتها، وهي بدورها تقدم الدعم المالي للمؤسسات والجمعيات الإسلامية في العالم.

إن رابطة العالم الإسلامي تنوم بعمل إسلامي واسع، لأنها تعمل على المستوى الدولي، وكل مكان يوجد فيه مسلمون فإنه يعتبر مجالاً من مجالات العمل للرابطة، ولا يكاد يوجد في العالم قطر ليس فيه من المسلمين أحد.

هذا وقد حرصت على إيضاح ذلك لأن هذا الاجتماع مشهود من عدد من الرسميين، وقد رأيت المرافق العتيد يكتب خلاصة له، وهو بلا شك سيعرضه على المسؤولين في الحكومة الرومانية، لذلك حرصت على إبراز هذه الحقائق الواضحة عن الرابطة بهذا التفصيل.



في دار الإفتاء

كلمة المفتي:

تكلم المفتي الشيخ (يعقوب بن محمد عبد الستار) رداً على كلمتي بكلمة مبسوطة، منها قوله: إننا كنا حاولنا وكررنا المحاولة أكثر من مرة في أن يزورنا وفد من رابطة العالم الإسلامي، يطلع على شؤوننا، ويوثق الصلة بيننا وبين الرابطة، وذلك منذ عدة سنوات، ولكن لم يقدر لنا الحصول على ذلك إلا في هذه المرة المباركة التي ستكون ساعة تاريخية لا ينساها المسلمون في هذه البلاد.

ثم تكلم عن حالة المسلمين الحاضرة، وقال: إن إخوانكم المسلمين يسكنون في هذه المنطقة الواقعة ما بين نهر الدانوب والبحر الأسود، ونحن متمسكون بديننا، وإنهم يعيشون في حالة جيدة، عير أن هناك مشكلات لهم، من أهمها مشكلة الحصول على سمات الدخول من سفارات المملكة العربية السعودية في أحد البلدان التي نمر بها، وتكون فيها سفارة سعودية، وإن رابطة العالم الإسلامي هي التي تتخذ الترتيبات اللازمة لذلك، غير أن الحصول عليها يتأخر في بعض الأحيان إلى درجة نخشى معها أن يفوتنا الحج.

كما أننا نعاني من تذاكر السفر التي يطلب منا أن ندفعها بالعملة الصعبة، لأن الخطوط الرومانية لا تنزل في المطارات السعودية، ونحن في العادة نركب من بوخارست إلى الكويت أو دمشق، أو عمان، فتطلب منا الخطوط التي نركب معها من أحد هذه البلدان أن ندفع التذكرة منها إلى جدة بالعملة الأجنبية الصعبة، وهذا ما لا نستطيعه، لأننا لا نستطيع شراء العملة الصعبة، ولا تعطينا حكومتنا عملة صعبة على اعتبار أن الحج هو شأن من الشؤون الداخلية للمسلمين، وكانت بعض الجهات الإسلامية من خارج رومانيا تساعدنا بدفع العملة الصعبة لذلك الجزء من الرحلة إلى الحج الذي لا تصل إليه طائرات الخطوط الرومانية، ولكن ذلك انقطع الآن.

كان الشيخ المفتي قد أمر لنا بالشاي الذي يصنعونه قريباً مما نصنعه نحن، غير أن جودة أوراق الشاي عندهم أقل مما هي عندنا، وكانت بنا حاجة إليه، لأننا غادرنا الفندق في بوخارست في السابعة والنصف، ولم نشرب شاياً بعد ذلك، ونحن قد اعتدنا على شربه في مكاتبنا.

ثم ودعنا المفتي ومن معه من الإخوة، وغادرنا دار الإفتاء في الواحدة والنصف قاصدين فندقاً على شاطئ البحر اسمه (إنتر ناشونال) كانوا قد حجزوا لنا فيه، وهو على شاطئ (ماميا) على البحر الأسود.

ومن الطرائف هنا أن بعض الإخوة قد أفهمنا أن علينا ونحن بمثابة الضيوف في رومانيا على اعتبار أننا من الغرباء، وأننا مصحوبون ببعض الرسميين الحكوميين، وأن الحكومة هي التي نظمت برنامج إقامتنا أن نستضيف المرافقين لنا من رجال الحكومة، فندفع أجر إقامتهم معنا في الفندق، وما يتبع ذلك من الأكل والشرب.

وقد رضينا بهذا الأمر لأن أي شيء يوصلنا إلى هدفنا المطلوب، وهو زيارة إخوتنا المسلمين في هذه البلاد، والاطلاع على أوضاعهم، هو أمر هيّن، وإلا فإن الشخص ربما لا يلقي بالاً - في العادة - لعدم استضافة الآخرين له. وإنما الذي لا يجب هو أن يستضيف مضيفه من أهل البلاد - إن صح التعبير - .

والفندق جيد من فنادق الدرجة الأولى المعتادة، وأجرة الغرفة فيه للشخص الواحد اثنان وأربعون دولاراً بالنسبة للأجنبي عن البلاد، ولا يقبلون منه العملة المحلية، بل لا بد من أن يدفع بالعملة الصعبة.

سكنا في غرف متوسطة الحجم، تطل على البحر من شرفة واسعة مريحة، فأبصرنا أفواج الناس ونحن في موسم الصيف الذي هو موسم العطلات في هذه البلاد الأوروبية، وقد امتلأ بهم شاطئ البحر على اتساعه، ومنهم من يسبح في حوض للسباحة كبير موجود في هذا الفندق نفسه.

والقوم في هذا الشاطئ لا يكاد المرء يميزهم عن الأوروبيين الآخرين في البلدان الأوروبية الغربية، وقد أخبرونا أن طائفة منهم هم من السياح الذين جاؤوا من البلدان الرأسمالية الأوروبية مثل ألمانيا الغربية والبلدان الإسكندنافية.

تناولنا طعام الغداء على مائدة خاصة في فندق كبير راق، رأينا الموائد فيه أكثرها يشغلها أجانب، وبعضهم من أهل البلاد، ولكن الأسعار تختلف اختلافاً كبيراً ما بين الأجانب والمواطنين، سواء في أجرة الغرفة أو في المطعم، فالمواطنون يدفعون أقل مما يدفعه الأجانب بنسبة كبيرة.

جولة في محافظة كونستانتا:

والغرض من هذه الجولة هو - بالدرجة الأولى - الاطلاع على أحوال المساجد، ومعرفة ما تحتاج إليه من ترميم أو إصلاح.

ومع ثقتنا الكاملة بأننا لن نتمكن من رؤية كل المساجد التي منها المساجد المهجورة أو المعطلة بسبب حاجتها إلى الإصلاح، أو بسبب آخر كرحيل المسلمين عنها، أو لكون السلطات الحكومية تريد ذلك، فإن مجرد قيامنا بجولة مثل هذه الجولة التي هي رسمية مبرمجة تعتبر مكسباً في حد ذاته، نظراً لقلة المعلومات الحية المتوفرة عن أحوال المسلمين في هذه البلاد بصفة عامة، وعن أوضاع المساجد بصفة خاصة.

ركبنا الحافلة الصغيرة التي كنا قد استأجرناها من بوخارست للقيام

عليها بجولتنا هذه في محافظة كونستانتا، ومقاطعة (دبروجه) حيث يوجد المسلمون، وقد زاد عدد المرافقين بسبب انضمام بعض الإخوة من (دار الفتوى) الرومانية إلينا، لكونهم من أهل هذه المنطقة.

مسجد مرفت لرباسرايي:

و(ميرفت لر باسرايي) قرية تقع على بعد (٢٠) كيلو متراً من مدينة كونستانتا.

وكان الخروج إليها في الخامسة عصراً، وهو وقت مبكر بالنسبة إلى طول النهار في الصيف في هذه البلاد الشمالية، وبخاصة آخر النهار، فالشمس تغرب متأخرة.

سلكنا طريقاً ريفياً لا يكاد يختلف عن الريف الذي قدمنا منه في كونه يكاد يكون مغطى بحقول الذرة التي توشحها أو تجاورها مزارع لعباد الشمس التي يستخرجون من حبها الزيت لاستعماله في الأدم وفي أغراض أخرى.

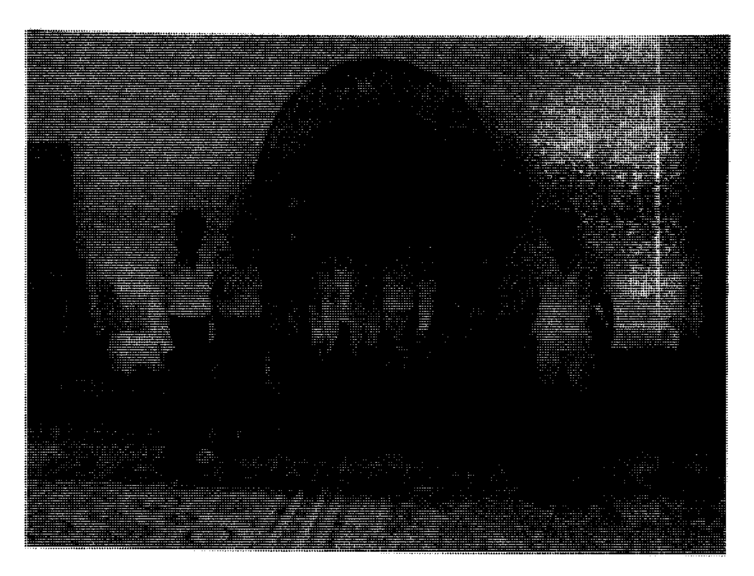
ومررنا بمصنع للإسمنت، والإسمنت الروماني شهير، بل كان في أول عهدنا بكثرة تشييد المنازل والمنشآت في المملكة يكاد يكون الإسمنت الأول الذي نستعمله في المملكة لجودته، ورخص سعره، ولكننا الآن وقد منَّ الله علينا بإنشاء المصانع المتعددة للإسمنت في بلادنا التي تنتج إنتاجاً ضخماً قد كدنا نستغني عن هذا الإسمنت الروماني.

ثم مر الطريق فوق قناة ضخمة من المياه، شقت لتصل ما بين البحر الأسود ونهر الدانوب، حتى يتيح ذلك نقل البضائع إلى داخل البلاد الرومانية بالسفن بدلاً من نقلها بالطرق البرية المكلفة، ويبلغ طول القناة أربعة وستين كيلو متراً.

ونزلنا من الطريق الذي كان مرتفعاً إلى مكان منخفض بالنسبة إلينا، فلاح لنا المسجد بمنارته المرفوعة، وقبته المميزة.

ووجدنا عنده طائفة من المسلمين، كان المسؤولون في دار الإفتاء الرومانية

قد أبلغوهم بوصولنا ، ومن بينهم إمام المسجد (علي بن عثمان)، وعدد من وجهاء المسلمين في القرية، فتحدثنا معهم في أمورهم الإسلامية، ولم يكن من الممكن أن تكون الإجابة على أسئلتنا صريحة إذْ كان معنا المرافقون الرومانيون الرسميون، وبخاصة المفتش (جورجي كريستويو) الذي تبين أنه شخصية مهمة لا يستهان بها ، حتى إن المترجم (جورج سيرريسكو) كان يرجع إليه سراً، في أكثر الأشياء، مع أن رتبة (جورج) الوظيفية في الدولة أعلى من رتبته في الظاهر ووظيفةِ المفتش جورجي المعلنة هي (مفتش في وزارة الشؤون الدينية).



داخل مسجد مرفت لرباسرايي

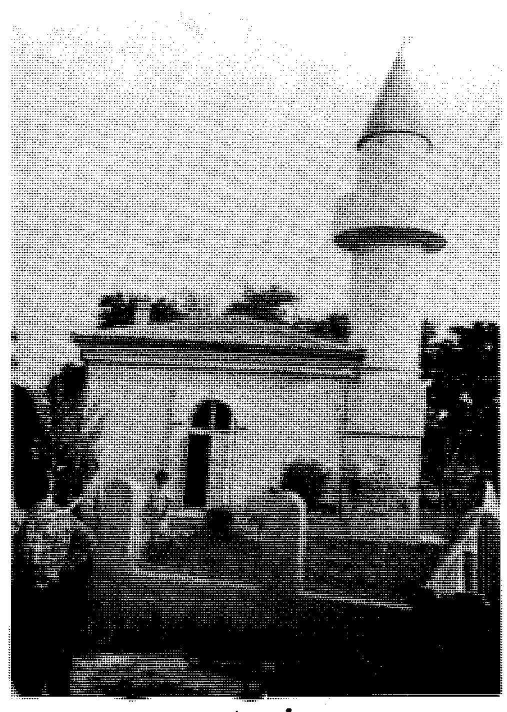
قال لنا الإخوة المسلمون: إن هذا المسجد ليس قديماً ، فقد كان للمسلمين مسجد قديم تطرق إليه خط سير هذه القناة التي شقت بين البحر الأسود ونهر الدانوب، فنزعت ملكيته، وهدم، وعوّض المسلمون عنه بهذا المسجد الحديث الذي تم بناؤه قبل أربع سنوات فقط، لأن البدء في شق القناة لم يكن قديماً.

وقد نقل إلى ما حول المسجد بعض البيوت التي كان من الواضح أنها ليست مكاناً مريحاً للسكان، مثلما أن المسجد ليس مريحاً للصلاة، بسبب غبار مصنع الإسمنت الذي كان يغطي الجو عندما وصلنا ورأينا آثاره على

الأرض والأشجار واضحاً، فهو متراكم عليها بشكل يجعل المرء يعجب لصبر هؤلاء القوم على السكن في هذا المكان.

والمفروض في حكومة تدعي أنها حكومة الشعب أن لا تقيم مصنع الإسمنت في مكان ملاصق لمنطقة مسكونة.

صحيح أنه ليس في مدينة ذات كثافة سكنية، بل ولا قرية كبيرة، ولكن هناك مساكن، سواء أكانت تجمعات سكنية خالصة أم مساكن في الريف الذي يقع فيه المصنع.



مسجد مرفت لرباسرايي

اللقاء المؤثر:

بدا أن الإخوة المسلمين قد علاهم التأثر للقاء بإخوتهم القادمين من بلاد الحرمين الشريفين، وهو أمر لم يكونوا يحلمون به، وبخاصة بعد أن رانت الشيوعية على هذه البلاد، فصارت تمنع سفر المواطنين إلا بعدد محدود،

ولأغراض واضحة، ومن لم يمنع فإن دخله المحدود صار مانعاً ذاتياً له من المقدرة على السفر.

وقد رأيت بعض الكبار في السن يغلبهم التأثر فيغالبون الدمع، ويشيحون بوجوههم، وينصرفون من مكان اللقاء حتى تهدأ مشاعرهم قليلاً ثم يعودون إليه.

ومكان اللقاء هو (بيت الله) الذي يحس له المرء بموقع عظيم في هذه البلاد لتي تحكمها الشيوعية الملحدة.

كان من المناظر المؤثرة منظر امرأة مسنة من المسلمين اندفعت للسلام علينا وهي تبكي من التأثر، ومعها بعض الحلوى التي أحضرتها من بيتها، وقدمت لنا والدها الذي يبلغ السادسة والثمانين، وقالت: إنه قد حج إلى بيت الله الحرام، وإنها هي وقد بلغت الخامسة والستين من العمر ليس لها إلا أمنية واحدة، وهي أن تحج إلى بيت الله الحرام قبل أن تفارق الدنيا.

والمسجد صغير وهو الوحيد في هذه الزاوية من البلاد، ولذلك يصلون فيه الجمعة، ويبلغ عدد الذين يصلون الجمعة فيه ما بين أربعين إلى خمسين مصلياً، وذلك لصغر القرية وقلة المسلمين فيها.

وقد تفقدنا المسجد والتقطنا صوراً تذكارية مع المسلمين فيه، ووجدناه يحتاج إلى فرش، فليس فيه إلا ما لا يقي المصلين وخاصة في الشتاء في هذه البلاد التي لا بد فيها من فراش سميك، على أن المسجد فيه مدفأة كبيرة.

ثم قابلنا الأخ الذي تبرع بأرض المسجد واسمه (وهاب رفعت)، ويبلغ الخامسة والثمانين من العمر.

وينتمي أكثرية المسلمين حول المسجد إلى أصل تتري، بل قالوا: إن التتر يؤلفون ٩٠٪ من جماعة المسجد.

وكلما لبثنا في المسجد وقتاً أطول زاد عدد الحاضرين، وبخاصة من

العجائز اللاتي أقبلن بالحلوى، يوزعنها على الجميع بهذه المناسبة الغالية على نفوسهن.

حفلة الختان:

الختان من سنن المرسلين، وهو من شعائر المسلمين المعروفة، وله أهمية كبيرة عند كثير منهم، قد يبالغون في أهميتها حتى يزيد عن الحد، من ذلك أن قوماً من المسلمين من أهل يوغندا تسببوا في صد أحد رجال الأسرة الحاكمة هناك قبل الاستقلال بوقت، لأنه أراد الدخول في الإسلام وهو كبير السن، فأخبره أحدهم بأنه لا يصير مسلماً حتى يختتن، فهاب الختان، ورجع عما كان قد انتواه من الدخول في الإسلام.

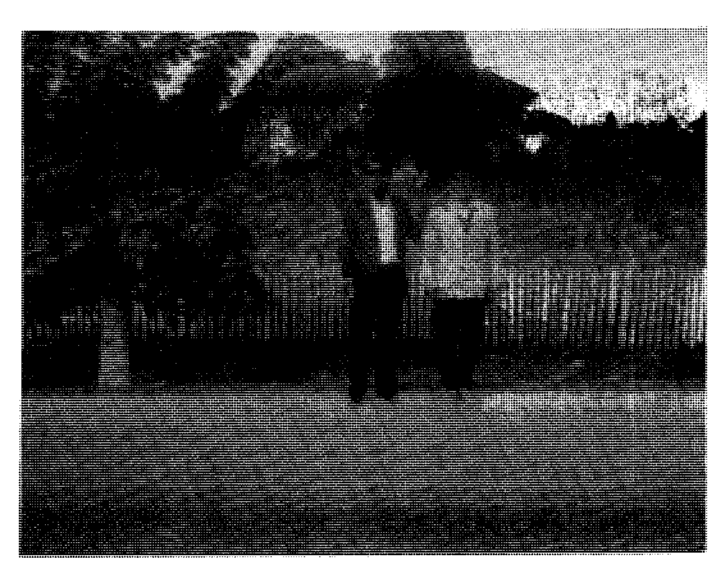


على إحدى الموائد في احتفالات الختان

أما في هذه البلاد التي دخلها الإسلام منذ قرون، والمسلمون من أهلها يعتبرون من قدماء العهد في الإسلام، فقد اعتادوا على إظهار الختان والاحتفال به، لأنه أصبح شعيرة ظاهرة من شعائر المسلمين.

واهتم المسؤولون الرومانيون بأن يطلعونا على حفلة من حفلات الختان

لأمر مهم جداً في هذه البلدان الشيوعية الشرقية، ذلك أن بعض هذه البلدان ومنها يوغسلافيا تمنع من الختان، على اعتبار أنه من مظاهر التفرقة بين المواطنين بزعمهم، ولا يمارسه إلا الأقليات من اليهود والمسلمين، وأي موظف يشغل وظيفة مهمة في الدولة يتعرض للفصل إذا ختن أولاده، أو اطلع على أنهم ختنوا ولم يمنع من القيام بذلك، على اعتبار أن الختان مخالف للقانون، وعلى أنه يدل على الانحياز الطائفي بزعمهم، تماماً مثل كون الموظف الكبير إذا عرفت الحكومة أنه يذهب لأداء الصلاة في المسجد أو الكنيسة، أو حتى يؤدي صلاة الجمعة، فإنه يكون معرضاً للفصل، بل إنه يعاقب حتماً لأنه خالف مبدأ الحزب الشيوعي الذي يتمسك بالإلحاد، ولا يقر القيام بشعائر الدين.



مع والد الطفل المختون

ومما يجدر ذكره أن غير الموظفين في الدولة، وغير أعضاء الحزب يجوز لهم أن يمارسوا شعائر دينهم علناً، مثل أن يذهبوا إلى المساجد، ويؤدوا صلوات الجمع والجماعات والعيدين، من دون أن تتعرض الحكومة لهم، بل إنني رأيت المسلمين في يوغسلافيا لهم كامل الحرية في ذلك، وإنما ذلك محرم على موظفي الحكومة الكبار وأعضاء الحزب الشيوعي.

أما في رومانيا فإن الختان مسموح به للمسلمين، وهذه يعتبرونها أمراً تستحق الحكومة الشيوعية الشكر عليه، بل ربما اعتبرتها منة (تطوق) بها أعناق المسلمين.

ولا شك أن (في الشر خياراً) كما يقول المثل العربي القديم، أو (بعض الشر أهون من بعض)، فمن الشر الأهون هنا أن الحكومة الرومانية لم تصادر المساجد، ولم تستول عليها، وإنما سيطرت على شؤون المسلمين عن طريق تعيين من تثق به في إدارة شؤون المساجد تحت رقابة (وزارة شؤون الأديان)، كما فعلت بأرباب الديانة الرئيسية في البلاد التي هي الأرثوذكسية وبعدها الكاثوليكية.

وقد سبقتنا أصوات الطبول والموسيقى الوطنية التي كانت تعزف في مكان الختان، وهو منزل ريفي وجدنا فيه أول ما دخلنا باحة مظللة بظل خفيف، أظله من غصون عنب معرش طائفة من النساء، وكلهن من المسلمات، وقد جلس على مقاعد منفصلة عن مقاعد الرجال، ولكنها مجاورة لهم وهن غير متحجبات.



تذكارية مع المسلمين الذين حضروا حفلة الختان

احتفى بنا القوم، وأسرع مناديهم ينادي صاحب البيت والد الطفل

المختون، أو على الأصح الطفلين المختونين، فقد ختن اثنين من أبنائه، ولم يحضر هو على الفور، لأنه كان في مكان مجاور، وإنما جاء جد الصبيين المختونين وهو في التسعين من عمره، واسمه (فخر الدين إرديون)، فاغرورقت عيناه بالدموع، وتحلّق حولنا الإخوة المسلمون متعجبين من هذه الساعة المباركة، وقال أحدهم: إن هذا الولد المختون ولد مبارك.

ثم أقبل الأب يسلم ويحتفي، واسمه (عزت)، ولم يكن يستطيع الكلام من فرط التأثر، فكان بعضهم يلقنه ما يقول عن طريق الترجمة، لأن أخانا رحمة الله يفهم كلامهم، حتى سكن جأشه قليلاً فهلاً ورحب، وقال: إنني أحمد الله وأشكره على أن رزقني بأبناء كانوا سبباً في تشريفكم محلي، بل في تشريف بيتي بوجودكم، إننا دائماً نتطلع إلى أداء الحج والعمرة وزيارة الأماكن المقدسة، وها نحن نرى من أهل الديار المقدسة بيننا في هذه المناسبة البهيجة، وهي مناسبة ختان ولديّ.

ثم أقبلت أم الطفلين، وهي في حوالي الخامسة والثلاثين من عمرها، وقد تركت ولديها في داخل الغرفة في رعاية إحدى قريباتها، وهي لا تستطيع أن تتحمل مفاجأة المناسبة، فلم يكن القوم يعلمون بمجيئنا إلى محلهم.

ولم تستطع الكلام، وذكروا أن اسمها (آيلا) أو (عَيْلا).

كان المكان مزدحماً بالناس من رجال ونساء، ولم يكن الجميع يعرف من نحن عندما دخلنا، وعندما انتشر الخبر بينهم، وعرفوا أشخاصنا، كان أول ما طلبوه أن ندعو لهم هنا، ففعلنا ودعونا للولدين بالبركة، ولأسرة هذا الأخ المسلم بالخير الكثير، لأنه كان سبباً في كوننا رأينا طائفة من إخوتنا المسلمين من عامة الشعب في محله.

ثم أوصونا بالدعاء في مكة المكرمة لهم جميعاً عندما نعود بأن يوفقهم الله لأداء فريضة الحج، ثم أخذت موسيقاهم التي هي شعبية تعزفها فرقة من أهل البلدة تصدح بالموسيقى، وأخذت النسوة في الرقص رقصاً شبيهاً بالرقص

العربي المحتشم، لأنهن بملابسهن التي لم تكن سابغة، ولكنها ليست قصيرة ولا متبرجة حسبما هو معروف من التبرج في مثل هذه البلاد التي يتحلى نساؤها - إن طوعاً وإن كرهاً - بشيء من الاحتشام في اللباس، أكثر مما يوجد عند الأوروبيات الغربيات.

ولم أرهن يحركن شعورهن أو يأخذن بأسافل ثيابهن يهززنها عند الرقص كما تفعل العربيات، وإنما كن يتمايلن في رقص هادئ الحركات، غير ملفت للنظر، وأخذ الحاضرون من الرجال مكانهم بجانب مكان النساء، ولكنهم ليسوا مختلطين بهن ينظرون، وقد شارك بعض الشبان منهم وهم في أماكنهم في الرقص، ووقف الرقص فاستمرت الفرقة الموسيقية بالعزف، وابتدأ أحد أفرادها يغني غناء تترياً، فأغلب المسلمين هنا، كما قلت، من أصل تتري.



الطفل المختون وأمه وأخته الصغيرة وإحدى قريباته

أما نحن فإننا جلسنا على موائد قد أعدت للضيوف من بني قومهم، وأسرعوا يقدمون الحلوى والسنبوسك.

وهم يحدثوننا عن شؤون مختلفة من شؤون المسلمين في هذه البلاد، ثم حدثونا عن أهمية الختان عندهم، فقالوا: إنه أهم حدث في حياة الطفل، ففيه

يتلقى هدايا من الأهل والأصدقاء، وفيه تقام الولائم التي لا بد - عندهم - من أن تصدح فيها موسيقاهم.

والأهم من ذلك أنهم أخبرونا أن حفل الختان يستمر في العادة ثلاثة أيام متتابعة، ولا يكتفون بيوم واحد.

بل أخبرونا أن الاحتفال بالختان أهم عندهم من الاحتفال بالزفاف، فلا يستمرون في الاحتفال وتقديم الطعام مدة ثلاثة أيام في حفل العرس، بخلاف الختان.

الابن المبارك:

طلبت أن أرى الطفل المختون، فرحبوا بذلك وقادونا إلى غرفة صغيرة قد وضعوا فيها الطفل الذي يبلغ عمره السادسة تقريباً، أما أخوه فهو أصغر منه، لذلك لم نتحدث إليه، فدفعت إليه مبلغاً من النقود من باب الإهداء له، لأن الأهالي هنا قد اعتادوا على تقديم الهدايا للطفل أو أهله، قال بعضهم: إن ذلك يكون فيه تعويض عن النفقات التي ينفقونها في الاحتفال، وتقديم الطعام والحلوى لمدة ثلاثة أيام، ولكن الذي رأوا ما أعطيته، ومنهم مرافقونا الحكوميون من غير المسلمين، مثل المترجم (جورج) قد استكثروا ذلك، وقالوا: إنه ليس من المعتاد أن تعطى مثل هذه المبالغ، فقلت: إنه أيضاً ليس من المعتاد لهم أن يستقبلوا ضيوفاً سعوديين.

وقد حذا الإخوة الزملاء من أعضاء الوفد حذوي، فقدموا هبات نقدية بمثابة الهدايا للأطفال.

وكان للرجل ابنان وابنة طفلة، فرأيتها تنظر إلينا فأعطيتها مبلغاً من النقود أيضاً، فكان لذلك وقع حسن في نفوسهم.

وفي الختام ودعنا الإخوة المسلمون وداعاً جماهيرياً حاراً، حيث خرجوا كلهم من شيوخ وأطفال ورجال ونساء يودعون، وطلبوا صورة تذكارية فكان ذلك، ولم يكن إلا بعد جهد، لأن الجمهور كان من الكثرة بحيث صعب

ضبطه، لأن كل واحد يريد أن يحظى بصورة مع الضيوف الذين قدموا من بلاد الحرمين الشريفين.

وقد طلبت أن أسير في أزقة القرية بعد أن تركنا الجمع الحاشد لأتأملها، فوجدت منازلها في أحواشها - أي أفنيتها - الخضرات قد نمت وازدهرت مثل الطماطم والقرع والباذنجان، وعلى حواشيها كروم العنب الذي رفعوه فوق عرائش واسعة.

والبيوت من الطين، وهي بيوت خاصة للفلاحين، أقاموها بجهودهم الشخصية، وبعضها مطلي بالجص بغية تزيينه، وهناك قليل منها مبني بالآجر.

أما البيوت الإسمنتية فإنه لا أثر لها هنا، رغم وجود مصنع الإسمنت بجانب القرية، ومعظم سقوفها مسنم اتقاء للمطر والثلج في الشتاء.

مسجد وادي داش لور:

قصدنا بعد ذلك مسجداً يسمى مسجد (فالا داش لور)، وفالا: هي فالي بمعنى (وادي) الإنكليزية.

وصلنا إليه مع الطريق الذي يمر فوق القناة التي شقت بين نهر الدانوب والبحر الأسود، وهو طريق إسفلتي جيد بخلاف طرق القرية التي تركناها، فإنها ترابية.

والطريق يشق ريفاً أخضر مزروعاً بحقول الذرة إلى جانب عباد الشمس وأشجار الكروم.

ويقع المسجد على الطريق وهو صغير، وقد بني حديثاً بقرب قرية تسمى (هندك قري كوي) وتبعد عن مدينة كونستانتا (٣٢) كيلو متراً.

ولم نقف عنده طويلاً لأننا لم نجد عنده أحداً، فالوقت ليس وقت صلاة، ولم يكن بانتظارنا أحد فيه، ولكن أحد السكان القريبين منه وهو من المسلمين أخبرنا أن المسجد مفتوح للصلاة، وأنه تقام فيه الصلوات الخمس، وأن

إمامه الأخ (محمد سيف الله).

بلدة المجيدية:

هذه البلدة منسوبة إلى السلطان التركي (عبد المجيد العثماني)، وهي بلدة صغيرة يبلغ عدد سكانها ستين ألف نسمة، منهم ألفا أسرة من المسلمين. ويذكر هنا أن عدد أفراد الأسرة المسلمة في هذه البلاد هو أكبر من عدد أفراد الأسرة غير المسلمة، ولذلك ربما صح القول إن معنى ألفي أسرة أن يكون عدد المسلمين فيها اثني عشر ألف نسمة.

قصدنا (جامع المدينة) المسمى(جامع السلطان عبد المجيد)، فوجدنا في الاستقبال حشداً من المسلمين على رأسهم الأخ (خير الله باعوبيك) رئيس جماعة المسلمين في البلدة، ومفتي رومانيا الأخ (يعقوب محمد عبد الستار)، وإمام المسجد (عمر سعيد).



جامع السلطان عبد المجيد في المجيديه

أنسنا برؤية منارة المسجد السامقة في الهواء، وقبته الشامخة المميزة، وهو على طراز المساجد التركية المعتنى بها، فهو بخلاف المسجدين اللذين قبله، فهما أقل بناء، والمنارة في الأول أقل شموخاً، أما الثاني فإنه ليست له منارة.

ولم يقتصر المظهر المناسب للمسجد على ارتفاع المنارة والقبة، وإنما ظهر ذلك في العناية بحدائقه وباحاته، فحديقته ذات أشجار باسقة، وزهور بهيجة ترى واضحة من الشارع، وحوله باحات مسورة معتنى بها، وكل ذلك قديم أنشئ مع إنشاء المسجد الذي كان بناؤه ما بين عامي ١٨٥٧م، ١٨٦١م أي: أن بناءه استغرق خمس سنوات.

ثم تجولنا في داخل المسجد، فوجدناهم يرممونه ترميماً يكاد يكون شاملاً، وكل ذلك بنفقة من الجماعة الإسلامية هنا.

وأهم ما يحتاج إلى دقة في الترميم فيه هي النقوش واللافتات التي اعتاد الأتراك ومن سار على نهجهم في بناء المساجد أن يكتبوها داخل المسجد، ومنها أسماء الخلفاء الراشدين ﷺ إظهاراً منهم لمذهب أهل السنة والجماعة، ومخالفة للروافض الذين يسبون أكثر صحابة رسول الله ﷺ أو لا يتولونهم.

وقد زادوا هنا في هذا المسجد لوحة كتبوا عليها (حضرت بلال الحبشي) وهي مكتوبة بخط جميل، ذكروا أن الذي كتبها هو أخ مسلم من مدينة كونستانتا اسمه: فوزي لا تفرق بين خطه وبين الخطوط الجيدة بل الفاخرة في العالم العربي اليوم.

أما الذي كتب اللوحات القديمة فإن اسمه (أسعد علي)، ذكروا أنه أيضا من المنطقة نفسها، ولكن ذلك لا يستغرب في القديم عندما كان الحكم في هذه البلاد لتركيا.

وللخشب في بناء المسجد أهمية كبيرة، فسقفه من الخشب، والأعمدة قد ألبسوها أغطية مربعة من الخشب الجيد الجميل.

أما المسجد نفسه فإنه مبني من الحجارة المهذبة المشذبة التي يخيل إليك

إذا رأيتها أنها قد لانت بأيدي النقاشين حتى صارت لدائن أو طيناً، فكيفوها كما شاءت لهم الزخرفة أن تكون، فقد خرجت من البناء أفاريز طويلة منتظمة، وأطر من الحجارة جميلة بديعة، إلى جانب الضبط في البناء، حتى يخيل إليك أن البنائين قد فرغوا منه الساعة.

وأخبرونا أن الصلوات الخمس وصلاة الجمعة تقام في المسجد، وأن متوسط العدد الذي يحضر للصلوات الخمس ما بين ثلاثين إلى أربعين شخصاً، أما صلاة الجمعة فإن العدد يتراوح ما بين مائة إلى ثمانين.

وبعد الانتهاء من الاطلاع على أعمال الترميم في المسجد، وعدناهم بأننا سنقدم لهم مبلغاً من المال إسهاماً متواضعاً من الرابطة لضمه إلى ما جمعوه لهذا الغرض، مع وضع ترميم المساجد التي تحتاج إلى ترميم في رومانيا موضع الاعتبار.

ثم وقفنا عند الباب الخارجي للمسجد وسط حشد من المسلمين، وتجمع علينا صبية من أبناء المسلمين سألتهم عن أسمائهم لأعرف ما إذا كانت أسماء إسلامية عريقة أم محدثة، فكان منها: سنان وكنعان و(محمد صالح).

وفي مقابلة الباب الخارجي من جهة الشرق رأيت مكاناً مبنياً على طراز إسلامي فاخر عريق، فظننته إحدى المدارس أو الأربطة، فسألت عنه المرافقين من الرومانيين فتجاهلوا السؤال ولم يجيبوا عليه، ثم انفردت بالمسلمين وسألتهم وطلبت من الأخ (رحمة الله) الذي يعرف التركية كما يعرفها أكثرهم، يسألهم فكان الجواب إنه الآن المجلس الشعبي في المدينة، ومعنى الشعبي هنا الشيوعي، وإنه كان تابعاً للمسجد، وكان للمسلمين فانتزعوه منهم، فصورته وتأملته قبل التصوير فإذا بالشاهد على صحة ما قاله الإخوة المسلمون واضح في كلمة (المجيدية) مكتوبة بالحروف العربية على واجهته.

وودعنا هؤلاء الإخوة الكرام بحفاوة بالغة.

وفي طريق العودة إلى (كونستانتا) مررنا بقرية ذكروا لنا اسمها الروماني

وأن معناه الباب الأبيض، فسألت عن وجود المسلمين فيها فذكروا انهم موجودون غير أنهم اختلفت إجاباتهم عندما سألتهم عن وجود مسجد في القرية يصلي فيه المسلمون، فبعضهم قال: إنه لا يوجد فيها مسجد، وإن المسلمين يذهبون إلى خارج القرية للصلاة، وآخرون قالوا: إنه يوجد فيها مسجد.

وهذا يدل على عدم الرغبة في الإخبار بالحقيقة عند بعض الموظفين الحكوميين، كما يدل على خوف المسلمين من السلطات الحكومية، لأنني أعتقد انه لا يوجد فيها مسجد، وإلا لسارع المرافقون الحكوميون بإخبارنا به، وربما أرونا إياه.

وهذه القرية المسماة بالباب الأبيض ليست بيضاء، فالشارع الرئيسي فيها مزفت زفلتة رديئة، تكثر فيه الحفر والأماكن غير المستوية، وبيوتها من طابق واحد من الآجر بسقوف مسنمة ليست بهيجة المنظر.

وعندما عدنا إلى الفندق كانت الساعة تقترب من التاسعة، وقد حثنا المرافقون على الإسراع في الذهاب إلى مطعم الفندق قبل إغلاقه، لأنه كما قالوا يغلق في التاسعة والنصف.

وقد وصلناه قبل التاسعة بخمس دقائق، فأغلقوه في التاسعة، وليس في التاسعة والنصف، بمعنى أنهم أغلقوا أبوابه في التاسعة، ومنعوا كل من يريد الدخول إليه، واستمروا في تقديم الطعام وخدمة الرواد حتى التاسعة والنصف.

وأخبرونا أنه إذا فاتنا العشاء في مطعم الفندق، فإنه من الصعب أن نجد العشاء في مكان آخر، لأن موظفي المطعم والفندق كلهم مثل العاملين الآخرين في المرافق العامة موظفون للدولة أيضاً، فيتركون العمل عند نهاية الوقت المحدد، ولا يربحون شيئاً من مجاملة من يأتي متأخراً.

يوم الإثنين ١٩٨٥/٧/٢٩م

صباح كونستانتا:

تقع غرفتي كما قلت على الشاطئ، وهي في الطابق الثاني، تطل من شرفة عريضة فيها على شاطئ البحر، وقد وضعوا فيها مقاعد هزازة مريحة، فالجلوس فيها إذاً مريح في هذا الوقت الصيفي الذي لا يستريح المرء فيه إلا إذا أشعل مكيف الهواء لتبريد الغرفة، مع أننا في بلاد شمالية نائية.

ولذلك كان الجلوس في الشرفة ممتعاً حقاً، غير أنني لم أستطع الجلوس فيها لضيق الوقت وازدحام البرنامج.

وكنت حاولت أن أصور شاطئ البحر بعد ظهر أمس، إلا أن الأكوام المكومة من اللحوم البشرية فيه منعتني من التصوير.

وفي صباح مبكر من هذا اليوم، ومع طلوع الشمس كان الشاطئ خالياً تماماً، ولم يكدر التصوير فيه إلا شيء من القتام، وهو ما يشبه الضباب الخفيف الذي يجعل الصورة لا تكون واضحة كل الوضوح، وقد صورته وصورت شروق الشمس عليه، وبعد ذلك تأملته لأجد فيه - ولو من باب التندر - ما تصح معه تسميته بالأسود.

وكنت أمس تأملت الموجودين فيه، فلم أر فيهم على كثرتهم شخصاً أسود واحداً، واليوم لم أجد فيه ما يوحي بالسواد، اللهم إلا هذا القتام الذي يجلل الأفق بشيء من عدم الوضوح في الرؤية.

والواقع أن الوصول إلى هذه البلاد ونحوها من البلاد غير الحرة بطريق رسمي معلن لحكومتها، يجعل الزائر لا يستطيع أن يرى كل ما يريد رؤيته مما في البلاد، كما لا يستطيع أن يجالس أو يحادث كل من يريد أن يجالسهم أو يحادثهم من السكان، لأن الحكومات تحيطه بسياج من موظفيها، تظهر بذلك أنها تريد له التكريم والتعظيم، وهي - في الواقع - تريد الاطلاع على ما يصل

إلى سمعه، أو يصل إليه بصره.

ومع ذلك فإن المرء إذا كان مهتماً بشيء، فإنه يستطيع أن يقيس ما راه على ما لم يره، ويستطيع أن يفهم ما لم يسمعه على ضوء ما سمعه، والحكومة الرومانية حكومة شيوعية متشددة من الداخل، ولكنها في سياستها الدولية وفي علاقاتها مع الأجانب متراخية متساهلة بالنسبة إلى نظيراتها من الدول الشيوعية في شرق أوروبا.

وعندما نزلت من المصعد إلى المطعم في الصباح رأيت عاملة في المصعد تتثاءب ولا تكاد تتحرك من التعب والسهر، وقالت لي: إنني منذ أن رأتني البارحة في التاسعة والنصف وأنا اعمل في هذا المصعد من دون راحة أو نعاس، لأن عملها في المصعد يوجب عليها أن تظل واقفة، فالمصعد ليس من النوع الحديث الذي لا يحتاج الذين يستعملونه إلى مساعدة من أحد.

جولة على مساجد كونستانتا:

بدأت هذه الجولة في التاسعة من هذا الصباح على الحافلة المعهودة التي كنا استأجرناها عند وصولنا إلى بوخارست من شركة سياحية حكومية، وقد نفعنا وجودها معنا، لأنه إذا ركب معنا اثنان أو ثلاثة بل حتى خمسة اتسعت لنا، بخلاف ما لو كنا نركب سيارات صغيرة.

مع أن سيارات الأجرة الصغيرة هي مثل هذه الحافلة لا توجد للأجرة إلا عند مكاتب السياحة الحكومية.

ويبلغ عدد المساجد في كونستانتا خمسة مساجد.

ولم تبدأ الجولة بالمساجد، وإنما بدأت بالاطلاع على قلب المدينة، إذْ تجولنا في متاجرها، ولم نجد فيها ما يستحق أن يرى، فضلاً عن أن يشترى من البضائع إلا نوعاً من ثياب النساء الذي أعجب بعض الإخوة أعضاء الوفد، فاشترى منه لأهله رخيصاً، وقلده الآخرون منا، فاشتروا منه رخيصاً أيضاً.

جامع المجريين:

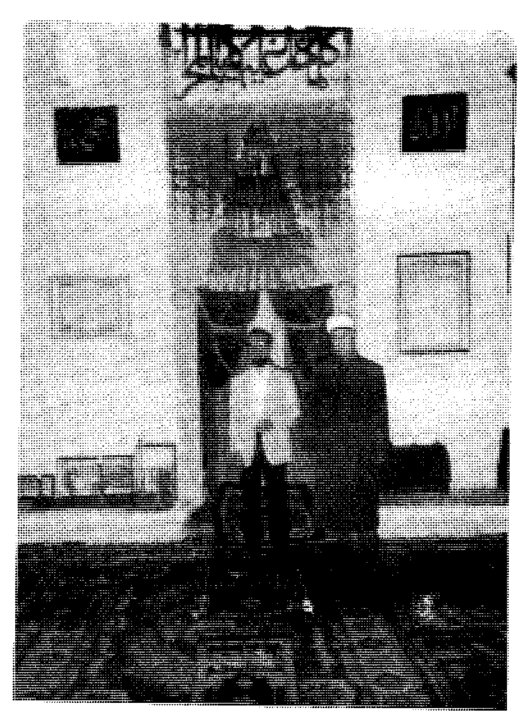
وفي العاشرة بدأنا الجولة على المساجد بالاطلاع على مسجد مهجور يسمونه (هنغاري مسجد) أي مسجد الهنغاريين، وهم المجريون، ولا أدري سبب التسمية، مع أنهم ذكروا أن الذي سماه السلطان عبد العزيز عام ١٨٦٩م.

وسبب إغلاقه أو هجره هو ضعف المسلمين المالي والمعنوي، ولكونه يحتاج إلى ترميم كما أخبرونا، وأردنا الإطلاع على داخله فذكروا أنهم لا يستطيعون فتحه، لأن مفتاح الباب ضائع!

أرأيت مسجداً يضيع مفتاحه فيبقى مغلقاً؟

لا شك بأن هذا يدل على ضعف المسلمين وقلة إمكاناتهم.

جامع المحمودية:



في محراب جامع المحمودية مع إمامه

ذهبنا بعد اليأس من رؤية داخل مسجد الهنغاريين إلى مسجد المحمودية نسبة إلى السلطان محمود الثاني أحد سلاطين تركيا.

وهو قديم البناء نسبياً، إذ بني في عام ١٧٣٠م، ورمم لآخر مرة في عام ١٩١٦.

وقد صاروا يسمونه الآن (جامع الجمهورية)، وذلك لمعاداة الشيوعيين لكل ما هو تركي، فضلاً لمعاداتهم لكل ما يشعرهم بتاريخ المسلمين في هذه البلاد.

وقرأنا على واجهته الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾.

وهو فاخر البناء، مبني بالحجارة المهذبة التي تفنن الناقشون في نقشها، حتى كأنما لانت بين أيديهم كما يلين الخشب بين يدي النجار.

وتزينه منارة شاهقة دقيقة الشكل، متقنة الصنع، ترى لارتفاعها من البحر الأسود؛ مع كونه في داخل المدينة، ولكن السبب في ذلك أن موقعه مرتفع بالنسبة إلى ماعداه، وإن لم يصل إلى أن يكون ربوة عالية.

وأعجب من منارته قبته التي تشبه قباب المساجد المبنية على طراز تركي متأخر، وهي محكمة العقد، حتى كأنما أعتمد بانوها على آلات حديثة مع أن تلك الآلات لم تكن موجودة في ذلك الوقت كما هو معروف.

وفي داخل القبة تزيينات من الخشب المخروط وفق نقوش من الفن الإسلامي، وكذلك منبره الفاخر، ولذلك ظل مفتوحاً للسياح، تعتبر الحكومة أنه أحد المباني الأثرية التاريخية التي تتميز بها مدينة كونستانتا.

وتتقاضى الحكومة ثلاث (ليات) رسم الدخول على كل سائح يريد أن يراه، مع أنه صغير المساحة، إلا أنه فاخر البناء، بل عجيبه.

وهو مفتوح للصلوات الخمس، وتصلى فيه الجمعة، وإمامه الحاج (عثمان نجاة نور)، وهناك شيخ آخر ذكر أنه يدرس فيه، ولا أدري صحة ذلك، لأن

الحكومة الشيوعية تمنع في العادة تدريس العلوم الدينية.

وقد صادفنا وجود سياح كثير في المسجد يتفرجون برؤيته، وأكثرهم إن لم يكونوا كلهم من الأوروبيين، وقد يكون فيهم بعض الأمريكيين.

وعند الخروج منه بحثت عن زاوية أستطيع منها أن ألتقط صورة للمسجد، فكانت بعض المباني تمنع من ذلك ماعدا المنارة.

ولاحظت أن القبة ركبها هلال ليس معه نجمة، خلاف ما عليه الحال في أكثر مساجد المسلمين، حيث يعتبرون الهلال والنجمة شعار المسلمين، مقابل كون الصليب شعار المسيحية.

ثم اخترقنا مدينة كونستانتا جاعلين ميناءها على اليسار، وهو ميناء كبير، بجانبه متحف البحرية الرومانية.

والميناء يبدو منخفضاً عن المدينة، لأن قلب المدينة القديمة وهو الذي فيه جامع المحمودية مرتفع قليلاً عن البحر.

طوابير الحافلات:

مع التكره لكلمة (طابور) غير العربية، ومعناها الصف المنتظم، فإن كلمة (صف) العربية أصبحت لا تؤدي معنى كلمة طابور، وبخاصة في البلدان الشيوعية، حيث (الطوابير) تكون سمة غالبة على الأمور فيها، فكل شيء لا بد إن يقف الناس عنده (طوابير)، وناهيك بطوابير الاتحاد السوفيتي الشهيرة التي ذكروا أن من أشهرها الطوابير التي تقف عند المحلات التي تبيع (الآيس كريم)، وقد رأيت بنفسي عندما زرت موسكو طابوراً طويلاً عند الإسكافي، وهو الذي يصلح الأحذية، وفي مطار موسكو طابور راكد عند بائع الشاي في داخل المطار، حتى إن بعض الوافدين كان معه كتاب يقرأ فيه وهو واقف في (الطابور).

والطوابير التي رأيتها اليوم في مدينة كونستانتا ممتدة متعددة، هي

(طوابير) منتظري ركوب الحافلات، فقد وقف الناس صفوفاً أمام مواقفها، حتى إذا جاءت ولم تتسع مقاعدها لكل من يريد الركوب فيها، ركب فيها من الواقفين الأول فالأول.

ومواقف الحافلات هذه رأيتها في ميدان يعتبر موقفاً لها.

وعلى ذكر الحافلات أقول إنها كلها حكومية، وإن السيارات الخاصة قليلة جداً، وإن تكن موجودة.

ولاحظت أن الشوارع في قلب المدينة، والمراد بذلك القسم القديم منها، مبلطة بالحجارة الصغيرة والإسمنت مما كان موجوداً قبل الشيوعية، وأطرافها من الآجر.

واتجهنا جهة الجنوب الغربي من المدينة مع طريق يتجه إلى حدود بلغاريا التي تبعد عن كونستانتا زهاء (٥٠) كيلو متراً.

والطريق لا بأس به، وهو واحد للذاهب والآيب من السيارات، أما الطرق المزدوجة فإنها هنا قليلة إلا في الجزء الذي يمر بمدينة أو قرية كبيرة، فإنه يكون مزدوجاً، ثم يعود إلى فرديته بعد أن يفارقها.

وفي المدينة عدة حدائق إلا أنها أضيق من حدائق مدينة (بودابست) مساحات، وأقل عناية منها.

وقد اعترضت طريق سيارتنا فرس معها فلوها، وقد اختلفت القوم فيمن يملك مثل هذه الفرس والمهرة التي معها، فاجتمع رأي الأكثرية من المرافقين أنها ربما تكون ملكاً خاصاً لأحد الأشخاص، مع أن الأصل في مثل هذه البلدان الشيوعية أن يكون مثلها ملكاً للدولة.

ريف كونستانتا:

خرجنا إلى ريف كونستانتا من المدينة فكانت الزراعة حقولاً من حقول الذرة الصفراء، ثم وصلنا إلى جسر فوق القناة الحديثة التي تقدم ذكرها.

ومع قلة الحيوان الذي يرى من الطريق في هذا الريف، فإن البط كثير، وبعضه يقترب من طريق السيارات وهو يتبختر في مشيته، كأنما يتحدى السيارات المسرعة، ولكنه يظل بعيداً عن طريقها.

وذكروا أن هذا البط يستثمره الأهالي عن طريق تسمينه وبيعه، وعن طريق الانتفاع ببيضه، ولكن النظام الشيوعي لا يبيح أن يستعمل في التجارة، فلكل فلاح مقدار معين يبيعه لنفسه، ويعطي الدولة ما لها من ضريبة عليه، ولكنه لا يضم نصيبه إلى نصيب جاره، أو يشتري من جاره ما يبيعه ليتكسب به، لأن ذلك يعتبر استغلالاً عندهم، وكأنما هم بذلك لا يبيحون الاستغلال إلا للحكومة الشيوعية المؤلفة من أعضاء الحزب الشيوعي.

والأرض غير المزروعة في هذا الريف فيها حشائش وأعشاب ملتفة، مما يدل على خصوبتها وكثرة الرعي فيها.

ومع ذلك فإن عامة الناس لا يستطيعون استغلالها، لأنها ملك للدولة لا يستطيعون أن يعملوا فيها إلا بأجر، وعملهم لا بد من أن يكون محدداً، بحيث لا تكون لديهم أرض أخرى.

هذا مع التنويه بأن معظم الأراضي هنا هي مزروعة زرعتها الحكومة، وهي التي تستغلها. وقال المرافق المترجم (جورج): إن الناس هنا كلهم فقراء.

وهذا صحيح، والأسوأ أنهم لا يأملون الغنى، فلو قلت لأحدهم مواسياً أو معزياً عن فقره الحاضر: سوف يرزقك الله في المستقبل، وتستغني، لعَدَّ ذلك منك من باب الاستهزاء به، أو من سطحية التفكير عندك، لأن الغنى هنا ممنوع بحكم القانون الشيوعي كما هو معروف.

وعندما رأيت خصب هذه الأرض واخضرارها قلت في نفسي ثم جهرت بها للإخوة: ولكن ماذا تكون عليه الحال في الشتاء ؟

قال أهل البلاد المرافقون: لا شيء هنا في الشتاء، بل الثلج يركب الأرض كلها ويعطلها عن الزراعة والعمارة، إلا أنه يفيدها خصباً للموسم الزراعي

عندما يذوب الثلج.

ومما يجدر ذكره أن معظم الأمطار في هذه البلاد تكون في الصيف. وأما الشتاء فإنه تتساقط فيه الثلوج.

ومررنا بمزرعة حكومية لتربية الأبقار، وفيها أكوام من التبن والأعلاف، وبجانبها رعية من الغنم الحكومية أيضاً - إن صح التعبير -.

وقد أخبرونا بهذه المناسبة أن كيلو اللحم البقري يباع بأربعين (ليا)، وأن كيلو لحم الغنم بثلاثين، فلحم البقر أغلى من لحم الغنم، ومن الأشياء اللافتة أن المترجم وهو مسيحي وإن كان لا يستطيع أن يقول ذلك لكونه يؤثر على مقامه في الدولة إن عرف عنه يقول: وكذلك لحم الخنزير هنا أغلى من لحم الغنم.

وعلى ذكر الحيوان هنا أقول: إنني رأيت على قلة حميراً من حميرهم، وهي رديئة النوع بالنسبة إلى الحمير الشهرية التي تكون عندنا، ومن الغريب أن عليها شعراً كثاً يبدو مشوشاً وإن لم يكن طويلاً، ولكنه لا يوجد على الحمير عندنا، ولا شك أن سبب ذلك يعود إلى برودة الجو عندهم في الشتاء.

مسجد تكرقل:

وقفنا عند مسجد اسمه مسجد (تكرقل)، وبعضهم يسميه مسجد الجمعة.

ومعنى تسمية المكان (تكرقل) بحيرة التفكر، لأن (تكر) محرفة عن تفكير أو تفكر، وقل: بحيرة في التركية. وأكثر الأسماء القديمة هنا هي تركية، لأن هذه المنطقة كانت منطقة إسلامية، وصلها الإسلام عن طريق الترك، وهاجر إليها بعض الأتراك حتى اصطبغ أهلها بالصبغة التركية من حيث الأبنية واللغة.

دخلنا إلى المسجد مع باب غير حصين يدخل منه إلى فناء مكشوف، قد

جعلوه حديقة ملتفة، فيها الزهور الجميلة والخضرات النافعة، مثل الطماطم والفلفل الحار والباذنجان والقرع، وكله مثمر الآن.



مسجد تكرقل

ولا يكلفهم جعلها حديقة كثير عناء، لأن الأمطار الصيفية تسقيها، والجو الصيفي الحار ينميها، إلا انه إذا تخلف المطر يكون لا بد لهم من سقيها من ماء الأنابيب.

وجاء إمام المسجد واسمه عثمان عبد العزيز، ثم جاء والده الحاجي بشير محمود، وهو مسن في الثمانين من عمره.

وقال الأخ الإمام: بعد (٤) سنين تثمر الفواكه هنا، وأسماها (ميوه) كما كانت العامة عندنا تسميها أخذاً من هذا اللفظ التركي.

وحدثنا عن منارة المسجد وهو يتطلع إليها ويقول: لقد بناها (نظيف جان أقاين)، ولم يذكر من بنى المسجد، وإنما ألح علينا في دخول بيته، فوجدنا فيه حديقة صغيرة أيضاً قد زرعها الإمام بالخضرات والزهور، وفيها دجاجة معها فراخها الصغار، وقال: نحن نسقيها من الحنفية أي صنبور الماء.

وبيته صغير ضيق الغرف، وهو مبني من الإسمنت الرث أي، غير المسوى كما ينبغي، وفيه مدفأة كبيرة محاطة بغلاف من الفخار لئلا تتآكل المدفأة وهي من الحديد. وحدثنا عن الخضرات والزهور هذه، فذكر أنها كلها تموت في الشتاء.

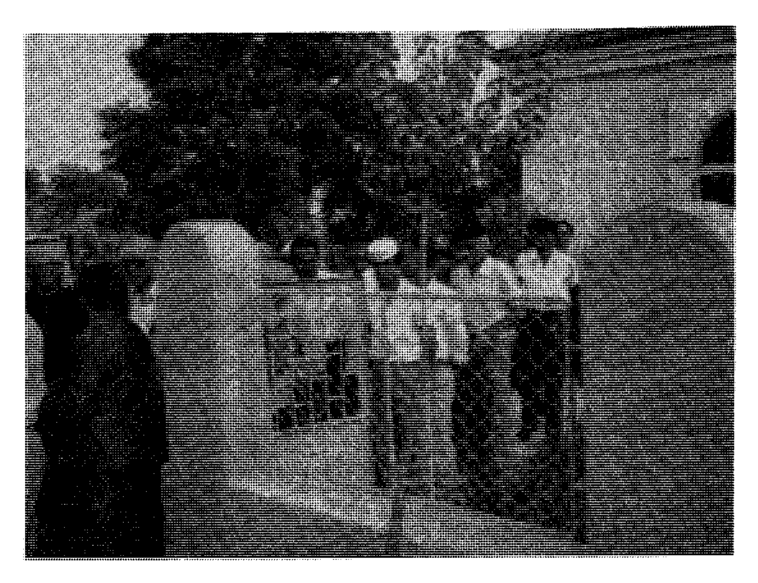
وفي بيته صور حديثة وتماثيل صغيرة.

ومن أهم الصور التي عنده صورة للحجر الأسود ثمينة، لأنها قديمة نادرة.

ومما تجدر الإشارة إليه أنهم انقطعت صلتهم بالحج منذ أن استولى الشيوعيون على الحكم في البلاد، ولا يحج منهم إلا من ندر.

وحدثنا الإمام الأخ (عثمان عبد العزيز) عن نفسه، فذكر أنه تخرج في معهد الأئمة في رومانيا عام ١٩٦٥م، وأن ذلك المعهد أغلق بعد هذا التاريخ، لأن الحكومة زعمت أنه لم تعد هناك حاجة إليه.

وذكر أنه الآن في الخامسة والأربعين من عمره، وله ابن اسمه إقبال، عمره (١٤) سنة، و(٣) بنات.



السور الخارجي لمسجد (تكرقل)

وقال بزهو واعتزاز: لقد كان لي شرف أداء العمرة في عام ١٩٧٧م، كنت مع المفتي وشخص ثالث في زيارة للكويت، فأدينا العمرة في مكة المكرمة، وزرنا المدينة المنورة، وكل ذلك بمساعدة وزير الأوقاف في الكويت.

ثم أسرع يقدم القهوة وهي تشبه القهوة التركية، إلا أنها أقل منها سكراً.

وفي الرصيف أمام بيت الإمام شجرة من أشجار التوت الأحمر مثمرة، وقد لوث ما سقط من ثمرها رصيف الشارع فلونه بلون أحمر، ولا يزال بعض الثمر فيها مع أننا الآن في شهر يوليو، وقارنت ذلك بشجرات من شجرات التوت الأحمر الموجودة في بيتي في بريدة، وهي تبكر في الإثمار، ويينع ثمرها مبكراً، أظن ذلك لا يتأخر عن شهر مايو، وذلك من أجل أن البرد يذهب من عندنا سريعاً بالنسبة إليهم.

وقد أعطينا طفلاً عندهم (٦٠٠) لي، فشكروا ذلك وأعظموه، مع أنه لا يساوي إلا (١٢)دولاراً أمريكياً، ولكن هذا المبلغ عندهم كبير، حتى المترجم المسيحي (جورج) استكثره عليهم.

إلى صنغاليا:

ودعنا الأخ الإمام ووالده وابنه، وغادرنا (تكرقل) أو بحيرة التفكر، إلا أن الرائحة المنبعثة من البحيرة التي سميت البلدة باسمها لم تفارقنا بسرعة، فصرنا نشم منها رائحة تشبه الكبريت، وقد أخبرنا المرافقون أن ذلك ناشئ بالفعل من وجود ينابيع من المياه الكبريتية داخل البحيرة، وأن الناس يستشفون بها من بعض الأمراض الجلدية لهذا السبب.

ثم وقفنا على شاطئ البحيرة غير بعيد من القرية التي كنا فيها وذلك لرؤية البحيرة التي هي واسعة، ورأينا بعض الناس يطلون أجسادهم بترابها الأسود الذي يشبه الحمأة، يستشفون بذلك.

ومررنا بمستشفى مرت له فترة كان من أشهر مستشفيات العالم، وذلك

من شهرة صاحبته ودوائها التي أشيع بأنه يقاوم الشيخوخة، وقيل في أول الأمر: إنه يعيد الشباب، وهو (أتش ثري) لصاحبته الدكتورة (أنا أصلان) التي لا تزال حية، ولكنها في التسعين من العمر، وقد رأينا الناس بأعداد كبيرة على شاطئ البحيرة، وبعضهم يغتسلون بها، وكلهم جاء للاستشفاء فيها، وهي من المصحات العالمية المشهورة لا سيما مصحي فوربا الشمالية والجنوبية.

قرية توزالا:

مررنا بقرية اسمها (توزالا)، أخبرونا أن معنى أسمها (الملحية)، لأن (توز): ملح بالتركية، وفي القرية ١٥٠ أسرة من المسلمين.

وهي بجانب بحيرة ملحة كان الناس يستخرجون منها الملح لشدة ملوحتها، وسميت القرية على اسمها، وقد استقام الطريق بعدها، والجو فيه حرارة ورطوبة لا سيما إذا وقفت السيارة، فأخبرونا أن البرد شديد في هذا العام، وأن درجة البرودة وصلت هنا إلى (٣٠) درجة تحت الصفر، وأن البحر الأسود قد حدثت فيه عواصف وأعاصير مخيفة.

ومررنا بمزرعة لتربية الخيول وهي حكومية على يسار الطريق، وبمصنع لغزل الكتّان على يمين الطريق، وهو حكومي أيضاً، والكتان يزرعونه ثم يغزلونه، ومن المعلوم أن الكتان كانت له منزلة كبيرة في البلدان الأوروبية، لأن الثياب التي تغزل منه تكون سميكة، مدفئة في الشتاء.

هذه منغاليا:

في الثانية عشرة إلا الربع قبيل الظهر كنا ندخل مدينة (منغاليا)، وهي مدينة صناعية، ولكن ذلك ليس الذي جعلنا نذهب إليها، وإنما هو وجود آثار إسلامية باللغة العربية كما قالوا بجانب مسجدها.

واسم مسجدها (مسجد أسماء خان) خلفه مقبرة على شواهدها كتابات باللغة العربية وبالتركية ذات الحروف العربية، منها قبر لرجل ذكروا لنا أنه كان مفتياً ونصها: «الغفور، المفتي علي الأفندي أورجيحون، الفاتحة.

١١٦٩هـ)).



مدخل مسجد منغاليا

ومنها على أحد الشواهد أيضاً: ((هو الباقي، مرحوم ومغفور له المحتاج إلى رحمة ربه الغفور السيد الحاج إبراهيم زاده السيد أحمد أغانك رخنه، رضاء الله تعالى. الفاتحة ١٢١٤هـ)).

ومن المستغرب أننا وجدنا عند مدخل المسجد والمقبرة امرأة مسنة تأخذ من الزوار مبالغ من المال قبل أن تسمح لهم بالدخول، مثل ما عليه الحال في مسجد المحمودية.

أول مسجد وأقدمه:

حدثونا عن هذا المسجد بأنه أول المساجد وأقدمها في رومانيا، فقد بني في عام ١٤٦٠م، بعد فتح القسطنطينية بقليل.

وذكروا هنا بهذه المناسبة أن مدينة إسطنبول لا تبعد عن هذا المكان إلا بـ (٦٥٠) كيلو متراً.

وأقدم حجر منقوش:

وقفنا على أقدم حجر مكتوب عليه تاريخه بالعربية، وهو شاهد على قبر طفل مكتوب عليه تاريخه بالعربية أنه كان في عام ١٠٨٥هـ.



قبر مؤرخ في عام ١٠٦٩ هـ بالعربية في مقبرة منغاليا

ومن الأشياء الغريبة الطريفة في هذه المقبرة أن بعض الشواهد الحجرية قد نقشوا فوقها شكل غطاء الرأس الذي يضعه الميت على رأسه قبل موته، وأكثرها على هيئة عمائم من الحجارة المنقوشة، منحوتة على الهيئة التي كانت يستعملها به صاحبها. قالوا: وتدل تلك الهيئة على مكانة صاحبها في المجتمع، أو رتبته في الجيش إن كان عسكرياً، فمثلاً غطاء الرأس لمن يحمل لقب باشا غيره لمن لا يحمل إلا رتبة أقل من ذلك.

وجميع الكتابات فيها هي بالحروف العربية، وإن كان بعضها معانيه تركية، وهي نفيسة من الناحية التاريخية.

وبعد الاطلاع على هذه الشواهد الحجرية المهمة من الناحية التاريخية أسرعنا بمغادرة بلدة (منغاليا).

ونحن نسير على شاطئ البحر الأسود في منطقة اصطياف سياحية، وقد

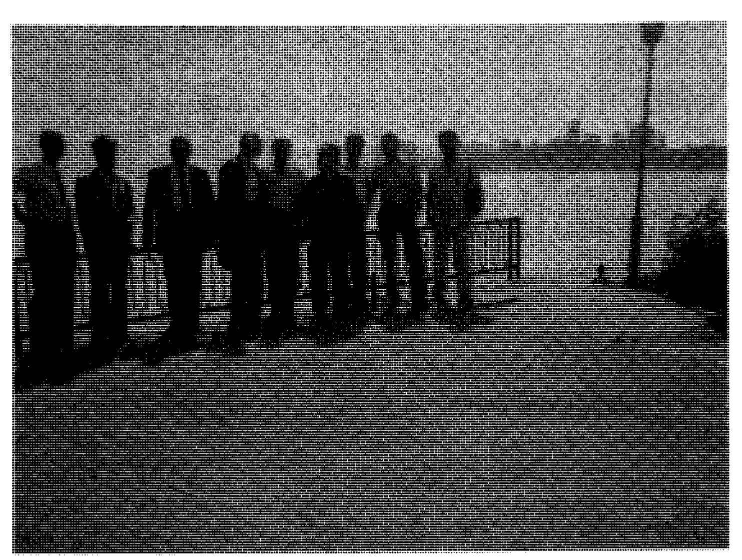
أطلقوا على أماكن في الشاطئ أسماء معينة، منها منطقة (عطارد)، وهو بلغتهم (ساتورم)، وقد جعلوا أسماء الفنادق فيها على لفظ أسماء فتيات مثل(ديانا)، و(نسرينا)، هكذا يسمون باسم نسرين الذي هو اسم معروف في العربية، وهو في الأصل اسم زهرة.



وشاهد آخر عليه الكتابة بالحروف العربية في منغاليا

وبعد منطقة عطارد الذي هو أقرب الكواكب السيارة من الشمس، وصلنا منطقة (فينوس)، ومعناها: الزهرة، وهي الكوكب الثاني من مجموعة الكواكب التي تسير حول الشمس، وهو أقرب الكواكب إلى الأرض من تلقاء القرب من الشمس بعد عطارد كما هو معروف.

وقد رأينا المصطافين والسابحين في شاطئ البحر كثير، وذلك لكون الفصل هو فصل الصيف، والمنطقة ساحلية ذات شاطئ رملي جيد.



على شاطئ البحر الأسود مع المرافقين

وهؤلاء السياح السابحون فيهم أجانب وفيهم رومانيون، جاؤوا من داخل البلاد لقضاء العطلة الصيفية على ساحل البحر، وفيهم طوائف من أشقائهم في الشيوعية نسبياً، أي من البلاد التي تجاورهم أو تقرب منهم، مثل المجر ويوغسلافيا وحتى ألمانيا الشرقية.

منطقة المشتري:

والمشتري هو أكبر الكواكب السيارة، وهو أبعد الكواكب السيارة التي كان يعرفها قومنا العرب عن الشمس، ولم يكونوا يعرفون خلفه من الكواكب السيارة كوكباً آخر، ومعروف أن الكواكب بالنسبة إلى قربها إلى الأرض من الناحية البعيدة عن الشمس هي بالتوالي: المريخ، زحل، ثم المشتري.

وقد عرف المتأخرون ثلاثة كواكب لم تكن معروفة من قبل، هي: أورانوس، ونبتون، وبلوتو، وبذلك تصبح الكواكب السيارة المعروفة عندهم تسعة، يعدون منها الأرض على حين إنها سبعة عند المتقدمين، لأنهم لا يعدون منها الأرض، وإنما يعدون منها الشمس والقمر.

ومعلوم أنه عرف الآن أن الشمس ليست بكوكب، وإنما هي نجم عظيم، والنجم هو مصدر للضوء والحرارة، بخلاف الكوكب الذي لا يكون كذلك، وإنما يكتسب نوره من انعكاس ضوء الشمس عليه.

وأما القمر الذي يراد به قمر الأرض، فإن المتأخرين يعدونه تابعاً للأرض، وليس كوكباً سياراً منفرداً بذاته، وذلك لكونه يدور حول الأرض، وليس له مدار خاص به حول الشمس، كما تفعل الكواكب الأخرى.

واسم المشتري عندهم (جوبيتر)، وهذا الاسم الشائع له في اللغات الأوروبية، كما أن المريخ اسمه الشائع في لغاتهم (مارس).

وأسماء الفنادق الواقعة في منطقة المشتري أسموها على اسم الأحجار الكريمة، مثل: فندق الزمرد، وفندق المرجان ... إلخ.

ثم وصلنا إلى منطقة سياحة أخرى على شاطئ البحر أسموها منطقة نبتون، على اسم كوكب نبتون الذي سبق ذكره.

وفنادق الشاطئ هذه ليست وحدها الموجودة في الساحل، وإنما توجد فيه أبنية أخرى مثل عدد من الدارات (الفيلات) إلى جانب أعداد كبيرة من الخيام أحضرها بعض المصطافين، أو استأجروها من السلطات الحكومية التي نصبتها.

ومررنا بعد ذلك بملهى الحصان الأبيض، ذكروا أنه تعرض فيه الفنون الشعبية الخالصة (الفلكلور الشعبي).

وطبيعي أن الوقت هذا ليس وقت عرض، لأنه في منتصف النهار، وإنما كانوا يخبروننا بذلك إخباراً، وكذلك منطقة اسمها (أوليمبك)، فيها غزلان وطيور برية محمية، قد أطلقوا فيها الحيوان البري، وتركوها تعيش كأنما تعيش في جو طبيعي خالص.

وقد اعتنوا بمنطقة الساحل هذه عناية كبيرة، إلا أن القوم من المرافقين

أخبرونا أن هذه المنطقة لا تعيش حياة حقيقية إلا مدة خمسة شهور في السنة هي أيام الصيف وما قرب منه من الأيام الأخرى، وبقية السنة يهجرها الناس حتى لا يكاد يوجد فيها أحد لشدة البرد.

وقد وقفنا عند مجموعة فنادق غير كبيرة في موقف أسموه (بانوراما) بمعنى المنظر العام، ولم نجد شريطاً للمصورة هنا ولا بالدولار.

وقد حدثنا الإخوة الذين معنا أن زيارتنا هذه لبلادهم هي أول زيارة يقوم بها وفد إسلامي من المملكة العربية السعودية، ولذلك يعتبرونها زيارة تاريخية كما قال الأخ ممثل (دار الفتوى) الذي يرافقنا في منطقة كونستانتا وهو (علي بوبتشو) نائب رئيس هيئة شؤون الأديان فيها، وكذلك الأخ الشيخ رجب مفتي يوخارست الذي رافقنا فيها.

وقد حل موعد الغداء فتغدينا نحن والمرافقون لنا منهم، وهم خمسة: ثلاثة منهم مسلمون، واثنان من غير المسلمين، وكان الشيخ المفتي قد أراد أن يرافقنا في الجولة مجاملة لنا فامتنعنا من ذلك لأنه كبير السن ومريض، ويصعب عليه الحركة.

هذا ولباس الجميع هو اللباس الرسمي المعتاد في هذه البلاد، وهو اللباس العالمي المسمى بالإفرنجي، مع أنه لم يبق لباساً للإفرنج وحدهم، بل صار لباساً عالمياً يلبسه من غير الإفرنج في العالم، ومنهم أهل اليابان، وبلاد الشرق الأقصى، وأهل الهند ممن يفوق مجموعهم مجموع الإفرنج، ولم يعد لبسه مما يستدل به على أن لابسه من الإفرنج كما هو ظاهر.

جلسة المباحثات الرسمية:

عقدنا جلسة مباحثات رسمية في السادسة من مساء اليوم مع الجانب الروماني الذي منه المفتي، والحاج عبد اللطيف شرف الدين مستشار دار الإفتاء، والحاج عثمان عزيز إمام مسجد تكري كول، وكانت جلسة مشهودة من رجال الحكومة المرافقين لنا في هذه الزيارة إلى محافظة كونستانتا، والذين

كانوا معنا من بوخارست.

وقد حضر المفتي ومعاونه، بل حضر اثنان من دار الفتوى، ولكن كان المفتي أقلهم كلاماً، كما حضرها معهم من الجانب الروماني المترجم (جورج سيرريسكو)، والمفتش جورجي كريستويو والمستشار في شؤون الأديان، والشيخ (رجب صالح) مفتي بوخارست وإمام جامعها.

وقدمت لهم باسم رابطة العالم الإسلامي عرضاً بأمور عديدة، منها:

أ-المساعدة على تعمير المساجد.

ب- إرسال المرشدين في أمور الدين الذين يمكن أن يرشدوا أئمة المساجد والقائمين بالدعوة في هذه البلاد.

ج- تخصيص منح دراسية لطلبة من أبناء المسلمين هنا، تتكفل رابطة العالم الإسلامي بالإنفاق عليها من حين مغادرتهم لهذه البلاد بتذكرة من الرابطة حتى عودتهم بعد إكمال دراستهم إليها بتذكرة عودة من الرابطة، وما بين ذلك مما يحتاج إليه الطلبة.

د- إرسال كتب إسلامية باللغة التركية، وكذلك كتب قليلة باللغة الرومانية.

هـ- إعادة فتح معهد الأئمة والخطباء الذي أغلق بسبب قصور النفقة كما بلغنا، مع أنه كان المعهد الوحيد في رومانيا الذي يتخرج فيه أئمة المساجد وخطباؤها، وإذا استمر الحال على ما هو عليه الآن فإن معنى ذلك ألا يوجد إمام مسجد مؤهل بشيء من المعرفة اللازمة.

وذكرت أشياء أخرى مهمة مثل تسجيل دار الفتوى في رابطة العالم الإسلامي، ودعوة المفتي وبعض العاملين فيها لحضور الاجتماعات والمؤتمرات الإسلامية التي قد تقام في مكة المكرمة وفي غيرها، ومن جانبهم الاهتمام بوضع ترجمة صحيحة لمعاني القرآن الكريم إلى الرومانية بالتعاون ما بين دار الإفتاء الرومانية من الناحية الفنية وبين رابطة العالم الإسلامي من ناحية النفقة المالية.

ولاحظت أن المفتي وغيره على قلة كلام المفتي يوجهون كلامهم عندما

أسألهم عن شيء إلى المفتش جورجي، كأنهم يستلهمون منه الحوار، وهو كذلك يجيب عنهم في بعض الأحيان.

وقال المفتي: أشكركم، ولم يقل إننا موافقون على ما ذكرتم، بل لم يعط أي رأي في ذلك.

وقال أيضاً: إننا نود أن تبقوا معنا، ونحن راضون جداً بوجودكم في بلادنا.

والغريب أن المفتش جورجي قال لنا: انقلوا ما رأيتم في بلادنا من دون زيادة أو نقص، وقال: ليس معنى ذلك أننا نخشى من الخطر على ديننا، ففي عهد الأتراك لم يكن هناك خطر على ديننا فكذلك الآن؟

وتكلم أحد معاوني المفتي فقال: إننا نريد منكم أن تساعدونا في مشكلة تواجهنا عندما نفكر في الحج، وهو أن الخطوط الجوية الرومانية لا تصل إلى جدة، وإنما تصل إلى الكويت، ونحن ندفع للخطوط قيمة تذاكر السفر بالعملة الرومانية إلى المكان الذي تصل إليه طائراتها، ولا نستطيع أن ندفع بالعملة الصعبة من الكويت إلى جدة، لأننا لا نملك العملة الصعبة اللازمة لذلك.

فقلت له: إن هذا الأمر متعلق بالخطوط السعودية والكويتية، ورابطة العالم الإسلامي لا تدفع تذاكر السفر لفقراء المسلمين، لأن عددهم مئات الملايين، والحج لمن استطاع إليه سبيلاً، والاستطاعة فسرها العلماء بأنها الزاد والراحلة، وتذكرة الطائرة هي من الراحلة، لأنها تدفع للطائرة التي تنقل الناس إلى الحج، وإنما تدفع الرابطة تذاكر الحج لضيوفها الذين تستضيفهم للحج وعددهم محدود، ويمكن لكم أن تتقدموا بطلب الاستضافة إذا أردت، مع أننا سنقيد ذلك عندنا ونلاحظه بأن ندعو من لم يسبق له أن حج من أئمة المساجد هنا، ويمكن أن يكون ذلك بمعدل ستة أو سبعة أشخاص في العام، وإن كان العدد لا بد أن ينقص بعد المرة الأولى، لأن عدد أئمة المساجد عندكم ليس

بالكبير في الوقت الحاضر.

ثم أعلنت لهم أرقام المساعدات التي سنقدمها الآن بحضور هؤلاء الموظفين في الدولة ودار الفتوى، ليعلم الجميع كيفية مصارفها، وأنها تخص أموراً ثقافية خالصة، وليست لها أغراض سياسية، ولا نريد أن تصرف في أشياء سرية.

إلا أنهم اختلفوا مع رجال الحكومة الذين قالوا إنه لا ينبغي أن يتسلموا المساعدة بأنفسهم، وإنما تودع في حساب دار الإفتاء في البنك الوطني.

ثم أحصوها كلها كتابة، ولم نشأ الاعتراض المباشر على ذلك، وإلا فإن فيه إجحافا للمسلمين، لأن المصرف الوطني سوف يحتسبها بالصرف الرسمي للدولارات الذي يقل كثيراً عما يصرف به الدولار في السوق الحرة، ولم نستطع أن نفعل شيئاً إزاء ذلك، لأننا لا نستطيع أن نقول لهم علناً وأمام موظفي الحكومة إن عليكم أن تصرفوها في السوق السوداء، كما أننا لا نستطيع أن ندفعها لهم سراً لأننا مراقبون من الحكومة، ولو فرضنا أننا استطعنا ذلك، فإننا لا نضمن أن تصرف في محلها إذا كانت سرية لا يعلم بها أحد.

يوم الثلاثاء ١٩٨٥/٧/٣٠م

العودة إلى بوخارست:

دفعنا لفندق (ناسونال) الذي ننزل فيه أجرة غرفنا للواحد (٤٢) دولاراً أمريكية بالعملة الصعبة، كما دفعنا للشخصين الرومانيين اللذين جاءا معنا من بوخارست، وهما المترجم جورج، والإمام رجب (٣٨٠) لي، وهما معاً في غرفة واحدة، ويساوي ذلك ستة دولارات ونصفاً للاثنين.

وهذه عادة عندهم في كل البلدان الشيوعية أن تكون الأسعار للأجنبي أكثر من المواطن بأضعاف مضاعفة، ومع ذلك لا يكاد المواطن يستطيع دفع هذا المبلغ الضئيل لقلة دخولهم وتدني قيمة العملة في بلادهم، ومن ذلك أننا كنا ندفع للمطعم ثمناً للوجبة المعتادة في الغداء أو العشاء (١٤) دولاراً أمريكية، وحوالي ١٠٪ من ذلك للمرافقين.

انقسام الوفد:

يبلغ عدد الإخوة أعضاء وفد الرابطة الذي أرأسه ستة، طلبت من (٣) منهم وهم (محمد شاه حبيب الله)، وعبد الرحمن الرويشد، ورحمة الله بن عناية الله أن يذهبوا بطريق البر إلى بلغاريا من منطقة دوبرجه التي فيها كونستانتا، وتسمى دوبرجه الرومانية إلى منطقة دوبرجه البلغارية، ليطلعوا على أحوال المسلمين في القرى التي يستطيعون أن يتجولوا فيها، ثم يذهبون إلى العاصمة صوفيا، أما أنا ومعي الشيخ عبد الرحمن بن عوين، والأستاذ إبراهيم الخزيم فنعود إلى بوخارست، ونستكمل الاطلاع على رومانيا، وكذلك يستكملون هم الاطلاع على أحول المسلمين في هذه المنطقة، ووعدناهم يوماً معيناً بعد ثلاثة أيام، وكنا حجزنا بالطائرة من بوخارست إلى صوفيا عاصمة بلغاريا، وعرفناهم بوقت الوصول لا لكي يستقبلونا بالمطار، وإنما لكي يرسلوا من يستقبلوننا إن وصلوا قبلنا، ووجدوا من يجرؤ على ذلك (وقليل ما هم).

والمشكلة في أن سفارة بلغاريا لم تمنحنا إلا (٢٤) ساعة بمثابة المرور

ببلغاريا، لذلك لا يمكن لنا أن نعمل كلنا شيئاً مفيداً في هذه المدة، فرأينا أن يعمل كل فريق منا في جهة من الجهات، ويكون لنا اجتماع في العاصمة، ثم خرجنا من محافظة كونستانتا على سيارتنا المعهودة وهي الحافلة الصغيرة ومعنا المرافقان المترجم جورج، والإمام رجب.

وعند حدود المحافظة كنا نمر بنهر الدانوب الذي شقت منه قناة مائية تصل ما بينه وبين البحر الأسود، والنهر هنا كبير متسع، وذلك لكونه تصب فيه عدة روافد قبل أن ينتهي به المطاف إلى البحر.

هذا وقد وقفنا عند محطة لبيع المحروقات، فرأيت صفوفاً من السيارات تنتظر دورها، مع أن السيارات قليلة عندهم بالنسبة إلى البلدان العربية.

هذا وقد لاحظت كثرة البط البري الذي لو كان موجوداً عندنا لما تركه الناس هكذا، وإنما خرجوا لصيده، غير أن الشعب هنا مشغول بما هو أهم لديه من الصيد، إضافة إلى القيود التي تضعها الحكومة على اقتناء الأسلحة.

مقصف آدم وحواء:

المقاصف والمقاهي قليلة على الطرق في البلدان الشيوعية، بل إنها تعدم في كثير من الأحيان، أو أكثر الأحيان، ولكن رومانيا تتسم بشيء من المرونة في تطبيق المذهب الشيوعي بالنسبة إلى بعض القيادات الشيوعية المتشددة، مثل أنور خوجه ورفاقه في ألبانيا.

ومن ذلك أننا وجدنا بعد البحث، أي بعد أن تطلبنا مقصفاً أو مقهاة، فلم نجد على الطريق إلا مقصفاً اسمه آدم وحواء، وبلغتهم (آدام أيفا).

وجدنا المقصف بجانب قرية ريفية على الطريق، كان أول ما فعله مرافقونا الدخول إلى الحمامات فيه، فوجدوها قذرة مهملة مثل الحمامات وأماكن قضاء الحاجة في البلدان الشيوعية الأخرى.

وحتى باب المرحاض فإنه لا يغلق، لأن مغلاقه فسد، فلم يجد من يصلحه.

وهـذه المنطقـة وهـي ريفيـة ليسـت علـى نهر، لذلـك حفـرت الحكومـة آبـاراً ارتوازية لإسالة المياه جهة البيوت، ورأيت النسـاء ينقلـن المـاء مـن صنبـور في الخـارج إلى بيوتهن بالسطل.

وقد اشتد الحر في النهار، لأن المنطقة لم ينزل عليها مطر، وقـال المترجم جورج: ربما تصل درجة الحرارة اليوم إلى (٤٠) درجة، مثلما عليه في الرياض.

ثم عدنا إلى بوخارست وقضينا بقية اليوم في راحة في الفندق.

يوم الأربعاء: ١٩٨٥/٧/٣١م

إلى منطقة سينايا:

و(سينايا) كأنها منسوبة في لغتهم إلى (سينا)، فهم يقولون إنها مسماة على اسم سيناء في مصر التي ورد ذكرها في القرآن الكريم: ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء...﴾

وهم يعظمون سيناء لوجود دير (سانتا كاترينا) فيها.

وعلى ذكر الأديان نقول: إن أغلب أديان الناس على وجه العموم هنا هي: أرثوذكس، وتبلغ نسبتهم إلى باقي السكان ٨٠ ٪.

وقال المترجم: يبلغ عدد سكان رومانيا الآن (٢٢) مليوناً، منهم (١٩) مليون مؤمن، و(٣) ملايين ملحد، وتبعد المنطقة (سينايا) عن العاصمة بوخارست (١٣٠) كيلو متراً جهة الشمال.

ويرافقنا في هذه الرحلة مستشار في البطريركية الأرثوذكسية اسمه (تودور الكسندرو) ويعمل في كنيسة يسمونها كنيسة القديس دي متري، وهو مسؤول عن العلاقات الخارجية في الكنيسة الأرثوذكسية الرومانية.

وادي براهوفا:

غادرنا مدينة بوخارست في الصباح، فوصلنا أول الأمر إلى منطقة يسمونها (فالي براهوفا) ومعناها: وادي براهوفا، ويجري فيها نهر سيبس (براهوفا).

وهذه المنطقة هي التي اكتشف فيها البترول لأول مرة في رومانيا، وذلك في وقت مبكر، حتى قالوا إنه انتفع به هنا وفي أمريكا في وقتين متقاربين، وذلك في أول القرن الحالي.

وقد نضب البترول الآن لكثرة استنزافه، كما أن المنطقة استهدفت إبان الحرب العالمية الثانية من الطيران الأمريكي، لأنها كانت بيد هتلر، فخربت

هذه الغارات الجوية أكثر المنشآت اللازمة لتصفية البترول، فضلاً عن استخراجه. هذا وكان الحديث مع الخوري عن شؤون هذه الديانة وعلاقتها بالمسلمين وغيرهم، مما جعلنا لا نتحدث كثيراً عن هذه الأرض الرومانية التي صار الطريق فيها يشق ريفاً أخضر مزروعاً بحقول واسعة، وبخاصة زهور عباد الشمس الذي يستعملون الزيت الذي يعصرونه منه في الطهي والأدم، وثفله علف جيد للدواجن من الطيور ونحوها، وكذلك هناك حقول واسعة من القمح الحصيد.

وكل هذه الحقول مملوكة للدولة.

وتبدو المنطقة على شيء من الجفاف من الأعشاب والهواء، رغم وجود نهرين صغيرين فيها، وبعض البحيرات غير الواسعة.

هذا والطريق لا بأس به، وهو ذو اتجاهين أحدهما للسيارات الذاهبة إلى العاصمة والثاني للآيبة منها.

واسترعى انتباهي فيه وجود خيل صفر بجانبه، ودجاج سارب أيضاً.

ومررنا بمصفاة للنفط على يسار الطريق، ذكروا أنها تعمل الآن بما لا يزيد على ٣٥٪ من طاقتها الأصلية، وذلك لنقص النفط في آبار المنطقة، بل وفي رومانيا كلها.

ثم وصلنا إلى مدينة (لويست)، وهي عاصمة منطقة (فالي براهوفا)، وتبعد (٦٠) كيلو متراً شمال بوخارست، وهي مشهورة بالنفط في البلاد، حتى سماها بعضهم بعاصمة النفط، ومن المفارقات أننا رأينا صفاً طويلاً من السيارات ينتظر عند محطة لبيع الوقود، وهو طويل إلى درجة أن بلغ طوله ألف متر، كل ذلك في انتظار الحصول على مقدار قليل من النفط بثمنه المحدد.

ذكروا أن البقية من نفط رومانيا تبيعه الحكومة في الأسواق الخارجية من أجل الحصول على العملة الصعبة التي تحتاجها الحكومة لأغراض أخرى، ومن أهمها سد الديون الخارجية التي ترزح تحتها.

وقد تجولنا في مدينة النفط هذه، فوجدنا أكبر أبنيتها وأكثرها ظهوراً كنيسة كبيرة بنيت قبيل الحرب العالمية الأولى، وفي أسواقها فلاحون يبيعون ما أنتجته مزارعهم، كل واحد يبيع ما يحصل من مزرعته بنفسه، ولا يعطيه آخر لئلا يكون ذلك من باب التجارة التي يقصد منها كما يزعمون استغلال الآخرين، مع أن الفلاحين يبيعون ما لديهم بموجب التسعيرة الحكومية التي حددتها لهم.

ونوه المرافقون بهذا على اعتبار أنه تطور في الرجوع عن الأخذ بالشيوعية الكاملة التي تجرد المرء عن الملكية إذْ قالوا: إن ما يحصلون عليه من ثمن لما يبيعونه يكون لهم، غير أن الحكومة تأخذ منهم ضرائب معينة، وشاهدنا في المدينة عدة أشياء مهمة، منها قصر الثقافة، ومخزن حكومي ضخم للبضائع، وفندق (سنترال هوتيل)، وميدان مهم رأينا فيه امرأة تكنسه بمقشة وهي واقفة، مما ذكرني بالكناسات اللاتى يكنسن الشوارع في الصين الشيوعية، وزحاماً عند محطات الحافلات، وربما كان ذلك بسبب كثافة السكان في المدينة (٢٥٠) ألف نسمة، وحديقة فيها مقاعد غير فاخرة، و(طابور) عند قطع التذاكر في محطة القطار، ومن أهم ما رأيناه فيها مصنع لصنع الحفارات التي تحفر الآبار الارتوازية العميقة، وهناك الأبنية الحكومية العالية التي تؤلف من شقق سكنية تبنيها الدولة، وتؤجر الشقق التي فيها لموظفيها والعاملين معها، وبعضها تبيع شققها على الناس شرط ألا يملك الرجل أكثر من شقة واحدة له ولأسرته كما سبق ذكره، ومررنا بـ (معهد البترول والغازات)، وبميدان سباق الخيل.

خط العرض الخامس والأربعون:

وقفنا عند نصب نقش عليه التنويه بأننا الآن تحت خط العرض الخامس والأربعين شمال خط الاستواء بالضبط، ويسمى المكان (باراليلا) ويبعد عن العاصمة بوخارست بـ (٧٠) كيلو متراً.

وقد أحسسنا بالحر الشديد في هذا المكان، وذلك لكون الشمس قد

ارتفعت، ولذلك لم نستبعد ما ذكره لنا المترجم جورج اليوم من أن درجة الحرارة قد تصل إلى (٤٠) درجة مئوية، وقال: إنها قد تصل أحياناً في شهر يوليو هذا إلى (٤٢) درجة.

وبجانب خط العرض هذا بئر قد ركبوا عليها مضخة ترفع منها النفط، وكان النفط يخرج منها في السابق دون حاجة إلى المضخة، وإنما بقوة الضغط من الأرض.

وذكر المرافقون أن هذه البئر قديمة، ربما يصل عمرها إلى ستين سنة.



لوحة خط العرض ٤٥ في رومانيا

لم نقف طويلاً عند خط العرض الخامس والأربعين، لأن خطوط العرض هذه مثل خطوط الطول ليست خطوطاً حقيقية، وإنما هي اصطلاحية تبين موقع المكان من الأرض، أو كما عبر بعضهم عن خط الاستواء الذي هو أساسها الذي تقاس به خطوط العرض بأنه خط وهمي.

ومررنا بمصنع للمطاط، حيث تصنع فيه إطارات السيارات.

وتطرقوا عند الإحساس بالحر الشديد هنا إلى الجو في الشتاء، فذكروا

أن برده قارص، وأنه لا يمكن للمرء أن يعيش في الشتاء دون تدفئة، وتكون بالغاز، أو بالحطب، وهو أرخص عندهم من الغاز.

محل سقوط الرائد:

أشار المرافقون باهتمام إلى موضع وصلناه قائلين: هنا مسقط أول رواد الطيران الرومانيين بطائرته، ومات وذلك في عام ١٩٠٦م.

قالوا: وكان صنع طائرته بنفسه من الخشب، وطار بها فاصطدم بأحد الجبال هذه، وأشاروا إلى جبال كنا مقبلين عليها فسقط ومات.

وهذا التاريخ المبكر في عمر الطيران لم يكن فيه بنو قومنا يعلمون بأنه يمكن أن يطير الإنسان بآلة، إذْ لم يكن بلغهم ذلك، ولو بلغهم على هيئة خبر لما صدقوا به.

وأذكر بهذه المناسبة ما حدثنا به بعض الثقات من أهل بريدة أن اثنين من أهلها من تجار الماشية الذي يسمونا (عقيلا) رأيا طائرة واحدة في فلسطين، فعجبا من ذلك أشد العجب، وعندما وصلا إلى بريدة أخذ أحدهما يحدث أول مرة بأنه رأى صندوقاً يطير، هكذا عبر عن الطائرة لأنها أشبه بالصندوق المستطيل، ولم يدر كيف يسميها، وكان ذلك في مجلس حافل فاستنكر المستمعون إليه قوله، وقالوا: هذا غير صحيح، فلما رأى منهم التكذيب قال: أنا رأيتها ومعي فلان اسألوه، فأسرعوا يسألونه فقال لهم: أنا لم أشاهد شيئاً من هذا، وهنا استبدت بصاحبه الحيرة وقال له على انفراد: لماذا تنكر شيئاً رأيته أنا وأنت، وتيقنا من رؤيته؟

فقال صاحبه: يا هذا، أتريد أن يقول الناس عني: إنني كاذب أو مختل العقل مثلما يقولون فيك الآن؟

ومع أن هذه حجة واهية، وأنه لا يجوز له إنكار الواقع، فإن هذا هو ما أداه إليه اجتهاده.

ملتقى النهرين:

وصلنا إلى حيث يلتقي نهر (براهوفا) الذي تقدم ذكره بنهر (دفتانا)، حيث يمتزجان ويصبحان نهراً واحداً يذهب إلى منتهاه في نهر الدانوب العظيم الذي تنتهي إليه معظم أنهار المنطقة.

ونهر (براهوفا) هنا نزر المياه، مع أن مجراه عريض، ومع ذلك رأينا طوائف من الناس على شاطئه يتمشون كما لو كانوا على شاطئ البحر.

وهنا بدأت الجبال، ونوهوا بأن في هذه الجبال مياهاً معدنية مفيدة للصحة، تعبأ في زجاجات وتباع في الأسواق.

ووصلنا إلى قرية اسمها (كومارنك) تبعد عن مدينة (بوخارست) (١٢٥) كيلو متراً، وفيها مصنع إسمنت، ربما كان بعض إسمنته يصدر إلى بلادنا، إذْ كان الإسمنت الروماني معروفاً بالجودة عندنا، وكنا نستهلك منه مقادير كبيرة قبل قيام مصانع الإسمنت العديدة في بلادنا، وقد ضاق الطريق عندها، ومع ذلك كثرت سيارات الشحن الكبيره فيه، لأنها ذاهبة إلى منطقة صناعية هناك.

وقد صار الطريق يباري جبلا ضيقاً يسير في لحفه، ويشرف عليه الجبل الذي جللته أشجار الغابات من جهة، كما يشرف الطريق نفسه على واد ضيق يحس من يمر به بأن الطريق خطر من التدهور، أو سقوط شيء من حجارة الجبل عليه.

قويطير رومانيا:

تسمى العامة في بلادنا الماء الذي ينزل قليلاً بمعنى أنه كالذي ينضح من الجبل بالقويطير، على لفظ تصغير القاطور، ويوجد في عرض الجبال أماكن عندنا فيها مثل ذلك الماء ولكنها قليلة، وبعضها يجف إذا تأخر المطر، إلا أن واحداً منها قرب مدينة بريدة في ناحية الوطاة لا ينقطع ماؤه أبداً، وكان هو المصدر الوحيد لماء الشرب في أوقات الأزمات قبل التطور الاقتصادي الأخير في

بلادنا، ترده السباع والطيور تشرب منه، ويرتوي منه الناس، وبخاصة من يكونون مسافرين يحملون ماءه للسفر، وقد ذكرته في كتاب ((معجم بلاد القصيم)) الذي طبع في ستة مجلدات.

لقد ذكرت القويطير هذا عندما وقفنا عند نبع من جبل ينقط منه الماء، ويتجمع عنده أناس يشربون ويحملون منه الماء، كما نفعل نحن في (قويطيرنا).

وذكروا أن الذين يمرون من أهل السيارات يقفون فيتزودون من مائه.

وقد التقطنا فيه صوراً تذكارية، ورحت أسألهم عن هذه الجبال التي تجللها الغابات أفيها وحوش مفترسة، أو حيوانات غير أليفة؟

فذكروا أن فيها القط البري، وهو الوحشي الذي يوجد في بلادنا، ويسمى عندنا (التفه)، وهذه تسمية عربية فصيحة له، وقد ذكرتها مع شواهدها في كتاب ((معجم الألفاظ العامية)).

وفيها الثعلب والذئب، مع أنها تظل ثالجة لخمسة شهور من السنة، وفيها أيضاً الغزال، وقد رفعت الحكومة لافتة تتضمن مساعدة الحيوان في الشتاء، لأن بعضه إذا استحكم الثلج ولم يجد ما يأكله قرب من الطرقات، فيحتاج إلى إعانته بالغذاء.

الوصول إلى سينايا:

في الساعة الواحدة ظهراً كنا ندخل بلدة (سينايا).

كان أول ما شاهدناه منها كنيستين ظاهرتين، ومصنعين حديثين، وأناساً كثراً أغلبهم من السياح الذين جاؤوا لمشاهدة هذه المدينة التي كانت مصطافاً لملوك رومانيا في القديم، لكونها جبلية لطيفة الهواء.

ورأينا فيها أبنية قديمة غريبة الطراز، ربما كان ذلك لأننا لم نألف أطرزتها.

قصدنا (دير سينايا) أي (دير سينا) مباشرة، وقرأنا كتابة عليه تقول:

((تعالوا للصلاة))، فكأنما تنادي من يمر به أو قريباً منه إلى الصلاة فيه.

استقبلنا عنده رجل من رجال الدين المسيحي اسمه (يورينودوي)، ذكروا انه مسؤول عن متحف الدير، وعليه ثيابه الرسمية السود التي أعلاها يشبه الجبة السوداء.

دير سيناء:

حدثنا الرجل عن تاريخ (دير سيناء) هذا أنه بني في عام (١٦٩٥) ميلادية، بناه الأمير (فيلاقيا ميخاييل سانتا كوز ينو)، وقد بناه على غرار (دير سانتا كاترين) في جبل سيناء في مصر، وهو على شكل مربع فيه بيوت الرهبان.

ومن الغريب فيه منظر صور رهبان أخبرونا أنها تمثل عندهم شهداء فيما أسموه المحكمة التي تكون يوم القيامة.

وصورة ملونة محفورة قالوا إنها لموسى وهارون.

وفي البهو الداخلي محاريب وطيقان - جمع طاق - كالتي كانت توجد عندنا في نجد، وهي عقود هلالية الشكل أو مثلثة من الحجارة، تحمل الجدار القصيرَ الذي تحت خشب السقف، ولا شك في أنها بقايا من فن قديم عندهم جاء إليهم من الأندلس.

ثم أرونا وهم يجولون بنا داخل هذا الدير التاريخي غرفة العشاء، هكذا أسموها، وليس غرفة الطعام في منزل كبير الرهبان، وقال المترجم: إنه شيخ الرهبان.

وبعدها أرونا المصلى الرئيسي في الدير، وكان قاعة للطعام وفي داخله رسوم وصور قديمة متآكلة، ولم ترمم، وآثار الشموع التي كانت توقد فيها قد اسودَّ دخانها ما حولها.

ومن أجل أن يوضح لنا المترجم (جورج سيرريسكو) كيف يتردد الصوت في قاعة الصلاة هذه أذن بصوت جهوري قائلاً: الله أكبر، الله أكبر، فتردد

صداه في أنحاء القاعة.

ذكروا أن هذا الجزء، ويريدون به قاعة الصلاة هذه، أعدت هكذا في عام ١٧٩١م، وأن جزءاً من الدير كان الأتراك قد دمروه، ولكن أعيدت عمارته بأسلوب معماري آخر هو أسلوب العمارة القوطي، مع أن أساسه روماني الطراز، والمراد بالطراز الروماني هنا طراز البناء الذي كان يعرفه ويستعمله الرومان الذين كانوا يسكنون في إيطاليا، وليس سكان هذه البلاد التي تسمى الآن (رومانيا)، فهذه تاريخها متأخر وأصل البلاد أنها كانت للجنس السلافي الذي كان مؤرخونا يسمونهم الصقالبة، أخذاً من اسم لهم قديم (السكلاف).

وقد غزا الرومان هذه البلاد السلافية واحتلوها، واستمر فيها أخلافهم حتى الآن، وأسموها رومانيا لهذا السبب، مع أن من بين سكانها أناساً باقين من أهلها السلاف الأصلاء، وهم اختلطوا مع الرومانيين.

ولذلك نرى لغة رومانيا لغة لاتينية، وهي فريدة في هذا الأمر في المنطقة. إذْ تحيط بها دول ذات لغات ليست لاتينية الأصل، ولكن تباعد لغة رومانيا، أو لنقل لهجتها عن اللغة الأم، وهي الرومانية جعلها تؤلف لغة خاصة بها، كما هي عليه الحال بالنسبة للغات الإسبانية والبرتغالية والإيطالية التي هي كلها لاتينية الأصل كما هو معروف.

وفي ناحية من هذا الدير قبر، ذكروا انه لأحد رؤساء رومانيا الذي جمع بين الحرص على وحدة رومانيا والحرص على السلام في منطقة البلقان بأجمعها.

مائدة الغداء:

هذه الزيارة لسينايا رتبتها وزارة شؤون الأديان في رومانيا في برنامج زيارتنا، لتثبت لنا وهي تقول: إننا من رجال الدين الإسلامي أن عندهم رجالاً ومؤسسات دينية مسيحية من أجل أن تبعد عن نفسها تهمة القضاء على الأديان التي سارت عليها الأقطار الشيوعية الأخرى، ولا سيما المتعصبة منها مثل ألبانيا.

وقد استجبنا للزيارة، لأنها تعطينا فرصة الاطلاع على ما عندهم، إلى

جانب السياحة المعتادة في البلاد، وكان من بين ما وضعوه في البرنامج مأدبة الغداء هذه، والقوم هنا في هذا الدير بالذات هم من أهل الكتاب الذين يحل لنا طعامهم.

وقد أخبرونا أنهم يعرفون أننا لا نأكل ما قرب منه لحم الخنزير، ولذلك طمأنونا على أن الطعام ليس فيه شيء من ذلك، وعلى مائدة حافلة جاء الغداء أطباقاً بعضها يتبع بعضاً، وجرت خلاله أحاديث عن أوضاع عامة لا تمس السياسة، بل لا تقترب منها، وأوضاع دينية خاصة في هذه البلاد، وقد استغرق تناول الغداء وقتاً أكثر من المعتاد، بدؤوا بوضع السلطة على المائدة، ثم أحضروا معها الجبن وما يسمى (البابا غنوج) وعماده الباذنجان كما هو معروف، وهو من مقبلات الطعام، ثم جاءوا بحساء من الخضرات، وجاء الصحن الرئيسي من الدجاج والمكرونة، ومعه نوع أخرى من السلطة، وأخيراً الحلوى.

وبعد انتهاء الغداء أهدوني لوحة فيها حديث في صفة النبي ﷺ مؤرخة في عام ١٢١٨هـ.

وهي بلا شك نسخة مأخوذة من أصل صنعه مسلمون.

وقد حدثنا رئيس الدير الذي كان يتولى بنفسه الترحيب بنا على اعتبار أنه مضيفنا عن ماء الحياة وعن طول العمر في الزمن القديم، وأن ذلك ممكن الآن.

وكنيسة الدير:

يشتمل هذا الدير على مساكن لرجال الدين المسيحي وغيرها، ويشتمل الآن في جانبه على كنيسة لها مدخل مستقل، بحيث يستطيع من يريد أن يدخلها من غير بوابة الدير أن يفعل ذلك.

أخذونا في تطواف عليها استكمالاً للمعلومات، ولكونها فاخرة البناء والأثاث.

وتشتمل من الداخل على صور كثيرة، بل إن كل ما فيها يكاد يكون الصور، ولا شيء غيرها، حتى إن فيها صورة لشيخ من المسلمين داخل قبتها العالية مع سائر الصور.

وقد عجبنا من إسرافهم في زخرفة الكنيسة، فذكروا أن سبب ذلك أنها بنيت في الأصل ليصلى فيها ملك رومانيا عندما يأتي إلى هذه المنطقة لقضاء فصل الصيف فيها.

وقد كتب على الكنيسة تاريخ بنائها كتابة واضحة، وهو ما بين عامي ١٨٤٢ و ١٨٤٦م، وذكروا في الكتابة أنها رممت ترميماً كاملاً في عام ١٩٠٠م.

وهذه الرسوم التي في الكنيسة رسمها فنان دانمركي معروف، مما يدل على العناية بها.

والكنيسة ليست كبيرة، ولكن كل ما فيها مموه بالذهب، وهو المطلي بطلاء ذهبي خفيف، والمراد أنه مطلي من معدن من الذهب، وليس بشيء آخر له لون الذهب، ومن ذلك الأثاث الخشبي من مقاعد وغيرها.

وفيها ثريا فاخرة ذكروا أنهم جلبوها من فيينا عاصمة النمسا، وأنهم أناروها بالكهرباء قبل غيرها من الثريات في كنائس رومانيا، فصارت بذلك أول ثريا منارة بالكهرباء في البلاد، وعلى حائط الكنيسة سجادة معلقة فيها صورة تمثل المسيح عليه السلام في قبره - على حد زعمهم - ،ونوهوا بأنها كان في الكنيسة ثلاثة نواقيس كبار من الحديد، أخذ الألمان واحداً منها إبان احتلالهم للبلاد على عهد هتلر في الحرب العالمية الثانية، وعملوا منه طلقات نارية، وبقي اثنان منها فيها حتى الآن.

وكانت آخر فقرة في زيارة هذا المكان التاريخي رؤية (متحف الدير)، ولم نجد فيه ما يتناسب مع تاريخه وأهميته عندهم، إذْ أكثر ما فيه رسوم وصور ومخلفات مسيحية من صلبان ونحوها، وقد عرضوا أشياء أخرى مهمة مثل بعض النقود الرومانية، إلا أنني لم أرهم عرضوا فيها نقوداً عثمانية، مع أن

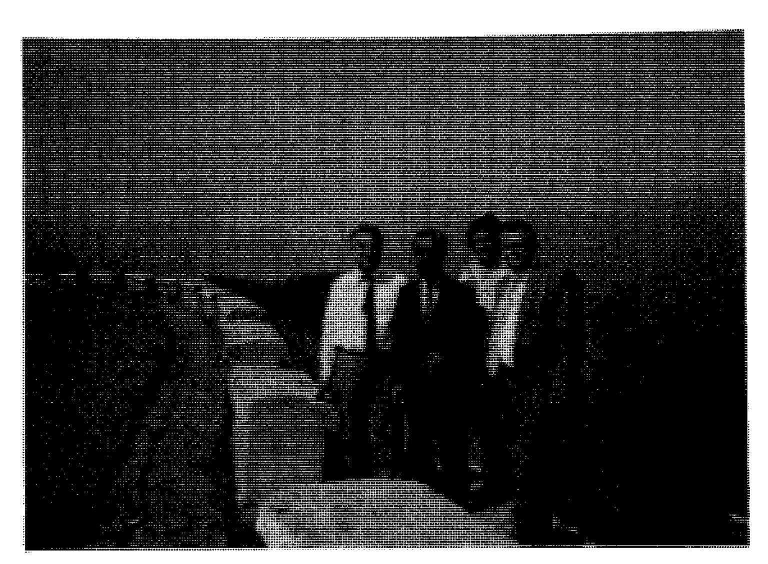
الأتراك حكموا هذه المنطقة مدة طويلة.

صعود للجبل العالي:

ودعنا أهل الدير وكلهم من رجال الدين عندهم، وإن كان دينهم مرفوضاً وموصوفاً رسمياً هنا بأنه دين لا يصلح للحياة، كما تردد ذلك وسائل الإعلام الشيوعية التي تحكم بلادهم.

وكان في البرنامج صعود جبل عالٍ يرى من هذا المكان لارتفاعه، فالدير يرتفع (٩٥٠) متراً عن سطح البحر على وجه التقريب، وأما الجبل فإنه يرتفع ١٤٠٠متر.

وبدأنا الصعود، فمررنا بنساء من نسائهم قد خلعن ثيابهن إلا الداخلية منها طلباً للشمس، وقالوا: هذا من قلة الذوق أن يفعلن هذا الفعل على قارعة الطريق.



المؤلف في المنطقة العالية في براهوفا مع المرافقين الرومانيين

وارتفعنا مع طريق إزفلتي إلا أنه ضيق، فمررنا بدهليز للتزلج على الجليد في الشتاء، حيث يأتي بعض الناس للتمتع برياضة التزلج على الجليد، أو

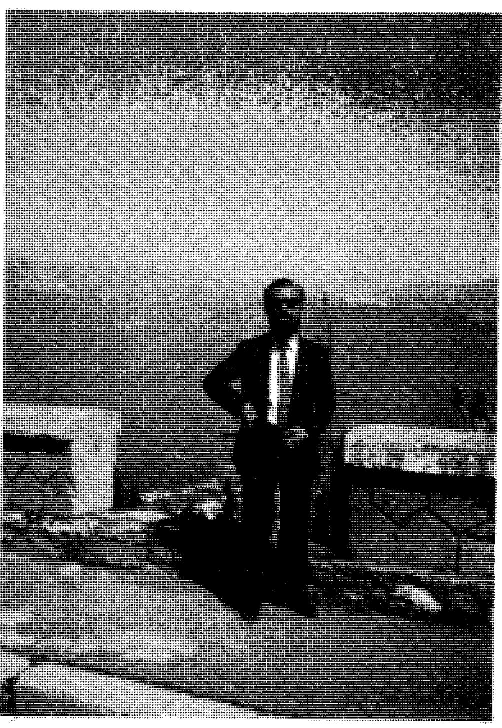
مشاهدة ذلك.

ثم مررنا بعربات الحبال الكهربائية المعلقة التي تصعد للجبل، وهو المسمى بالتلفريك، ويركبه الناس، أما نحن فلم نفعل، لأن سيارتنا معنا، ونحب أن نرى منها المنطقة.

وفي قمة الجبل الذي يصعد إليها الناس للتفرج كانت لنا وقفة من أغرب ما فيها أن الهواء فيها ليس بارداً رغم كوننا في منطقة شمالية، وفي مكان مرتفع وإن لم يكن عالي الارتفاع عن سطح البحر.

كانت أرض هذا المرتفع الجبلي خضراء من أعشاب وحشية، أي أنها نامية من دون أن تزرع، وتجلل الجبل وما حوله غابات كثيفة.

وقد لبثنا فترة قصيرة فيه نتمشى ونتزود من هوائه النقي، نوه المرافقون الرومانيون بنقائه وجودته.



في أعلى منطقة من الأماكن المرتفعة

العودة إلى بوخارست:

بدأنا العودة إلى مدينة بوخارست، وفي العودة لم نكثر من الوقوف لأننا عدنا مع الطريق نفسه الذي جئنا منه إلى (سينايا)، ولاحظنا كثرة الناس الذين يسبحون في البحيرات والأنهار طلباً للتبرد والشمس، وعندما وصلنا إلى مدينة (لويست) الصناعية وقفنا قليلاً، ولكن الحر أزعجنا حتى إننا كنا عندما ركبنا السيارة نغلق نوافذها لئلا يدخل منها السموم الحار، ولا يوجد تكييف في سياراتهم لغلبة البرد عليها، إلا في هذا الشهر يوليو وأيام قليلة من غيره.

وفي السادسة والنصف كنا على أبواب العاصمة بوخارست، وقد اشتد السموم حتى كدت أجعل له عنواناً (سموم بوخارست)، لأنني لم أكن أتصور وجود السموم في هذه البلاد الشمالية الواقعة في المنطقة الباردة.

ومعلوم أن هذا الوقت وهو الساعة السادسة والنصف يعتبر الآن عصراً، وليس أصيلاً لتأخر غروب الشمس في هذه البلاد في فصل الصيف.

حتى في داخل بوخارست نفسها كان الحر بالغاً، ولم يمنع من ذلك وجود الحدائق الكثيرة فيها، وقد تخفف أهلها من ثيابهم حتى كادوا يخرجون من جلودهم.

وتمشية الليل:

ودعنا المرافقين ولزمنا فندقنا المريح الذي كنا فيه قبل الذهاب إلى كونستانتا، وعدنا إليه أمس، وبعد العشاء خرجت مع الأخوين الزميلين في تمشية على الأقدام غير بعيدة من فندقنا الذي يسكن فيه الأجانب في العادة، فرأينا أن السهر عندهم قليل، حتى إن المشارب والمقاصف تغلق كلها عند الساعة العاشرة.

ورأينا الشرطة يستجوبون النساء اللائى يقفن في الشوارع أو يجلسن في الأرصفة، لأنهن يكن في الغالب من ربات السوابق، وربما كن يعملن أيضاً أشياء ممنوعة.

ويذكر هنا أن البغاء ممنوع رسمياً في هذه البلاد، وفي أكثر البلدان الشيوعية، والمراد به البغاء الرسمي، أما الاتصال الشخصي والخاص فإن الدولة لا تمنعه إذا كان لا يقترب من السياسة، والتعامل مع الأجانب تعاملاً لا ترضى عنه الحكومة.

والمتعة في المشي في الليل هي التريض والإحساس بالتخلص من الحر.

وقد رأينا بعض الذين مظاهرهم تدل على الاحتيال، وهم يسألون بأصوات منخفضة عما إذا كنا نريد صرف العملة بالسوق السوداء، وبعضهم يكونون من المحتالين الذين يعطون سعراً مرتفعاً لصرف الدولار، ولكنهم يغشون الأجنبي بإعطائه نقوداً ملغاة، أو قيمتها صغيرة، وذلك لأن إعطاء النقود يكون في مكان معتم بحجة الخوف من الشرطة.

ونساءً فيما حول الفندق يعترضن للأجانب، ولكنهن لا يلححن، يخشين أن تشعر بهن الشرطة.

يوم الخميس ١ أغسطس ١٩٨٥م:

في وزارة شؤون الأديان ثانية:

قبل الساعة العاشرة من ضحى هذا اليوم كنا ندخل ثانية إلى وزارة شؤون الأديان، وذلك بناء على البرنامج الموضوع لزيارتنا.

كان معنا المرافقون من الجانب الروماني، وبخاصة المفتش جورجي، والمترجم جورج.

ووجدنا الدكتور (علي وين بوبسكو) نائب وزير شؤون الأديان، وبعض كبار موظفي الوزارة، وكان معي عضوا الوفد الأخوان الشيخ عبد الرحمن بن عوين والأستاذ إبراهيم بن خزيم، وقد دار الحديث فيها على الوجه التالي:

بعد ترحيب من الدكتور علي بوبسكو نائب وزير شؤون الأديان في هذه الوزارة، وردي عليه بالشكر على الترحيب وعلى الحفاوة التي استقبلنا بها من قابلناهم هنا، نوهت بما لاحظه وفد الرابطة من كون الحكومة الرومانية لم تتعرض للمساجد بالمصادرة فلم تضع يدها على أي مسجد من المساجد في البلاد كلها، وهذا أمر ينبغي أن يسجل لها.

وهذا يجعلنا نأمل بأن الحكومة الرومانية سوف تساعد المسلمين في المستقبل على تقوية ثقافتهم الدينية الإسلامية، لأن تقوية الثقافة الإسلامية هنا ستكون سبباً قوياً لتدعيم الصلات الثقافية ما بين رومانيا وبين الأقطار الإسلامية.

ونحن في رابطة العالم الإسلامي نعتبر أن أي بادرة طيبة تجاه الإخوة المسلمين، أو تجاه الثقافة الإسلامية هي بادرة طيبة تجاهنا، ونسجل للحكومة الرومانية أي مسعى في هذا السبيل في المستقبل.

ثم تحدث الدكتور علي بوبسكو الروماني وأشار إلى أنه قد اطلع على المعلومات عن زيارة وفد الرابطة إلى كل من كونستانتا والمنطقة الجبلية، ثم

أضاف إلى أنه على الرغم مما يتعلق بالحالة في رومانيا، حول وجود هذه الديانة الإسلامية، فهي تتمتع بمثل غيرها من الديانات الأخرى هنا، وأشار إلى ما يقدم لها من دعم مالي كرواتب بعض الأئمة، وبناء بعض المساجد الجديدة إن وجدت، كما أشار إلى الصعوبات التي تلاقي هذه الديانة (يقصد الإسلام) وهي قلة الشباب الإسلامي، وضرورة إعادة تدريب وتعليم بعض الكوادر الإسلامية، وأشار إلى أنه سبق أن وجدت مدرسة لتأهيل الأئمة، ونظراً لعدم وجود متدربين أقفلت المدرسة، وأشار إلى أنه إذا رأت دار الإفتاء الرومانية إعادة فتحها فلا مانع من ذلك، وأضاف قوله إنه وبكل صدق نفضل أن نرسل بعض الأئمة إلى خارج البلاد على منح دراسية لمسلمي رومانيا، حيث يتعلمون اللغة العربية والعلوم الدينية، ويأملون أن تكون هذه المنح في المدينة المنورة.

ثم شكر الرابطة على ما تقدمه من خدمة للحجاج الرومانيين، كما شكر الحكومة السعودية على السماح لهم باللقاء بمعالي وزير الحج والأوقاف في المملكة ووكيل وزارة الخارجية السعودية، وكرر شكره للرابطة على خدمة الحجاج وتسهيل سفرهم، ثم أشار إلى تعاطف الحكومة الرومانية مع المسلمين الرومانيين، كما أشار أيضاً إلى اهتمام الحكومة الرومانية بتطوير العلاقات مع الدوال الإسلامية، وأضاف إلى أنه لم يكن هناك أي علاقات مع الدول الإسلامية منذ عشر سنوات مضت، حتى مع تركيا، وأضاف إلى أنه قد زار كلاً من الكويت والأردن والسعودية، ويأمل زيارة كل من البحرين والإمارات وقطر، ويأمل أن تساعده الرابطة بالحصول على التأشيرات اللازمة لهذه الدول.

ثم أشار إلى موضوع ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الرومانية للتعريف بالقرآن الكريم إلى الشعب الروماني المسلم وغير المسلم.

ثم عقبت على حديثه وعلى النقاط التي تطرق إليها، وأوضحت أن الرابطة لا تطلب من أي جمعية أو دولة أن تكون ضد رومانيا، وكل الذي تعمله هو زيادة العلاقات الثقافية والدينية مع الإخوة المسلمين في هذه البلاد، وقلت: إن

الرابطة ترحب كثيراً وتشجع على افتتاح المعهد الإسلامي، وأبديت لهم استعداد الرابطة للمساعدة على إعادة افتتاح المعهد سواء بإرسال المدرسين أو بتعيين مدرسين من هنا، ودفع جميع رواتبهم إذا كانت تتوفر فيهم الشروط والمؤهلات المطلوبة، أو إرسال عدد من الطلاب الرومانيين المسلمين للدراسة في إحدى الدول الإسلامية كمصر وتونس والمغرب، كما أعلنت لهم استعداد الرابطة لتقديم خمس منح دراسية لأبناء المسلمين، تتكفل الرابطة بجميع مصاريفهم من رواتب وتذاكر سفر ومصاريف دراسية.

أما موضوع التأشيرات لبعض البلدان الإسلامية، فقد قلت: إنكم تعلمون أن الرابطة هي منظمة غير سياسية، ولكنها تبذل أحياناً مساعيها الحميدة لتسهيل اتصال المسلمين بعضهم ببعض، وعليه ينبغي أن تكتبوا للرابطة برغبتكم هذه، حيث سنحاول إجراء الاتصالات مع الحكومات المعنية للحصول على التأشيرات المطلوبة لكم.

وقد شكرنا الدكتور علي لوبسكو على المنح التي قدمناها للطلبة الرومانيين المسلمين، وأشار إلى أن هذا العرض يخدم المسلمين من رومانيا، واستفسر عن كيفية تقديم الطلبات، فأجبناه بالتالي:

١- تقديم شهادتهم الثانوية، ويفضل الذين يدرسون اللغة العربية والعلوم الدينية ممن تربوا تربية إسلامية جيدة.

٢- أو تقديم شهادة الكفاءة، ثم دراسة الثانوية العامة في الدولة المعينة لدراستهم الجامعية، وقلت: إن المعهد الإسلامي في مدينة سراييفو في يوغسلافيا، وكذلك في مدينة بريشتينا معروفان، وأن بالإمكان التعاون معهم في تأهيل أبناء المسلمين خلال المرحلة الإعدادية.

انتهى الاجتماع بشكرهم رابطة العالم الإسلامي على ما تقوم به من خدمة الإسلام والمسلمين في العالم..

مع المدير العام لوزارة الخارجية:

وفي الساعة الحادية عشرة من صباح هذا اليوم الخميس ١٩٨٥/٨/١م التقى وفد الرابطة بالمستر (مارسل ديفو) المدير العام لوزارة الخارجية الرومانية بناء على دعوة الأخير لوفد الرابطة لمناسبة وجود الوفد في رومانيا، حيث كان يعمل المدير العام المذكور كمدير للدائرة الرابعة المهتمة بالدول العربية والإسلامية.

وبعد أن عبر المدير العام لوزارة الخارجية الرومانية عن شكره وتقديره لرئيس وفد رابطة العالم الإسلامي لاستجابته لهذه الدعوة، وأشار إلى أنه يلتقي بي لأول مرة، فإنه سيقدم شرحاً يوضح فيه عمل الدائرة التي يعمل فيها، ثم يجيب على أي سؤال قد يطرحه الوفد.

وقد عقبت على كلام المدير العام لوزارة الخارجية الرومانية بشكره على الترحيب وعلى الاستقبال الجيد، وقلت: إن الوفد ليس من وزارة الخارجية السعودية، ولا يمثل الحكومة السعودية، وإنما هو وفد من رابطة العالم الإسلامي التي تهتم بالأمور الخاصة بالمسلمين في أنحاء العالم، ولا تشتغل بالأمور السياسية والعلاقات بين الدول، وقلت:

مع كوننا لسنا من وزارة الخارجية السعودية فإننا من رعايا المملكة العربية السعودية، ويسرنا بصفتنا تلك أن نستمع إلى ما يقوله الجانب الروماني عن أحوال المسلمين في هذه البلاد، وما يتعلق بذلك من العلاقات بين رومانيا والبلدان الإسلامية، ثم ذكرت ما رآه الوفد في المدن التي زارها، والمساجد التي لم تتعرض لها الحكومة الرومانية، وأوضحت أهمية المسجد للمسلمين، وكررت سرور وفدنا لمحافظة المسلمين على مساجدهم، حيث إن الحكومة الرومانية لم تتعرض للمساجد، كما علم الوفد أن الحكومة تدفع رواتب لدار الإفتاء الرومانية، ولأئمة المساجد، وهذا يجعلنا نطمع في أن تزيد الحكومة الرومانية من مساعدتها للمسلمين هنا.

وقلت: إن أية معاملة ودية للمسلمين في هذه البلاد هي بلا شك تعتبر بادرة ودية تجاه المسلمين في العالم كله، ثم أكدت على دور رابطة العالم الإسلامي وما تقدمه من خدمة كبيرة للمسلمين في كل أنحاء العالم، وقلت: إن رابطة العالم الإسلامي لا تتدخل في الشؤون السياسية الداخلية للدول، ولكن تعمل في الشؤون الإسلامية والتعاون بين المنظمات الإسلامية في العالم الإسلامي، بدون أن يكون لهذا غرض آخر.

ثم عاود المدير العام لوزارة الخارجية الرومانية الحديث، فأشار إلى أن دستور رومانيا يعطي الأديان جميعها الحرية بصرف النظر عن مسلم أو مسيحي أو يهودي إلخ. وأشار إلى أن المسلمين في رومانيا نوعان، أحدهما من البلاد نفسها، والآخر من رعايا البلاد العربية والإسلامية من دبلوماسيين أو طلبة، فعدد الطلبة الأجانب في رومانيا قرابة العشرين ألف، نصفهم أو أكثر من ذلك قليلاً من الدول العربية والإسلامية، ومن جميع الجنسيات تقريباً، وقال: هذا دليل على تطور العلاقات الثنائية بين الدول العربية والإسلامية من جهة ورومانيا من جهة أخرى.

ثم تحدث عن أمله بأن تزداد العلاقات الثقافية والاقتصادية مع الدول العربية والإسلامية، وأشار إلى تاريخ العلاقات التجارية مع الدول العربية ورومانيا حيث أشار إلى الخشب الروماني الذي استعمل في بناء السد العالي في مصر، قال: إن أول كتاب مسيحي باللغة العربية طبع في رومانيا ١٩٠٢م، كما نوه بأول خط مباشر يجري بين مدينة كونستانتا والإسكندرية، ثم أوضح أن رومانيا لها علاقات سياسية واقتصادية مع جميع الدول العربية والإسلامية ما عدا المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة وقطر والبحرين.

ثم ذكر أن الرئيس الروماني قد قام بزيارة عدد كبير من الدول التي تربطها علاقات اقتصادية وسياسية وثقافية برومانيا، وأشار إلى أن رومانيا تلتزم التزاماً صارماً بمبدأ السيادة الوطنية للدول، والتساوي في الحقوق، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية، وعدم استعمال القوة لحل النزاعات.

وقال: إن الالتزام بهذه المبادئ لا شك سيقوى العلاقات مع الدول العربية والإسلامية، وأضاف بان رومانيا ترحب بالزيارات على مختلف المستويات، ثم أشار إلى حجم التجارة مع الدول العربية وقال إنها تبلغ حوالي ١٥٪ من إجمالي حجم الصادرات الرومانية، ومن الدول التي تستورد من رومانيا بحجم كبير العراق وسوريا ومصر وليبيا والجزائر، بالإضافة إلى دول أخرى إلا أن حجم استيرادها قليل.

وقال: إن رومانيا قامت بمشروعات كثيرة في البلدان العربية، فمن ذلك مصفاة للبترول في سوريا في مدينة بانياس سعتها ٦٠٠.٠٠٠ ألف طن، ومجمع للأسمدة في حمص، ومصنع إسمنت في حلب، أما في العراق فإن رومانيا تقيم الآن مصنعين للإسمنت، وبعض الخطوط الكهربائية، ويعمل في العراق نحو ١٠.٠٠٠ عامل روماني رغم ظروف الحرب القائمة بين العراق وإيران.

وقال: في مصر أنشأنا مصنعاً للإسمنت في مدينة أسيوط، وفي ليبيا نشارك في إنشاء مشاريع الري وصناعة الحديد والصلب.

أما في الأردن فنعمل في مجال التنقيب عن البترول، وفي المغرب أنشأنا ميناء على المحيط الأطلسي، وشاركنا في صناعة الإسمنت وخطوط الكهرباء. فهذه أمثلة للتعاون الاقتصادي بيننا وبين الدول العربية، أما مع الدول الإسلامية فهناك علاقات اقتصادية مع إيران وباكستان وبنغلاديش.

ثم تحدث المدير العام في وزارة الخارجية الرومانية عن موقف بلاده من الحرب العراقية الإيرانية فقال: إنه منذ بداية الحرب وموقف رومانيا العمل على إيقاف النار، وانسحاب الجيوش داخل الحدود التي وجدت قبل الحرب بينهما، وحل المشكلة بالمفاوضات السلمية، كما أننا نشجب الحرب الكيميائية وتدمير المدن والقرى، والمعاملة السيئة للأسرى، وأضاف: إن شرط إيران بالإحاطة بالرئيس العراقي الحالي صدام حسين هو شرط غير معقول، وسابقة خطيرة، بل ظاهرة خطيرة، وهو خرق لمبدأ عدم التدخل في العلاقات الدولية، لأن معناه أن تتدخل الدول في شؤون الدول الأخرى طالبة تغيير حكامها

ورؤسائها، وقال: إنه من الملفت للنظر أن الإيرانيين لا يرفضون وجهات النظر العامة هذه لإيقاف الحرب نظرياً، إلا أنهم يرفضونها عملياً.

ثم تطرق إلى المشكلة الفلسطينية وموقف رومانيا الداعي إلى إقامة دولة فلسطينية مستقلة كحل أولي، كما قال: ونطالب إسرائيل بالانسحاب لحدود ٦٧م لضمان السلام والحياة لجميع دول المنطقة، ثم أشار إلى أنه أول مرة التقى فيها الرئيس الروماني بالسيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية في عام ١٩٧٢م في القاهرة، ثم تكررت اللقاءات، وافتتحت المنظمة في بوخارست مكتباً (دائماً)، وهو سياسي ذو حصانة دبلوماسية في عام ١٩٧٤م كأول مكتب في أوروبا كلها لمنظمة التحرير الفلسطينية.

وعرضت رومانيا موقفها من القضية الفلسطينية على رؤساء الدول العالمية المعنية بحل هذه المشكلة، ويتلخص في حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، وإقامة الدولة الفلسطينية، وأضاف: إن رومانيا لم تقم بتوجيه النقد إلى الاتفاق الأخير بين ياسر عرفات والملك حسين، لأننا لن نكون أعلم من الفلسطينيين بمشكلتهم، وأي خطوة نحو السلام لا بد من الاستفادة منها.

وأشار المدير العام إلى أنه يرى أن الحل المناسب في الوقت الحاضر أن يعقد مؤتمر دولي تشترك فيه جميع الدول المعنية، مثلاً الفلسطينيين وأمريكا والاتحاد السوفيتي وإسرائيل، والبلاد التي يمكن أن تساهم في حل مشكلة النزاع القائم.

وقال: أحب أن أوضح أن اشتراك الاتحاد السوفييتي نابع من نظرة واقعية من أنه لا يمكن استبعاد الاتحاد السوفيتي كقوة عالمية كبرى، كما يقترح الرئيس الروماني إشراك دول أخرى مثل الدول الخمس في مجلس الأمن التي تملك حق الفيتو، وتسهم في الجمعية العمومية للأمم المتحدة، كما يمكن إشراك دول عدم الانحياز في هذا الحوار، وبعض الدول العربية التي قد يكون لها دور مميز في مشكلة القدس، مثل المملكة العربية السعودية، وأيضاً دول السوق الأوروبية المشتركة.

وقال: على هذا الأساس فالاشتراك الدولي لحل هذه المشكلة يجب أن يتم بدون شروط مسبقة، وتناقش جميع الخطط بداية بمشروع القمة العربية في فاس، والمقترحات الأخرى العربية والغربية.

ثم أشار المدير العام لوزارة الخارجية الرومانية إلى أنه ومع ذلك لا يمكن حل هذه المشكلة بسرعة، بل لابد من ممارسة بعض الضغوط الأمريكية على إسرائيل كعملية مستمرة لفتح بعض الآفاق في الطريق إلى الحل.

وأشار المدير العام إلى أنه متفائل (وكذلك متحفظ)، وقال: فيما يتعلق برومانيا فتوجد الإرادة الحازمة أن تساهم بإيجاد حل لهذه المشكلة، وليس هذا لخلق سمعة رومانيا كقوة سياسية في العالم، بل هي مسألة حيوية، لأن العلاقات مع الدول العربية لا يمكن أن تتوسع كما ينبغي في الوضع الراهن، فالشرق الأوسط بالنسبة لنا (شرق أدنى) لقربه الجغرافي منا، فإذا كان الفتيل قريباً فنحن نعتقد أن المشكلة تمسنا أيضاً.

ثم تطرق لمشكلة أفغانستان، فأوضح أن سياسة رومانيا ضد أي تدخل، كما قال: إننا نقول إنه لا يوجد أي حل إيجابي أو سلبي، وبالتالي لم نوافق على التدخل، وعلى رغم وجود علاقة لنا مع الاتحاد السوفيتي، فإننا لم ندعم تدخل الاتحاد السوفيتي في أفغانستان، كما أنه لم تكتب الصحافة الرومانية ضد أو مع هذا التدخل، بل كنا محايدين.

كما أننا يجب أن نكون واقعيين، في حل هذه المشكلة فالطريق الوحيد له هو الحل السياسي، وانسحاب القوات الأجنبية من أفغانستان، وكذلك وقف الدعم الخارجي للمجاهدين (الذين أسماهم بالثوار)، وعدم التدخل في الشؤون المحلية لأفغانستان، وأضاف: كما أننا نقول إن الشعب الأفغاني يجب أن يحافظ على وحدة بلاده ودستوره كدولة من دول عدم الانحياز.

وأضاف أيضاً قوله: إن لنا علاقات مع حكومة كابل الحالية، إلا انه لا يوجد حالياً أحد من الرعايا الرومانيين هناك، والعلاقات الاقتصادية معهم

ضعيفة جداً، ولا تذكر إطلاقاً، ربما إذا وجدت لا تتجاوز الخمسين ألف دولار سنوياً.

ثم أشار إلى أن هذه السياسة كانت مع حكومات محمد داود، وتراقي، وأمين حفيظ الله، وأخيراً مع بابراك كارميل.

ثم أكد ذلك بقوله: إن موقفنا الذي نكرره هو الحل السياسي مع العلم بأنه توجد هناك مفاوضات غير مباشرة، كما كنا نرحب ونشجع دور الأمين العام للأمم المتحدة، ولكن بكل صدق وصراحة إننا نعرف جميعاً أنه لا يمكن ونحن نتطرق لانسحاب القوات السوفيتية أن الحكومة التي يريدونها أن تصل إلى السلطة لا يمكن أن تكون معادية للاتحاد السوفيتي، بسبب الظروف الجغرافية للجوار والحدود مع هذه الدولة الكبرى (الاتحاد السوفيتي)، وهذا تحليل للسياسة التي تتبعها الحكومة الرومانية، وهذا بالتالي شيء معتاد في عالمنا اليوم.

ثم تعرض المدير العام الروماني إلى الجهود التي قام بها لتنظيم مقابلة بين وزير الخارجية سمو الأمير سعود الفيصل وبين وزير الخارجية الروماني، وقد تمت المقابلة بالفعل في مدينة دلهي في الهند ١٩٨٢م خلال مؤتمر عدم الانحياز الذي عقد هناك.

وقال: إنه بالفعل تم خلال المقابلة حوار مفيد مع سمو الأمير سعود الفيصل، وقال: لا شك في أننا سنكون سعداء بإقامة علاقة مباشرة مع السعودية، وهذا ليس معناه ضغط على أحد بإقامة علاقات مع رومانيا، ولكننا نعتقد أن إقامة هذه العلاقات سيكون سبباً للصداقة والتفاهم، ونأمل زيادة الاتصالات والعلاقات الاقتصادية المباشرة، ونرحب بالزيارات على كل المستويات.

ثم تطرق لمشكلة عبور الطائرات الرومانية الأجواء السعودية في طريقها إلى باكستان، حيث يأخذ طلب السماح وقتاً طويلاً.

وأخيراً قال: لعلي لا أذيع سراً إذا ذكرت لكم بأن سمو الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودية ووزير الخارجية الرومانية اتفقا على أن تكون سفارتا الدولتين في لندن لديها الجواب والرد حول هذا الموضوع، وحول أي موضوع يحتاج إلى بحث ما بين الدولتين.

وقد رددت عليه بالشكر على هذه المقدمة والشرح والتوضيح لسياسة رومانيا حول موضوع أفغانستان، وعن رفضها للتدخل في شؤون أفغانستان. وهذا لا شك شيء طيب، لأنها أكثر شجاعة من بعض الدول التي سايرت التدخل السوفيتي أو سكتت عليه، مداهنة للاتحاد السوفيتي وحرصاً على مصالحها معه.

ثم تطرقت إلى التعليق على ما ذكره من موضوع سياسة رومانيا مع دول الشرق الأوسط، وموقف الرئيس الروماني تجاه القضية الفلسطينية، وسياسة الحكومة الرومانية المستقلة عن الدول الاشتراكية الأخرى، وذلك رغم بعض المشاكل الاقتصادية الصعبة، خاصة بعد الأضرار التي لحقت بها من الزلزال الأخير الذي ضرب المناطق الرومانية.

وقلت: إن سياسة رومانيا تجاه الشرق والغرب لجديرة بالاحترام لاستقلالها في الرأي في كثير من المسائل.

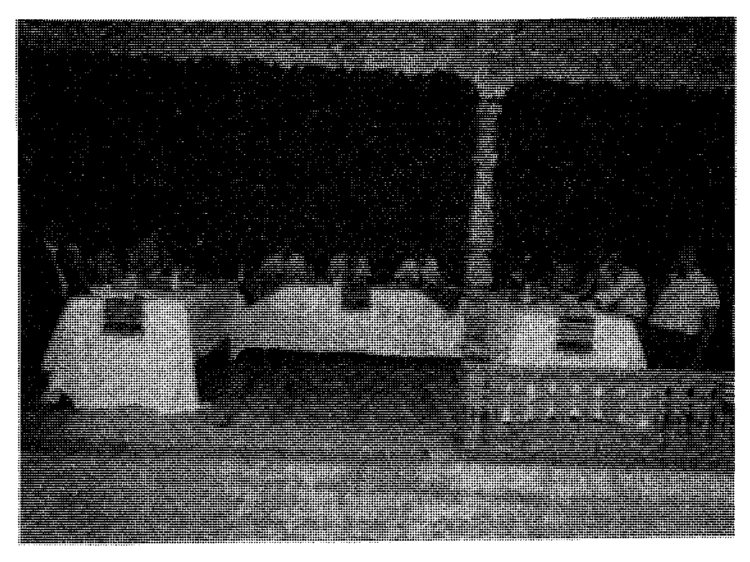
ثم أشرت إلى الاقتصاد فقلت: إن المملكة العربية السعودية تنتهج سياسة اقتصادية حرة، وبعض المنتجات الرومانية موجودة في الأسواق العربية، وكذلك في الأسواق السعودية مثل الأغنام والأجبان والملابس والإسمنت.

ثم ختمت حديثي بشكر المدير العام على هذا الإيضاح للوفد، وبذلك انتهى هذا الاجتماع.

مأدبة رسمية:

في تمام الساعة الواحدة ظهراً كنا نخرج من مبنى وزارة الخارجية بعد أن انتهينا من المباحثات فيها، ونذهب لتلبية دعوة من وزارة شؤون الأديان كانت

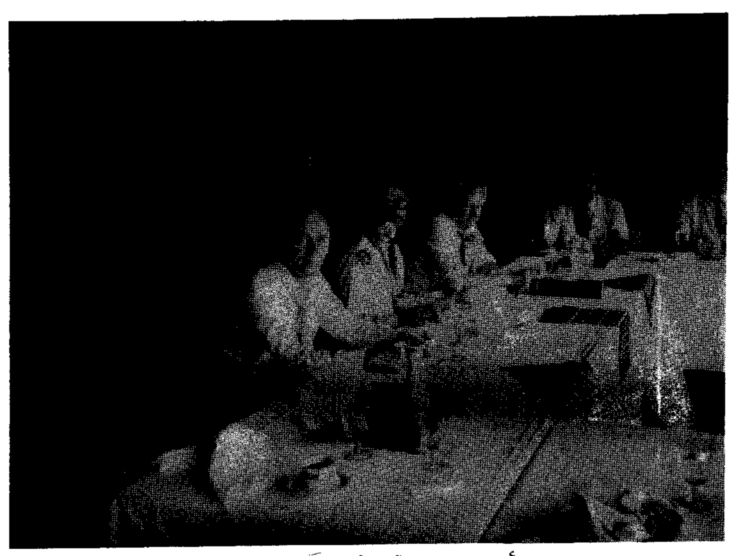
موضوعة في البرنامج، وهي تناول طعام الغداء في مطعم البحيرة.



مكان مأدبة الغداء التي أقامتها وزارة خارجية رومانيا لوفدنا

وهي مأدبة حافلة حضرها المدير العام للخارجية، ووكيل وزير شؤون الأديان والشيخ رجب صالح إمام جامع بوخارست، ولقبه (نائب المفتي في بوخارست)، لأن المفتي الشيخ يعقوب محمد عبد الستار يقيم في كونستانتا كما سبق، وكذلك حضر المأدبة المترجم والمفتش، وعدد من الموظفين. ومطعم البحيرة يعتبرونه من أرقى المطاعم عندهم، وهو حكومي بمعنى أن الدولة تملكه، وإن كانت فتحته لكل من يريد أن يأكل منه ويدفع الثمن، وبخاصة من السياح والدبلوماسيين والأجانب.

وقد قدموا الطعام متأنياً متقطعاً كما يفعل الفرنسيون، وذلك أن الحديث كان يدور أثناء المأدبة في أمور مهمة من أمور هذه البلاد، مع الحرص الشديد على ألا يمس الأمر السياسة الداخلية أو حتى الخارجية المرسومة لها، وإن لم يكن كل من كان على المائدة يستطيعون الاشتراك في الحديث لطولها وامتدادها، إذْ وضعوها على هيئة مربع مستطيل، أحد جوانبه الضيقة مفتوح يدخل منه العمال الذين يقدمون الطعام.



أثناء المأدبة الرَسميه

ولم نجد في طعامهم ما يصح أن يوصف بأنه جيد إلا الشواء، فإنه كان جيداً ولذيذاً، وقد نوهوا بأن كل ما في هذه المأدبة حلال حتى الأشربة لم يقدموا لأنفسهم شيئاً حراماً بسبب وجودنا. والشراب من الماء المعدني الجيد، ومن عصير الفاكهة، وهو هنا عصير الليمون الذي يستوردونه لعدم إنتاج الليمون في بلادهم، وكذلك أحضروا من الشراب المستورد أيضاً (بيبسي كولا)، وفي نهاية المأدبة قدم المطعم لنا هدايا و(مداليات) تذكارية من باب المجاملة، وكان المصورون يلتقطون صور المائدة.

عدنا إلى الفندق الكبير (فندق إنتر كونتننتال) الذي كنا فيه قبل السفر إلى كونستانتا، فاسترحنا فيه قليلاً، وكتبت ما قدر أن أكتب مما تراه هنا.

ثم نزلنا إلى مقهاة الفندق، وهي جيدة في الطابق الأرضي، تحف بها حديقة صغيرة، وفيها ما شئت من شراب جيد، ولا عيب فيها بالنسبة إليهم إلا غلاء الأسعار فيها، لذلك قلما يأتي إليها أناس من أهل البلاد إلا من لهم علاقة بالأجانب، ومن ذلك صرافو العملة بالسوق السوداء.



تذكارية المؤلف بين المدير العام لوزارة الخارجية ووكيل وزارة شؤون الأديان بعد الانتهاء من المأدبة

ولم يكن لدينا برنامج رسمي في آخر هذا النهار، ولا في الليل، لأن برنامج زيارتنا لهذه البلاد قد انتهى ولله الحمد .

وقد تمتعت بهذه السويعات من الإجازة حتى إننا عاودنا التمشي عصراً في المحلات التجارية بصحبة المترجم الفذ (جورج سيرويسكو)، وقد دخلنا طائفة كبيرة من المتاجر، فوجدنا أن البضائع المعروفة فيها رخيصة جداً بالنسبة لمن يصرفون الدولار بالسوق الحرة المسماة بالسوق السوداء، وهي معتادة أو غالية بالنسبة لمن يصرفونه بالصرف الرسمي، وذلك للتفاوت الكبير بين سعريه هذين.

وهذا بالنسبة للأجانب، أما بالنسبة لأهل البلاد فإن السلع كلها غالية لضعف أجورهم، وقلة رواتبهم.

ومن الغريب أنه مع هذا الغلاء بالنسبة لمن يصرف الدولار بالسعر الرسمي ولأهل البلاد، فإنه لا بد من إكرامية أو حلوان، وهو (البخشيش) لمن يبيع عليك من أجل أن ينجز البيع ويبيعك بالسعر نفسه، وإن كان لا يقول لك ذلك فقد

أصبح الأمر عرفاً متبعاً لديهم، حتى في الأماكن المهمة كالفندق الذي لا ييسر لك العاملون فيه أن تتكلم بالهاتف الدولي إلا إذا قدمت بين يدي نجواك حلواناً، وإلا لتعللوا بزحام المكالمات، وبأن الوقت غير ملائم.

ومما ينبغي تذكره أن جميع الباعة والعاملين في المحلات العامة هم من موظفي الدولة التي يتقاضون أجوراً محددة صارت قليلة بالنسبة إلى انحدار قيمة عملتهم، ولذلك لا يهمهم باعوا عليك أم لم يبيعوا، لأنه ليس لهم نصيب فيما يبيعونه، ولكون السلع والبضائع تبيعها الدولة، وغالباً ما تكون أقل مما يحتاجه السوق، فإن الدولة أيضاً لا تشجع حصول المواطنين على بضائع أكثر مما يحتاجونه، لأن الأصل في عرض البضائع أن تفي بحاجة الناس، لا أن تكسب منها الدولة أموالاً كثيرة.

يوم الجمعة ٢ أغسطس عام ١٩٨٥م

جمعة بوخارست:

كان الذهاب إلى جامع بوخارست الذي زرناه قبل ذلك، وصلينا فيه في غير يوم الجمعة بسيارة أجرة (تاكسي) لا يقبل صاحبها أجره إلا بالدولار، لأنه تابع للفندق الذي لا يقدم شيئاً للأجنبي إلا بالعملة الصعبة.

ومع ذلك فإن السيارة لا تحضر إليك إلا إذا أعطيت الحارس في الفندق حلواناً (بخشيشاً) لكي ينادي لك صاحب السيارة.

وقد أخبرنا الخبراء بالبلاد من عرب قابلناهم البارحة في الفندق وأكثرهم من الطلاب أن الأجرة بالدولار ليست لسائق السيارة، وإنما هي للدولة، لأنه هو نفسه أجير عند الحكومة، ولذلك لابد من تقديم حلوان ولو قليلاً له.

هذا وقد احتجت إلى حاشدة صغيرة للمصورة، فلم أجد، فاضطررنا إلى شرائها بالدولار من محل مختص بالبيع على السياح بالعملة الصعبة.

وصلنا إلى (جامع بوخارست) في الواحدة وعشر دقائق، فوجدناه مليئاً بل مزدحماً بالناس، حتى لم نكد نجد مكاناً فيه، وهو صغير، حسبت المصلين في داخله فوجدتهم (٤٢) مصلياً، ولكن الناس صلوا في باحته المكشوفة حتى ملؤوها، وهذا أمر ممكن الآن ومحتمل، ولكن الصعوبة تكون في الشتاء الثالج، حيث لا تمكن الصلاة خارج القسم المسقوف من المسجد، وقد اعتاد الناس في أوروبا مثل بلغراد أن يصلوا صلاة الجمعة ثلاث مرات بالتناوب، وذلك ما وجدتهم عليه عندما زرت يوغسلافيا لأول مرة قبل (١٥) سنة.

والسبب أن المساجد هذه صغيرة، وكل واحد منها هو الوحيد الذي تقام فيه صلاة الجمعة في المدينة التي يقع فيها، ففي بوخارست لا تقام الجمعة في غير هذا المسجد، وفي بلغراد لا يوجد فيها مسجد آخر.

وقد صلى معنا عدد من السفراء المسلمين، منهم سفراء المغرب وغينيا

وبنغلادش والسودان، كما صلى عدد من الأجانب المسلمين ممن لا نعرفهم.

الخطبة بست لغات:

خطب الشيخ (رجب صالح) إمام الجامع الخطبة بست لغات، هي: العربية، والفرنسية، والإنكليزية، والتركية، والألمانية، والرومانية، وذلك لكون المصلين على قلتهم بالنسبة إلى هذه اللغات لا يعرف بعضهم إلا واحدة منها.

ولم يحضر لصلاة الجمعة معنا بعض سفراء الدول الإسلامية ولا الموظفون في سفاراتها، وإلا لضاق بهم المسجد لكثرتهم، وإنما صلى بعض الطلاب العرب الذين يدرسون في هذه البلاد، وأكثرهم جاء للدراسة على منحة من الحكومة الرومانية، إلا أنهم يسكنون بعيداً عن الجامع، لذلك لم يأت منهم إلا القليل.

وليس المراد بالخطبة باللغات الست أنه ذكر كل الخطبة بكل لغة، وإنما كان يفسر بعض الجمل، ويسوق بعضها بهذه اللغات الست.

هذا وقد اتبعوا طريقة غير مألوفة لنا، من ذلك أن المؤذن قرأ قبل أن يبدأ بالأذان الأول سورة الإخلاص (قل هو الله أحد) إلخ ثلاث مرات، إشارة إلى ما ورد في الحديث من كونها تعدل ثلث القرآن، وذلك ليكون كمن قرأ القرآن كله على حد فهمهم، ثم أذن الأذان الأول، فصلوا السنة ثم أذن الأذان الثاني.

كلمة من مكة:

بعد الفراغ من الصلاة نهض الشيخ رجب صالح وألقى كلمة قدمني فيها للحاضرين، وقال فيما قاله: نرجو أن نسمع من فلان - يقصدني - كلمة من مكة المكرمة، فألقيت فيهم كلمة موجزة بلغتهم فيها سلام إخوانهم المسلمين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وركزت في كلمتي على الأخوة الإسلامية، ثم ذكرت ما يجب على المسلمين أن يتخلقوا به من أخلاق الإسلام وآدابه مع الآخرين، وفي المعاملة مع الناس من المسلمين وغيرهم من الصدق والأمانة وإعانة المحتاج.

هذا ومن لطيف ما رأيته أن الإخوة المغاربة هم من بين المصلين الذين حضروا للصلاة، وهم يرتدون الزي الوطني المغربي، وقال الإخوة هنا: إن الوقت الآن هو موسم الإجازات، وإلا فإن عدد الذين يحضرون لصلاة الجمعة كان أكثر.

هذا وقد عقدنا جلسة بعد الصلاة في المسجد، اشترك فيها بعض السفراء المسلمين، وقليل من المصلين من العرب، أخبرناهم بأن رابطة العالم الإسلامي مستعدة للإسهام في نفقات توسعة هذا المسجد، إذا تقررت توسعته، وذلك أنهم أرونا حديقة ومرافق ملحقة به يمكن أن تدخل فيه، لأنه أصبح لا يكفي المسلمين كما سبق.

وقد أخبرونا أن الأمر يتعلق بإذن الحكومة الرومانية، وهي شيوعية نخشى - كما قالوا - أن لا توافق على قطع الأشجار الضخمة في الحديقة المجاورة للمسجد.

فقلت لهم: إنه إذا تقدم سفراء الدول المسلمة بذلك إلى الحكومة الرومانية، فإنه يصعب عليها ألا توافق عليه، ومع ذلك فإن الحدائق والأشجار في شوارع الحي الذي يقع فيه المسجد هي كثيرة بحيث لا يؤثر قطع الأشجار القليلة التي تحيط بالمسجد.

وقد قدمت لهم خمسة آلاف دولار لنفقات المسجد المتكررة، ولغير ذلك من مرافقه.

المسلمون مائة ألف:

كان عدد المسلمين في رومانيا موضع اختلاف من أهل البلاد ومن غيرهم، لأنه لم يجر إحصاؤهم من جهات رسمية موثوق بها، إذ الحكومات الشيوعية لا تحصي السكان بحسب أديانهم، لأنها لا تعترف بالأديان مميزاً للناس، وإنما تحصيهم حسب لغاتهم.

وقد ذكر لنا نائب وزير شؤون الأديان (علي وين بسكو)، وهو يعمل في

جهة رسمية مختصة، بأن عدد المسلمين في رومانيا (مائة ألف نسمة)، مع أن الشائع المسجل لدينا في رابطة العالم الإسلامي أن عددهم في حدود (٨٠) ألف نسمة، والمراد بهذا العدد الإخوة المسلمون الرومانيون دون الأجانب.

ولا شك في أنهم أكثر من (١٠٠) ألف، لأن هناك مناطق مثل منطقة (دبرجه) التي منها مدينة كونستانتا كان جل السكان فيها من المسلمين، إضافة إلى أعداد قليلة يوجدون في المدن والمناطق الأخرى مثل العاصمة، وعلى سبيل المثال نذكر أنهم أخبرونا أن المسلمين في (سينايا) التي زرناها أمس هم (١) ٪.

وهناك آلاف من الطلاب المسلمين في رومانيا، وإن لم يكونوا كلهم في العاصمة، وقدر من سألناهم من أهل البلاد ومن المسلمين العرب المقيمين هنا ومن الطلاب أنفسهم أن الطلاب المسلمين في رومانيا يبلغ عددهم الآلاف، فذكروا أن الطلاب الأجانب في رومانيا يبلغ عددهم ما يزيد قليلاً على (٢٠) ألف طالب حسب الإحصاء الرسمي، وقال الإخوة: إن أكثر من نصفهم هم من الطلاب العرب، وإن المسلمين من غير العرب في النصف الآخر كثير، فيهم الأفارقة والباكستانيون، ولا حظنا أن عدداً من هؤلاء الطلاب جاؤوا إلى رومانيا بنفقة أهلهم، لكون رسوم الدراسة هنا رخيصة جداً بالنسبة إلى نفقات الدراسة في البلدان الأوروبية والأمريكية.

وعلى سبيل المثال عندما تغدينا في مطعم الفندق بعد صلاة الجمعة اليوم لاحظت أن العرب فيه أكثرية من سياح ومقيمين، وهكذا لا يغيب العرب عن كثير من الأماكن التي يرتادها الأجانب في رومانيا.

وكثير من الطلبة العرب يمارسون شيئاً من التجارة القليلة، أهمها الاتجار بالعملة الصعبة في السوق السوداء، يستعينون بذلك على العيش في هذه البلاد.

مغادرة رومانيا:

دفعنا لفندق (انتركونتننتال) ما طلبه منا بالدولار، لكونه لا يقبل من

الأجانب (إلا العملة الصعبة)، ثم ودعنا نائب وزير شؤون الأديان وغيره من الذين كانوا معنا في الفندق، وخرجنا إلى المطار معنا الأخ الشيخ رجب صالح مفتي بوخارست، وإمام جامعها، والمترجم جورج.

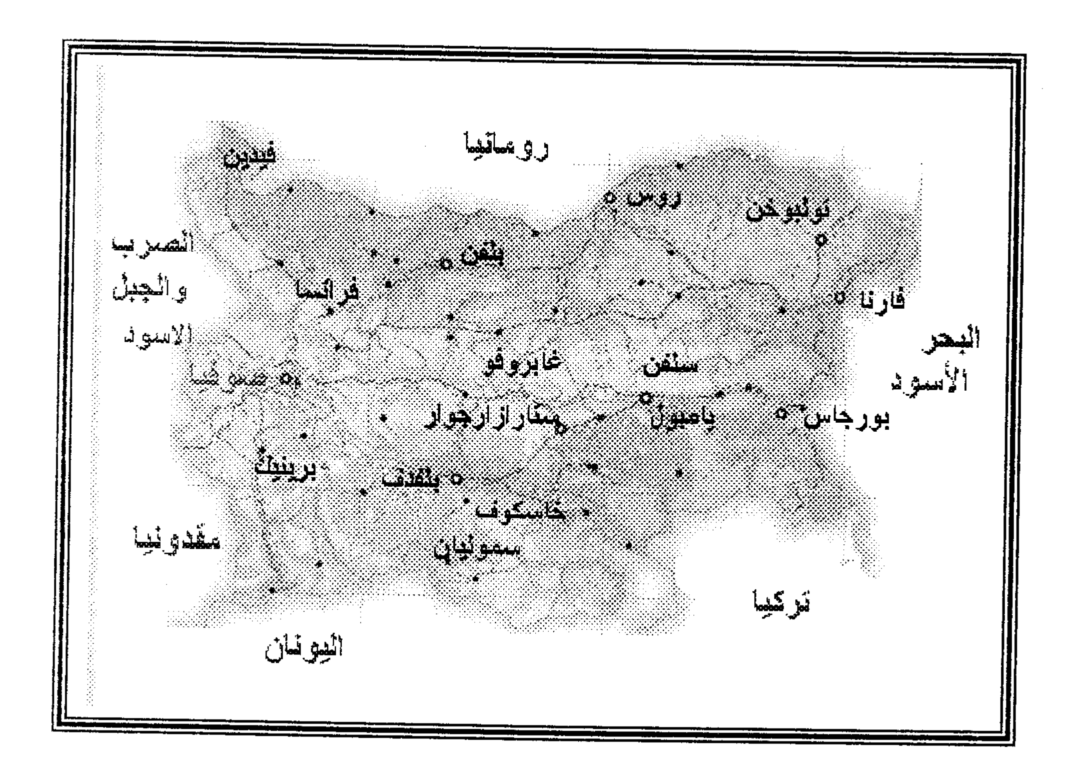
وعند باب الدخول إلى مبنى المطار رأينا شرطياً يدقق في شخصيات الذين يدخلون إلى مبنى المطار، ويمنع غير المسافرين من ذلك، إلا أننا نحن اعتبرونا من ضيوف الدولة ومعنا موظفون رسميون.

أجلسونا في قاعة كبار الزوار (صالون الشرف) في المطار، بينما كان المرافقون يسعون في إنهاء الجواز، وكنا خشينا ألا نتمكن من السفر إلى صوفيا، بسبب الضغط على المقاعد في الطائرة التي فيها جماعات من السياح الأوروبيين، ولكن المرافقين أخبروا الموظفين أننا رسميون من ضيوف الدولة، مع أن الحكومة الرومانية أكرمتنا من جيوبنا، فلم يقدموا لنا أية ضيافة منهم، ولكنهم أعطونا ما هو أهم لدينا من الضيافة المادية، ألا وهو التسهيلات فيما نود الحصول عليه من الجهات الرسمية، ومنها المسؤولون في دار الفتوى، إلى جانب الهداية السياحية، والمحافظة على الأمن، وهذا ما لا يمكن الحصول عليه بالمال.

وقد تيسر الحجز إلى صوفيا ولله الحمد، فودعنا المرافقين شاكرين لهم عنايتهم بنا وخرجنا إلى الطائرة.




بلغاريا


رومانيا
فيدين
روس
تولبوخن
الصرب
والجبل
الاسود
بلفن
فراتسا
فارنا
البحر
الأسود
غابروفو
سلفن
صوفيا
ستارازارجورا
ياميول
بورجاس
برينك
بلفدف
خاسكوف
مقدونيا
سمولنيان
تركيا
اليونان

بلغاريا

مقدمة:

- بلغاريا إحدى دول البلقان، كما أنها إحدى دول أوروبا الشرقية.
- حكمها الأتراك العثمانيون أكثر من خمسة قرون ونصف منذ تم فتحها في عام ٧٩٩هـ - ١٣٩٦م.
- كون البلغاريون مملكة لهم بعد انفصالها عن الدولة العثمانية في عام ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م.
- غزاها الروس واستولى عليها الشيوعيون منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وهي الآن عضو في حلف وارسو.

المساحة والموقع:

- تبلغ مساحة بلغاريا حالياً ١١٠.٩١١ كيلو متر مربع.
- تطل على البحر الأسود من ناحيته الغربية، وتحدها يوغسلافيا غربا، كما تحدها رومانيا شمالاً، وتركيا واليونان جنوباً.
- عاصمتها صوفيا، ومن أهم مدنها: بلوفديف، وفارنا، وروس، وبورغازي.

التضاريس:

جبلية التضاريس إذ تخترقها الجبال غرباً باتجاه الشرق، ففي الجنوب الغربي تقع رودوب التي تحتوي على قمة موسالا التي ترتفع ٢٩٢٥ متراً فوق سطح البحر، ويخترقها نهرا إستروما، ومستا اللذان يصبان في بحر إيجة، كما يقع سهل تراقيا شمال جبال رودب، وتشمل القسم الجنوبي الشرقي لبلغاريا حيث نهر ماري تيزا، ثم تأتي جبال البلقان في الشمال، التي تنحدر إلى سهل الدانوب وحتى نهر الدانوب الذي يشكل الحدود الشمالية.

المناخ:

يتميز مناخها بارتفاع الحرارة صيفاً، حيث توفر جبال بلغاريا حماية لوديانها من الرياح الباردة التي في الشتاء ولذلك تعد بلغاريا من أولى دول العالم إنتاجاً للعطور.

الاقتصاد البلغاري:

- تحتل الثروة المعدنية مكانة بالغة في الاقتصاد البلغاري، حيث تعتبر منطقة الغرب ومنطقة شرق جبال رودب والمنطقة القريبة من البحر الأسود المناطق الثلاث الرئيسية للثروة المعدنية في بلغاريا، فمن منطقة الغرب يستخرج الرصاص والزنك والنحاس والحديد، ويستخرج النفط من المنطقة القريبة من البحر الأسود.
- ونتيجة لهذه الثروة الطبيعية قامت عدة صناعات معدنية ونفطية في كل مكان من صوفيا، وفارنا، وبلوفديف، وسترازاجورا.
- وبجانب هذه الثروة المعدنية يمارس العديد من البلغاريين الزراعة في المناطق الشمالية حيث سهل الدانوب، بالإضافة إلى بعض المناطق الداخلية.
- ومن أهم الحاصلات الزراعية في بلغاريا القمح والشعير والذرة، إلى جانب محصول الفاكهة والورود.
- أما الثروة الحيوانية لبلغاريا فتتمثل في تربية الأغنام والأبقار، حيث قدرت الثروة الحيوانية لبلغاريا حسب إحصاء ١٤٠١هـ بنحو ١,٧ مليون رأس من الأبقار، و ١,٤ مليون رأس من الأغنام، ونصف مليون رأس من الماعز.
- كانت محافظة تونا وأدرنة من أكثر المناطق تقدماً من وجهة النظر الاقتصادية، وذلك في القرن التاسع عشر، حيث كان يقطنها الأتراك الذين كانوا يملكون ٧٠٪ من الأراضي الزراعية فيها.
- وجاءت حرب ١٨٧٧- ١٨٧٨م فغيرت ذلك حيث تمت مصادرة كل ما

يملكه الأتراك البلغاريون بحجة إصلاح الأراضي.

- وتم تأميم جميع الأراضي الزراعية أعوام ١٩٤٩م ١٩٥٥م، وأصبحت مزارع تعاونية.

- نفذت سياسة التأميم والأسلوب الجماعي التعاوني في سائر النشاطات الاقتصادية الأخرى، وأصبح الجميع عمالاً في التعاونيات الحكومية، حيث انتهت منذ ذلك الحين مِلكية الفرد.

السكان:

حسب إحصاء عام ١٩٨١م يبلغ تعداد سكان بلغاريا (٨.٨٩٠.٠٠٠) ويشكل المسلمون نحو ٨٠٠ ألف نسمة، وتقدر بعض المصادر نسبتهم بـ ١٠٪ من جملة السكان.

وسكان بلغاريا خليط من العناصر البلغارية الذين يشكلون غالبية ترجع إلى أصول تركية قديمة الهجرة، كان وصولها إلى البلقان قبل وصول الأتراك العثمانيين بقرون، ثم عناصر تركية حديثة الهجرة مختلطة بجماعات من التتار، بالإضافة إلى أقلية من الغجر، وأقليات أخرى من أصل روماني وأرمني، وقد هاجر الأتراك الأوائل إلى أوروبا الشرقية من المناطق الواقعة شمال البحر الأسود عام ٦٥٩ ميلادي، واستقروا حول دلتا الدانوب، وأنشأووا الإمبراطورية البلغارية.

وفي عام ١٠٢٠ عبر الأتراك بتيشنك دانوب، ووصلوا إلى البلقان، وجاء بعدهم أتراك كومان بتشينك الشرقيون، حيث استقروا في السهول الواقعة شمال البحر الأسود، ومع مرور الزمن حدث اختلاط بين جميع التجمعات العرقية التي وقعت تحت نفوذ الثقافة السلافية، واعتنقوا المسيحية.

المسلمون في بلغاريا[1]:

يقطن المسلمون البلغاريون المناطق المتاخمة للحدود اليوغسلافية، والمناطق القريبة من الحدود التركية.

يتكون المسلمون في بلغاريا من ((الفاكار)) ((والبوماك)) الذين ينحدرون من جماعات تركية مختلفة، نزحت من شمال البحر الأسود إلى البلقان، ولا يطلق مسمى الأتراك على أولئك الذين ينحدرون من الجماعات التركية الأولى من غير المسلمين.

في عام ١٨٧٦م وصل تعداد البلغاريين إلى ١,١٣٠,٠٠٠ نسمة بالإضافة إلى ١,١٢٠,٠٠٠ من المسلمين، قطنوا ست مناطق ما عدا منطقة نيس من أعمال محافظة ((تونا)) التابعة للدولة العثمانية، وفي عام ١٨٧٨م كان يقطن نحو (٦٨١,٠٠٠) تركي و (٤٨٣,٠٠٠) بلغاري منطقتي ((فلبي)) و ((أسلمية))، المعروفين باسم ((روملي الشرقية)) وفق معاهدة برلين.

تغيرت موازين السكان لصالح البلغاريين خلال الحرب التي وقعت في عامي ١٨٧٧، ١٨٧٨م واستمرت لمدة سبعة أشهر تقريباً، وكان من نتائجها تشريد حوالي مليون من الأتراك، وقتل ما يقرب من (٣٥٠,٠٠٠) بسبب المجاعة وشدة البرودة، وانتشار الأوبئة، بالإضافة إلى المجازر التي وقعت بطريقة معدة ومنظمة.

وقد عرف الإسلام طريقه إلى بلغاريا مع بداية النصف الثاني من القرن الثامن الهجري مع الفتح العثماني للبلقان.

إذْ احتل الأتراك العثمانيون تراقيا وبلغاريا إبان حكم السلطان مراد الأول العثماني، حيث تم فتح مدينة أدرنة في يوليو ١٣٦٢م، كما تم فتح مدينة

---

(١) زار المؤلف بلغاريا بعد ذلك، وأصدر كتاباً خاصاً بها حافلاً بالدراسات المهمة عن الإسلام والمسلمين فيها، وهو مطبوع.

بلوفديف في عام ٧٦٥هـ - ١٣٦٣م.

فتح العثمانيون صوفيا في عام ٧٨٧هـ - ١٣٨٥م، ثم توالى فتح المناطق البلغارية منطقة تلو الأخرى.

خلصت بلغاريا بكاملها للأتراك العثمانيين في عام ٧٩٦هـ - ١٣٩٣م، حيث تمت السيطرة التركية على جميع أراضيها.

استقر آلاف من المسلمين الأناضوليين في المناطق المفتوحة، وبذلك زاد عدد المسلمين في البلقان.

لم يستخدم الأتراك عنصر الضغط أو القوة في تحويل غير المسلمين إلى الإسلام.

من بوخارست إلى صوفيا:

كان مما استرعى انتباهنا ونحن في مطار بوخارست نتهيأ للصعود إلى الطائرة كثرة العيون الفاحصة التي تثبت نفسها في وجوه الناس، وتتفرس في سحنهم، ولا شك في أن هذه العيون هي من عيون السلطة الشيوعية التي تتجسس على الناس، لتعرف هل فيهم من غامر فغادر، أو أراد أن يغادر البلاد من دون إذن، أو أنه ممن دخلوها بغير إذن لسبب من الأسباب.

وجميع الإجراءات في المطار طابعها الشدة والتوجس، غير أننا لم نلق مثل هذا التشديد لوجود المرافقين الرسميين.

ومن ذلك أنهم ركبوا آلات للتصوير في ممر الدخول والخروج من المطار إلى الطائرات وبالعكس، وهي تصور الجميع، لا تكف عن ذلك، وهي مثبتة في أعلى الحائط دون السقف.

دخلنا طائرة البلقان التي هي خطوط بلغاريا الجوية، وهي من طراز توبوليف ١٣٤ الذي تصنعه روسيا، وتذاكرنا مقطوعة على الدرجة الأولى في بلادنا، لذلك وضعونا في مقدمة الطائرة التي كتبوا عليها أنها الدرجة الأولى، وليس فيها إلا ثمانية مقاعد في هذه الطائرة، شغلنا ثلاثة منها، وجلست امرأة أوروبية مسنة في الرابع.

أما المضيفات فإنهن ثلاث من البيض، غير أنه ليس عليهن علامات الترف والعيش الرغيد.

وقد غادرت الطائرة المطار في الثامنة والربع، والشمس تتهيأ للغروب، وأعلنوا بعد أن استوت الطائرة في الجو أن مدة الطيران إلى صوفيا هي ٤٠ دقيقة.

أما الضيافة فإنها قطع من البسكويت بالجبن، وقد عافه الرفيقان، ومع ذلك كأس من عصير الليمون، ثم فنجان من القهوة، وهذه خدمة الدرجة الأولى التي هي متميزة بزعمهم.

ثم بدأت الطائرة بالتدني إلى الأرض مع حلول الظلام فوق أرض جبلية، بدت مسايل المياه بينها مع بقايا سحاب، ربما كان هذا الماء من مطر، ثم وصلنا إلى منطقة سهلة فيها حقول مزروعة، وقمح حصيد، ومررنا فوق بلدة سيئة الشوارع فيما يبدو من الطائرة، يظهر ذلك من عدم استقامتها، وأنوارها كلها قليلة تدل على العوز والتقتير.

في مطار صوفيا:

هبطت الطائرة في المطار وما زال في الجو ثمالة من نور، فبدت الأعشاب حول مدرج المطار قصيرة مصفرة، كأنما تشكو العطش، مما يدل على شيء من الجفاف.

ودخلنا مبنى المطار الذي هو صغير، ضيق الغرف.

ومن مظاهر التشديد فيه أن الدخول إلى داخل المطار بعد المرور بضابط الجوازات يكون من باب يفتح كهربائياً، ولا يستطيع فتحه إلا الضابط، فإذا ما أنهى الختم على الجواز التفت للباب ففتحه للمسافر، ثم عاد وأغلقه، وصار ينظر في جواز المسافر الذي بعده.

وقد سألني ضابط الجوازات عن الغرض من المجيء إلى بلغاريا، فقلت: إنه السياحة .

فقال: كم يوماً؟ قلت: ثلاثة أيام، فقال: لا بأس، ثم ختم على جوازي.

وتبين بعد ذلك أن ما ذكره غير صحيح، وأنه لم يمنحني أنا ورفيقيَّ إلا ٢٤ ساعة.

أما ضابط المكس (الجمرك) فإنه تركنا نمر بدون تفتيش بسبب جوازي (الدبلوماسي)، وإن كان جوازا صاحبيَّ من الجوازات المعتادة.

عند الوصول إلى قاعة المطار التي تلي المدينة وجدناها صغيرة غاصة بالناس الذين اختلطت أصواتهم، وكان بين الأصوات كثير بالعربية، بعضها

لطلاب، وبعضها لسياح عرب، أقل من فيهم أهل الخليج، وبخاصة أهل المملكة، لأنه لا يسمح للمواطنين بالسفر إلى البلدان الشيوعية.

في مدينة صوفيا:

ركبنا مع سيارة أجرة من المطار بعد أن أخذنا اسم أحد الفنادق من موظف في المطار، ولما وصلنا الفندق في المدينة اعتذر بعدم وجود أية غرفة خالية عنده، ثم ذهبنا من فندق إلى آخر، حتى وصلنا إلى فندق كبير اسمه (نوفيل أوروبا)، فقالت الموظفة فيه أول الأمر: إنه لا توجد لديها غرف، ثم أعطتنا فيه ثلاث غرف، ولا أدري تفسير ذلك إلا إن كانت تنتظر حلوانا (بخشيشا).

البحث عن المفتي:

كنا اتفقنا مع الفريق الثاني من وفدنا على أن يكون الاجتماع عند مفتي بلغاريا، ونحن نحمل عنوانه، ورقم هاتفه في صوفيا.

ولذلك بادرنا فور أن وضعنا أمتعتنا في الغرف بمحاولة الاتصال به مع الشعور بضيق الوقت الذي يلح علينا وهو ٢٤ ساعة فقط، ومعنى ذلك أننا يجب أن نغادر هذه البلاد مساء الغد.

وليس هذا بالمهم وحده، وإنما المهم أن الفندق أخبرنا أنه مضطر إلى أن يخرجنا من عنده ظهر غد، وحددوا الساعة الثانية عشرة، ولا يستطيع أن يجعلنا نظل عندهم أكثر من ذلك، لكون تأشيرتنا هي ليوم واحد، وكان الكلام مع أهل الفندق بالإنكليزية، فوجدنا أخوين أحدهما من ليبيا، والآخر سوري يجيد اللغة البلغارية، فترجم ما بيننا وبينهم، فأكدوا له ما ذكروا لنا، وهو أنهم لا يستطيعون أن يبقونا في الفندق أكثر من يوم، كما أخبرونا أننا لن نستطيع أن نجد فندقاً آخر يقبل إسكاننا بعد الظهر غداً، لأن السمة في جوازاتنا تمنع ذلك.

وبعد محاولات للتحدث مع المفتي كلمنا شخص بالفرنسية، وذكر أنه لا يعرف العربية ولا الإنكليزية.

وبعد نقاش طويل، وترجمة من أحد الأشخاص، ذكر أنه سيحضر إلينا في الثانية عشرة (منتصف الليل) ليتفاهم معنا في الفندق.

وقد حضر بالفعل، وبقي معنا حتى الواحدة بعد منتصف الليل، وقد مضى ذلك الوقت في محاولة الفهم منه، ولم نجد السوري المترجم، وإنما وجدنا الليبي الذي يسكن معنا في الفندق، فطلبنا منه - أي الليبي - أن يحفظ حقائبنا في غرفته غداً بعد الثانية عشرة، أما نحن فنستطيع أن نتجول في المدينة، ونبحث عن هدفنا، فامتنع قائلاً: إن الفندق مليء بموظفي المخابرات، ولا أستطيع أن أخالف القانون.

وقال الأخ البلغاري: إنني أستطيع أن أحضر لكم في الحادية عشرة، وآخذ حقائبكم لأضعها في غرفة عندي، وذكر هذا الأخ أن مفتي بلغاريا ليس موجوداً الآن في العاصمة، وإنما هو في مدينة فارنا، وهي مصيف على البحر الأسود، قال: وإمام جامع صوفيا موجود، ولكنه لا يعرف العربية ولا الإنكليزية.

هذا وقد ترك الأخ البلغاري الذي لم نستطع معرفة وظيفته بالضبط، وإنما قال: إنه ابن أخي المفتي، وإنه من المسلمين، بعد الواحدة، وهنا تنبهنا إلى أننا لم نتعشَ، بل لم نطعم طعاماً منذ غداء وزارة الشؤون الدينية الرومانية، فنزلنا نبحث عن أي شيء يؤكل هنا، فوجدنا كل شيء في الفندق مغلقاً إلا شراباً من شراب الكوكا كولا، وكان بنا ظمأ لم نستطع أن نجد ما يطفئه لأن مياه الصنابير في الفندق غير نظيفة، فشربنا من هذه الكوكا كولا وحدها، وبتنا طاوين.

يوم السبت ٣ أغسطس ١٩٨٥م.

كان الإفطار اليوم في مطعم الفندق، والغريب أننا وجدنا رجلاً عند بابه من الداخل يأمر النزلاء وينهاهم، وكأنما يمنّ عليهم بذلك، مع أن الفطور من مائدة مفتوحة محدودة، وكنا أوائل الحاضرين للمطعم، لذلك انتهينا منه مبكرين.

جولة عاجلة:

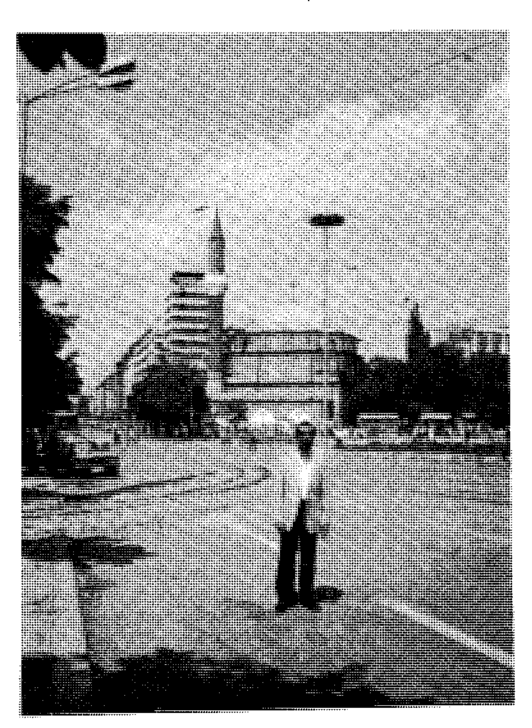
هذه أول مرة نزور فيها صوفيا، وقد أيسنا من لقاء الفريق الآخر من الوفد، وقلنا: عسى أن يكون حظهم في الحصول على وقت أوسع في الإقامة أحسن من حظنا، لأنهم جاؤوا إلى بلغاريا عن طريق البر، وهكذا كان، فقد حصلوا على ثلاثة أيام إقامة، قابلوا أثناءها المفتي في مدينة فارنا على ساحل البحر الأسود، كما اطلعوا على حالة المساجد في عدد من المدن والقرى، وأخبرونا بذلك فيما بعد، وكنا اتفقنا معهم على أن يكون اجتماعنا في فندق شيراتون في إسطنبول إذا لم نلتق في بلغاريا.



في قلب مدينة صوفيا مع الأستاذ إبراهيم الخزيم عضو الوفد

ولذلك حرصنا على أن نرى في هذا اليوم جزءاً من وسط مدينة صوفيا، ولم أدر أنه ستكون لي العودة إليها متأنية، في رحلة لاحقة، كتبت عنها كتاب: ((كنت في بلغاريا))، لأنها شملت الاطلاع على العاصمة، وعلى عدد من المدن في أنحاء بلغاريا.

بدأنا الجولة في الساعة السابعة صباحاً بأن ركبنا (الترام) من شارع (يورجي ياما تروف)، حتى وصلنا إلى الميدان الرئيس في البلدة القديمة الفاخرة، أو لنقل إنه القسم المعتنى به منها، إذْ لا توجد في المدن الشيوعية أحياء جديدة معتنى بها، لأن الدولة هي وحدها المخولة ببناء المساكن، وهي تبني المساكن أبنية ضخمة عالية مؤلفة من شقق، تكون في أطراف المدن وحواشيها، وأحياناً خارجها، لذلك يبقى الوسط القديم له أهميته.



بالقرب من جامع صوفيا (أو جامع الحمام)

ومن هذا الميدان سرنا مشياً إلى جامع صوفيا الذي هو الجامع الوحيد

الذي لا يزال مفتوحاً فيها، مع أنه كان فيها قبل الشيوعية عدد من المساجد استولت عليها الدولة الشيوعية، وحولتها إلى مخازن أو نحوها، ولم تبق إلا هذا الجامع، ومع ذلك وجدناه مغلقاً عندما وصلناه، وحاولنا أن نجد من المارة أو غيرهم من يدلنا على إمامه والمؤذن فيه ليفتحه لنا فلم نجد.

فاستجلينا رؤيته من الخارج بمنارته الشامخة الرشيقة على طراز المنائر التركية الحديثة، وقبته المتقنة، وبناؤه بالحجر الجيد.

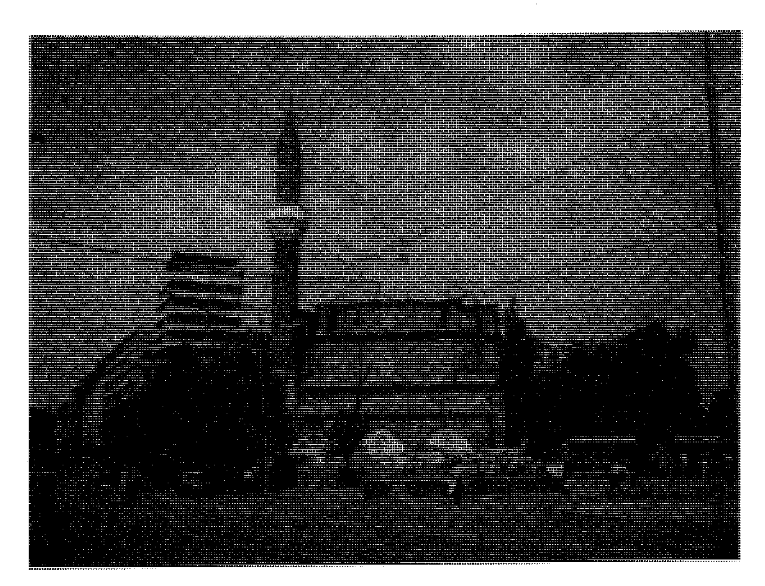
وهذا الوسط يسمونه السنترو، بمعنى وسط المدينة.

وبعد أن أيسنا من رؤية جامع صوفيا من الداخل، ذهبنا نسير على أقدامنا في السوق المهم الواقع في داخل هذا القسم الجيد من المدينة القديمة، الذي كان قائماً وموجوداً قبل استيلاء الشيوعيين على الحكم بطبيعة الحال، فوجدنا السوق مثل غيره، قديم الإنشاء، حتى إن أرضه مبلطة بحجارة صغيرة وليست بزفت، لأنه كان موجوداً هكذا قبل أن يعرف الناس تبليط الشوارع والميادين بالزفت.

وقد وصلنا في تجوالنا إلى حديقة ليس فيها إلا أشجار ونبات قليل، غير معتنى به، ولا حظنا أن شوارع المدينة القديمة أوسع من شوارع المدينة في بوخارست، وتقرب من أن تكون مثل شوارع قلب مدينة بودابست عاصمة المجر.

ولا حظنا أن اللافتات في المدينة على قلتها مكتوبة بالحروف السلافية التي يستعملها الروس أيضاً، مما يعطي الانطباع أنها باللغة الروسية، وليس الأمر كذلك، مع أن بلغاريا من أقرب الدول الشيوعية إلى روسيا من الناحية القومية، لأن أصول البلغار من سكانها جاءت إلى هذه البلاد من منطقة نهر (إيدل) الذي يعرف الآن بالفولقا، جاؤوا إلى هذه المنطقة السلافية في تاريخ يقرب من تاريخ البعثة النبوية، وبقيت منهم جماعات في منطقة (الفولقا)، كان منهم الذين أسلموا في أول القرن الرابع الهجري، وأرسل ملكهم بعد إسلامه رسولاً إلى الخليفة العباسي في بغداد، وهو المقتدر بالله يطلب منه أن يرسل إليه

من يفقهه في الدين، ويطلع على أحوال بلادهم التي هداها الله إلى الإسلام بدون حرب، وإنما بالاقتناع، فاستجاب الخليفة العباسي لطلبه، وأرسل إليه بعثة أمضت أحد عشر شهراً حتى وصلت إلى عاصمة البلغار على نهر الفولقا.



جامع صوفيا

ومن حسن الحظ أنه كان مع البعثة الكاتب أحمد بن فضلان الذي سجل ما واجهته البعثة، ومشاهداتها في بلاد البلغار، بل وذكر أشياء عن أحوال الروسية والأقوام الشمالية، لم يذكرها مصدر آخر في ذلك التاريخ المبكر الذي مضى عليه الآن ألف ومائة سنة تقريباً.

فالبلغار إذاً بلغاران، أحدهما أولئك البلغار المسلمون الذين يسكنون على ضفاف نهر الفولقا داخل روسيا الاتحادية في الوقت الحاضر، وبلادهم واقعة الآن في جمهورية تتارستان ذات الحكم الذاتي في روسيا، وهم الذين يتردد ذكرهم في كتب التاريخ العربي القديم(١)، والبلغار الآخرون هم (بلغار الطونة)

(١) كتبت بعد ذلك كتاباً موسعاً عن البلغار هؤلاء بعنوان: ((بلاد التتار والبلغار))، طبعته رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

إضافة إلى نهر الطونة الموجود في هذه البلاد التي عاصمتها صوفيا.

وقد خلط بعض الجهلة في التاريخ بين الاسمين.

ويلاحظ أن اسم البلغار الذين تقطن بقاياهم الآن في نهر الفولقا قد تغير إلى التتار، وهذا اسم أطلقه الروس عليهم وعلى أقوام مسلمين آخرين، كانوا من رعايا مملكة (التون أورده) بمعنى القبيلة الذهبية، وهي مملكة أسسها التتار، وهم المغول بقيادة الملك المسلم بركة خان بن جوجي خان بن جنكيز خان الذي أسلم بنفسه، ثم أسلم من معه بعد ذلك، وكان له شرف القضاء على ابن عمه السفاح هولاكو، حيث هزمه في ميدان الحرب، وكسر جنده، فمات مريضاً مغموماً مدحوراً.

شارع بطريرك:

ولفظه عندهم (بطريرك افيني)، وهو رئيسي عليه حديقة عامة من جانبيه، ثم قصر الضيافة الحكومي.

هذا وقد استأجرنا سيارة أجرة جالت في نواحي من مدينة صوفيا خارج القلب التجاري القديم، فمررنا بفندق (فيتوشا) الذي وصلنا إليه البارحة، وكان أول الفنادق التي سألناها غرفاً فاعتذرت بعدم وجود غرف خاليه لديها.

ومررنا بملعب كبير لكرة القدم، ذكر السائق انه يتسع لسبعين ألف متفرج، والسائق يعرف كلمات من الإنكليزية.

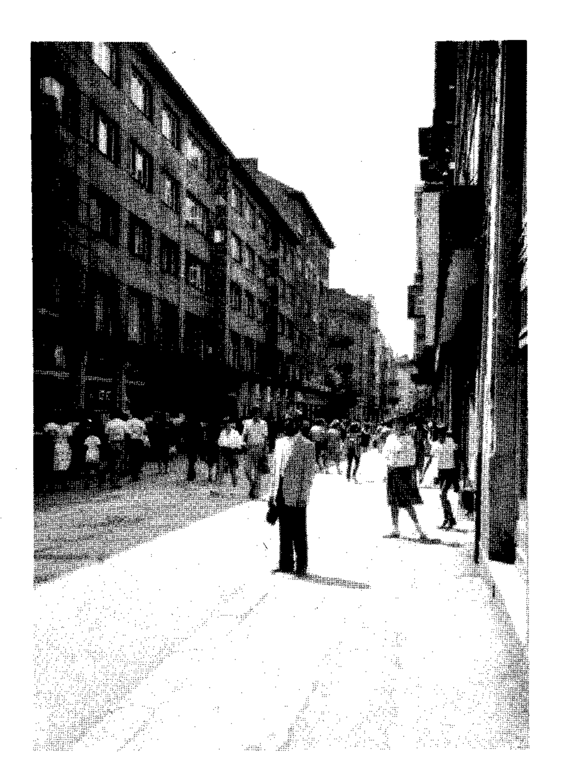
ومما تجدر الإشارة إليه أن سكان مدينة صوفيا يبلغ عددهم مليوناً ومائتي ألف نسمة، من مجموع سكان بلغاريا البالغ زهاء تسعة ملايين.

والمكتبة العامة:

ومررنا بالمكتبة العامة، فأوقف السائق سيارته، وأشار إليها باهتمام، وتحيط بها أشجار قصيرة، ربما كان ذلك لحداثة بنائها.

وكان من اللافت للنظر أن السائق اعتنى بإطلاعنا على المكتبة، ونوه

بوجودها قبل ذلك، وهذا شيء قل أن يوجد في البلدان العربية، إذ سائقو سيارات الأجرة لا يهتمون بالمكتبات العامة، لأنهم إما أن يكونوا من الأميين وأشباه الأميين، أو يكونوا من المتعلمين، ولكنهم لم يتعودوا زيارة خزائن الكتب، والاطلاع على ما فيها.



شارع في وسط صوفيا

الكنيسة التي حولت إلى مسرح:

وقفنا عند مبنى مهم عندهم هو (المسرح الشعبي)، ذكر السائق أنه كان كنيسة قديمة، حولوها إلى مسرح، ويريد بذلك أن الشيوعيين حولوها إلى مسرح، ولكنه هو وأمثاله لا يستطيعون أن يلفظوا بذلك صراحة، لأنهم يخشون مغبته بأن يبلغ السلطات الشيوعية، فتحمل الأمر على غير محمله، وتكون النتيجة وبالاً على قائله.

وتقع هذه الكنيسة المنسوخة والممسوخة على ميدان اسمه (لارامبو سبرديني).

وأرانا مكاناً ذكر أن التصوير فيه ممنوع، وقال: لو صورتم من دون رخصة ورأتكم الشرطة، صادرت آلات التصوير التي معكم على الأقل، بل إنه ذكر أن التصوير ممنوع هنا على وجه العموم، إلا في أماكن مخصوصة، أو بإذن من الحكومة، وكنا قبل ذلك نصور ما نشاء لعدم معرفتنا بالمنع.

لقد لاحظنا من هذه الجولة أن أهل بلغاريا هم من الأوروبيين البيض، ولكن بعضهم أو أكثرهم ليس على وجوههم نضارة، ولا شك أن ذلك سببه نقص التغذية، وانعدام ترف العيش، ولذلك يعرف المرء السياح الأوربيين الذين في شوارع المدينة وميادينها بهذه النضارة في الوجوه، التي ليس منها شيء في وجوه البلغاريين.

وإذا أضيف إلى هذا العيش الذي ليس فيه ترف ولا بلهنية، الخوف السياسي من بطش الشيوعيين وجواسيسهم، كان ذلك العذاب الكبير.

هذا وقد عدنا إلى الفندق قبيل الحادية عشرة انتظاراً للشخص الذي ذكر أنه بن أخي المفتي، الذي كان قد ذكر لنا البارحة أنه سيأتي إلينا في الفندق في الحادية عشرة، من أجل أن يساعدنا في الحصول على مكان نضع فيه أمتعتنا حتى موعد السفر.

ولكن الرجل لم يحضر في الموعد الذي ذكره، ولا في الذي بعده، وكنا حجزنا مع الطائرة المسافرة إلى مدينة إسطنبول في هذه الليلة. فذهبنا إلى الفندق وأريناهم الحجز المؤكد لنا في السفر هذا المساء، فسمحوا لنا بأن نبقى في الفندق لعدة ساعات، على أن ندفع عنها أجر نصف يوم، وكان هذا أمراً ساراً لنا، رغم كون تلك الساعات أقل من نصف اليوم بطبيعة الحال.

الأسعار المختلفة للدولار:

أردنا أن نعطي الفندق أجرته ليوم ونصف، هي في الحقيقة أقل من يوم

بليلته، فذكروا أنه لا بد من أن يكون ذلك بالعملة الصعبة، وهي الدولار الأمريكي، وأخبرونا أنهم سيساعدوننا بأن يأخذوا منا الدولار بالصرف التشجيعي للسياح، وهو أن يحسبوا مائة الدولار بمائة وأربعة وثمانين (ليوا)، وهو أسم عملتهم، على حين أن السعر الرسمي للدولار هو ١٠٢ ليوا بمائة دولار.

أما في السوق الحرة، وقد صرفنا منها قليلاً مائة دولار بـ ٤٠٠ ليوا.

وهذا عجيب أن يجد المرء هذه الأسعار الثلاثة للدولار في بلد واحد، ولا شك أن السائح يمكنه أن يصرف الدولار بـ ٤٠٠ ليوا بالسوق الحرة التي تسمى بالسوداء، ولكنه لا يستطيع أن يجد من يقبل منه (الليوا) في أي مؤسسة رسمية، حتى المطعم، فقد تعشينا فيه بتسعة ليوات ونصف للشخص الواحد، وهذا يعادل ٨ دولارات بالصرف الرسمي، فيكون الثمن غالياً، ولكنه لا يزيد عن الدولارين إلا قليلاً بالصرف الحر، وذلك رخيص، وقد لا حظنا أن خدمتهم سيئة وبطيئة في المحلات العامة كالمطاعم ونحوها، وذلك لأنه لا توجد حوافز تحفزهم على العمل، إضافة إلى قلة أجورهم، إذْ سألنا عاملاً في المطعم عن راتبه الشهري فأخبرنا أنه ١٤٠٣ ليوا، وذلك يساوي بالصرف الحر ٣٥ دولاراً أمريكية.

مغادرة بلغاريا:

طلبنا من الفندق أن يحضر لنا سيارة أجرة، فأحضر اثنتين، لأن الواحدة من سياراتهم الصغيرة لا تستطيع حملنا مع أمتعتنا، ونحن ثلاثة، وذلك أن سياراتهم من نوع (لادا) الروسي الصغير الذي يشبه (الفيات) الإيطالية.

وإضافة إلى ذلك لا بد من أن تدفع للشخص الذي يحضر لك (التاكسي) حلواناً، مع أنه موجود في الفندق.

وعندما وصلنا المطار كان الشيء اللافت للنظر أن المكاتب كلها لم تخل من العرب، تعرف ذلك ليس من السحنات وتقاسيم الوجوه العربية، وإنما من اللغة العربية التي كانت تجلجل في المطار، وهم مسافرون ما بين سياح

وطلاب، وليس ذلك فحسب، وإنما رأينا كثرة الرحلات للبلدان العربية، فقد كان في قاعة المغادرين أناس ذاهبون للقاهرة، وآخرون لدمشق والخرطوم، كل أولئك في رحلات أعلنوا عنها من المكبر.

وقامت طائرتهم إلى إسطنبول في الساعة الثانية عشرة إلا الثلث قبل منتصف الليل، بعد تأخر بلغ ساعة إلا خمس دقائق، وهي من صنع روسي، أركبونا في الدرجة الأولى، لأن تذاكرنا مقطوعة على هذه الدرجة، ولكنها تماثل السياحية الرديئة في طائراتنا العربية.

وكان ما استرعى انتباهنا أن المضيفات الأرضيات والعاملات في مكاتب الترحيل كلهن عابسات الوجوه، يعاملن الركاب بخشونة، فضلاً عن أن يعرفن الابتسام، وذلك منسجم مع ما عليه عامة الشعب الذي قل أن ترى فيه مبتسماً، أو من يبين السرور على محياه.

وقد تنفسنا الصعداء عندما قامت الطائرة، لكوننا خرجنا من بلاد الستار الحديدي الذي أصبح بالنسبة للأجانب ستاراً عقيدياً، ولكنه لأهل البلاد لا يزال حديدياً خشناً.

وقد أعلنوا بعد أن حلقت الطائرة أن الطيران إلى إسطنبول سيستغرق نحو الساعة.

ومن النواقص في الدرجة الأولى أن المائدة التي أمام الصف الأول في الأولى هي من الخشب، وأن الرف فوق الراكب منخفض إلى درجة أنه ضرب رأسي مرتين، مع أنني لست طويل القامة، وأن حوض غسل الأيدي في حمام الطائرة من معدن غير صقيل، وليس فيه مناديل من الورق، وإنما فيه ورق خشن.

وفي مطار إسطنبول لا حظنا الفرق بينه وبين المطارات الشيوعية في السعة والتجهيز، فقضينا في تركيا يوماً وبعض يوم، غادرناها بعد ذلك إلى بلادنا ولله الحمد.

الفهرس

مطبعة النرجس التجارية
NARJIS PRINTING PRESS
تلفون : ٢٣١٦٦٥٣ / ٢٣١٦٦٥٤
فاكس : ٢٣١٦٨٦٦ الرياض